الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

البنية اللسانية في معلقة طرفة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالب:

- براخلي ناجي

إشراف الأستاذ:

- أ.د صبار نور الدين

لجنة المناقشة

أ.د.عـــقـــاق قــــادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئــيسا
أ.د.صبــــار نور الــديــن	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. هاني العريان البصال	أستاذ التعليم العالي	جامعة أليكانت-إسبانيا	مساعد مشرف
أ.د.رفـــاس ســـميــــرة	أستاذة التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د.بن عيسى عبد الحليم	أستاذ التعليم العالي	جامعــــــة وهـــران	عضوا مناقشا
د. بلي عبـــد القـــادر	أستاذ محاضر -أ-	م.ج. عين تمــوشنت	عضوا مناقشا
د.بن زورة عـــبد الرحمن	أستاذ محاضر -أ-	جامعة مستغـــــانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إهـــــداء

إلى مَن رِضا الله في رِضاهما وزاد مسيرتي دعاؤهما ، وإنّ قلبي ليغمره البِرُّ والرِّضا حين يذكر إلحاحكما ، ومودّتكما وفضلكما...

والديّ الكريمين حفظكما الله ورعاكما...

إلى زوجتي الكريمة...

التي شجّعتني وصبرت معي طيلة فترة إنجاز هذه الأطروحة ، حتى حققت غايتي المنشودة .

إلى كل أبنائي وقرّة عيني...

إلى كل الذين تشرّفت بالجلوس بين أيديهم متعلِّما صغيراً أو كبيراً...

أهدي هذا العمل المتواضع ، سائلاً المولى -عزّ وجلّ- أن يتقبّله منِّي ،

وأن يجعله في ميزان حسناتي قبل وبعد مماتي... آمين.

ناجي براخلي

أليكانت بإسبانيا يوم 2017/12/31

شكـر وعـرفان

إنّ الحمد لله أوّلاً وأخيراً ، الّذي منّ عليّ من فضله وبركاته وتوفيقه ما أتممت به هذه الدراسة ، ولطالما لجأت إليه في النائبات فلم يردّني ، ولطالما طرقت بابه في الشدائد ، فكان لي نعم المعين ، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير.

وبعد حمد الله وشكره لا يسعني إلا أن أقف صاغراً بين يدي والديّ الكريمين ، هذا الأب الذي ما زال يقوّم سلوكي حتى اشتدّ عودي ، وتلك الأم التي ما فتئت دعواتها تتساقط عليّ كقطرات الندى ، حتى أيقنت أن الله لم يكن ليوفقني لأي أمر دون مباركتهما ورضاهما عليّ فيا رب ارحمهما كما ربّياني صغيراً.

وإذا وجب عليّ الشكر بعد شكر الله والوالدين ، فإنّي لا أجد من الكلام ما أعبّر به عن عظم شكري وامتناني إلى مشرفي الأستاذ الدكتور" نور الدين صبّار"

الذي تكرّم وتفضّل عليّ بقبول الإشراف على هذه الأطروحة ، وقد أعطاني من وقته الثمين لقراءتها ، وإسداد التوجيهات النافعة البناءة ، ولولاه ما كانت هذه الدراسة لترى النور ، فاللهَ أسأل أن يجزل له العطية ، وينفع به البرية وأن يبارك في علمه وعمله.

كما أنتهز الفرصة في هذا المقام لأتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي ، الأستاذ الدكتور "هاني العريان البصّال" الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الدراسة بجامعة أليكانت بإسبانيا ، فكان بحقّ أحد الأركان التي قامت عليها هذه الدراسة ،

فبارك الله فيه وأطال الله في عمره بحراً فيّاضاً لطلابه وأبنائه.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى عميد كلية اللغات والآداب

الأستاذ الدكتور "قادة عقاق"

الذي بذل كل ما في وسعه من أجل إتمام هذه الأطروحة ووصولها إلى المستوى المطلوب.

كما أنتهز الفرصة في هذا المقام لأتقد بخالص الشكر والعرفان إلى كل أعضاء اللجنة الموقرة الذين تجشّموا عناء المشقة في قراءة هذه الدراسة حتى أثروها بتوجيهاتهم البنّاءة واقتراحاتهم السديدة.

كما أتقدم بخالص شكري وعرفاني للكل الذين ساعدوني في إخراج هذا العمل المتواضع والنهوض به لتكتمل حلقته الأخيرة.

أما من كان فضله أجلّ من أن يحيط به اعتراف وتقدير ، فزوجتي الغالية ، والتي طالما حثتني على المثابرة ولم تقطع عني دعواتها الطيّبة... فللّه درّك من زوجة وثمّن الله سعيك بالرضا والنعيم...
وما توفيقيَ إلاّ بالله ربّ العالمين.

ناجي براخلي

مقدمة

مقدمـــة

الحمد لله دائم الفضل والعطاء، والصلاة والسلام على خاتم الرّسل والأنبياء، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه البررة الشّرفاء ومن سار على دربه واستنّ بسنّته إلى يوم اللقاء.

عندما يتعلق الأمر بموضوع اللغة، يشهد البحث تشعّبات مختلفة باختلاف القضايا التي تثيرها اللغة، موضوعاً ومنهجاً، من حيث طبيعتها ونظامها ومستويات ذلك النّظام، ومناهج البحث فيها وأبعادها الوظيفية.

إنّ المتأمل في التعاريف التي خصّت اللغة، يقف على حقيقة تشعُّب مفاهيمها وتفرُّعها، لكنه قد يدرك في الآن نفسه، أن الاختلافات المتولّدة لا تعدو أن تكون ظاهرية وشكلية في حين يبقى الجوهر ثابتا ومتعارفا عليه في كون اللغة ظاهرة إنسانية فكرية، وظيفتها التبليغ والتواصل.

وبدءا من هذا التحديد انطلق الباحثون في استنباط المكونات والمكنونات الحقيقية لهذه الظاهرة، وما أدى إلى التأسيسي الفعلي للدرس اللغوي الذي رسا على بناء هرمي تشكِّله أربعة مستويات تكمّل بعضها بعضاً، وهي المستوى الصوتي فالصّرفي فالتركيبي فالمعجمي الدلالي، فقد حظيت أصوات اللغة منذ القدم بالدراسة والتحليل، وكان الاهتمام بالأصوات العربية من أبرز الأعمال التي مثلت باكورة الدرس اللغوي عند العرب القدامى، وتشهد بذلك الدراسات التي زخرت بها كتبهم، فجاءت هذه الأخيرة مقدمات لعلوم أخرى تارة ودراسات مقصودة تارة أخرى، دلّت في كثيرٍ منها على مدى فطنتهم وذكائهم هي حقيقة أقرّها المنصفون من علماء الغرب أيضاً.

وعلى مستوى البعد التحليلي للغة، تنشغل إجراءات التحليل بتحديد المعنى اللغوي عن طريق الفرْز الشكلي لعناصر الحدَث اللّغوي في كل المستويات المذكورة آنفاً، حيث يكون التركيز على الكلمة كأصغر وحدة حرّة ذات دلالة على تكوين جملة، تتكوّن بدورها من مجموع فونيمات،

«فالكلمة إذن هي جسم المعنى بوصفها شكلاً له محقِّقاً في تتابع صوتي ذي طبيعة اصطلاحية في عُرف اللغة، وترتكز اللّغة في أساسها على هذين البُعدين، بُعد المعنى وبُعد المبنى، وتلعب الكلمة فيها دورها المعروف، متدرّجة عبر المستويات المعروفة للّغة، محدِثة المعنى المقصود من وراء استعمالها...».

وأمّا على مستوى التركيب، « فإنّ مسألة النّظام التي يراعي فيها ترتيب الأشكال (الألفاظ) بحسب ترتيب معانيها في النّفس»، فهي التي تحدِّد البُعد الوظيفي للغة المتكلِّم، ذلك أنّها تطرح مسألة الأسلوب ومكوّناته، فقد تحمل منظومة الكلام محتوى إخبارياً عادياً ينشئ نصّاً تواصليّاً إعلامياً، وقد يفرض النّظم في جهته التأليفية نوعاً من علاقات غير عادية بين عناصر التركيب، فيصبح خرقاً للسُّنن وتطاولاً على المألوف، تكون اللغة فيه تأثيرية جمالية أكثر منها تواصلية، وهذا ينطبق على الممارسات الإبداعية ذات الأنظمة اللغوية المعقدة جداً شانها شأن النص الشعري الذي تقوم عليه هذه الدراسة المتواضعة.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث محاولة لكشف بعض خبايا الخطاب الأدبي، وما أودع فيها من أسرار الدّلائل وعيون المعاني، ذلك أنّ إشكالية هذا البحث هي من قبيل القديم المتجدِّد، وإن خرجت في كل عصرٍ بحسب اصطلاحات أهله، فقد تناولها القدامى في أبحاثهم لعلاقة المعنى باللّفظ والمبنى. ومن ثمّة انبثقت الإشكالية لتحاول الإحاطة بالتجليات والصور الإبداعية للبنية اللّسانية في الخطاب الشعري، فكان أن انبثقت جملة من التساؤلات على النّحو الآتي:

ما أثر البنية الصّوتيّة في التشكيل الدلالي بصورة عامّة؟ وما يمكن أن يضيفه من معانٍ؟ والأمر نفسه بالنسبة للمفردة باعتبارها هي الأخرى إحدى أهم عناصر البناء اللّغوي من جهة، وباعتبارها مستودعاً تختزن فيه المعاني وعنصراً جمالياً فاعلاً في الخطاب من جهة ثانية، فهي وإنْ لم تخرج من أعلى طبقات اللغة، ولا برزت عن وجوه العادة في تصريفها، غير أنّها أتت من وراء النّفس واستغرقت منافذ الحسّ، ومن ثمّ فقد اكتست بُعداً بلاغيا وإبلاغياً يجعل منها حقلاً خصباً للدّراسة، والتساؤل

عن ذلك السّر، فما أثر الوزن الصّرفي للمفردة في توضيح الدّلالة؟ وما دلالة أصواتها على معانيها؟ وما هي الخصائص العامّة للعمل اللّغوي في النص الأدبي بصفة عامة والنص الشعري على وجه الخصوص؟

وفي ظل هذا الطرح، حاولنا أن نميط اللثام عمّا يجمع بين علوم الصّوت والصّرف والنّحو من وشائج، فتغدو من خلاله كياناً لغويّاً موحَّداً، وقد اتسمت هذه الدّراسة بالمباشرة والملاحظة الذاتية القائمة على جدارة ومكانة التراث العربي القديم.

إن الوقوف على هذا الموضوع لم يكن من قبيل الصّدفة، وإنّما اهتمامنا الشديد بعلوم اللّغة ومستوياتها، فقد وقّر في ذهننا أنّ أحسن سبيل لإنماء معارفنا اللّسانية لن يحصُل إلا باختيار موضوع في هذا المجال، ولعلّ من الأسباب التي حفّزتنا على الإقبال على هذا البحث أيضاً طموح الباحث العلمي للتعامل مع النصوص الأدبية، والاستفادة النّافعة من معطيات الدّرس اللّساني في رحاب التراث العربي القديم، التوجه الذي ارتضيناه لأنفسنا منذ المراحل الأولى في الدّرس والتحصيل، وما تميّز به هذا التراث، ومما تميّزت به هذه المدوّنة الشعرية، ولقد فكّرنا ملِيّاً أثناء اختيار الموضوع، فلم نجد مثيلا للغة هذا الغلام القتيل..

كما أن جدوى الدّراسة اللّسانية التطبيقيّة، التي لا تغفل الأصيل، وهو الجانب التنظيري للّغويين، بل هي تجعله خلفية تنطلق منها لتجد مصداقيتها في المدوَّنة المختارة، وهو عامل يقوّي النظرية أو القاعدة اللغويّة ولا يتجاوزها.

وإذ نلج مجال البحث، في ضوء المعطيات السّابقة، إنما تحدونا الرّغبة في الوصول إلى مجموعة من الأهداف يمكن حصرها فيما يلي:

- تحديد ماهية البُنى في مختلف مستوياتها الصّوتية والصّرفية والتركيبية والمعجمية الدّلالية، ما أمكن، وذلك بإدراج عناصر البنية اللّسانية.

- محاولة الوقوف على خصوصية البنية اللّسانية في النصوص الشّعرية، بشكل يميل إلى الاختيارية من منطلق التحليل اللغوي الحديث، لأجل تحسُّس الأسباب الموضوعية لغوياً.

ومن ثم فقد وسَمْنا بحثنا بـ: (البنية اللّسانية في معلَّقة طَرَفة) كما أن اختياره جاء بعد قراءة طويلة ومستفيضة لمختلف المستويات اللّسانية، خاصة من الناحية التّشكيلية والبنية التركيبية للخطاب الشعري، إضافة إلى نضج الدّرس اللغوي الموروث وارتقائه إلى مستوى يدعو إلى إعادة البحث، للتحرّي الشديد للجهود اللغوية التي بذلها العلماء قديماً، وما زالت تستقطب اهتمامات المحدثين وأنظارهم. وتهدف الدّراسة أساساً إلى إحداث نوع من التوازن بين المناهج الألسُنيّة في واقع التحليل من خلال الاستفادة في كلّ مرة من عناصر منهجية مختلفة لتحقيق التكامل والنجاعة في التحليل، مع التركيز دوماً على المعنى الوظيفي للعناصر المقصودة بالتحليل، وعلاقتها بالبنية الداخلية والخارجية للنص المدروس للوصول إلى الإشكال المطروح لسانياً حول طبيعة كلٍّ من البنية والوظيفة، وأي منهج يُحدد الآخر.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، اقتضى البحث أن يتوزّع على مقدمة ومدخل وأربعة أبواب بحيث أن كل من هذه الأبواب يحتوي على فصلين ، وتليها خاتمة تتضمن أهم وأبرز النتائج المرصودة وقد جاءت على النحو الآتي:

- المقدمة فكانت مشتملة على الخطوات المنهجية المعلومة أكاديمياً، من حديث عن تعريف بالبحث وأسباب الاختيار، والأهداف المرجوّة منه، وما استدلّ به الباحث من دراسات وعرض للخطّة، والمنهج المعتمد...

- والمدخل تمّ فيه التأسيس للمصطلحات المفتاحية للبحث، كالتركيز على المنهج البنيوي والتعريف بصحاب المدوّنة.

- الباب الأول، فقد عنونّاه بـ (البنية الصّوتية في معلّقة طرفة)، تناولنا فيه فصلين، الفصل الأول نظري خصّصناه لدراسة (تطوّر الدّرس اللغوي الصّوتي) عبر مراحله التاريخية وعند أبرز العلماء المتخصصين في هذا المجال، والفصل الثاني خصّصناه لدراسة عناصر البنية الصّوتيّة في المعلّقة، تناولنا فيه دراسة الأصوات العربية وتشكيلها وكيفية تآلفها في البناء الصّوتي بالإضافة إلى الحديث عن المقطع اللّغوي وإحصائه.

فقد أدت كثرة الملاحظة والدراسة لأصول الكلمات إلى تنبيه اللّغويين إلى أن نسيج الكلمة العربية يقوم على قواعد معيّنة، ويعتمد على نظرة الجذور، معتمداً في ذلك على إحصاء دقيق لأصوات المعلّقة لمعرفة مدى مطابقة النّص لقواعد التآلف والتجاور، والتعرّف على الأصوات الأكثر شيوعاً وانتشاراً في العربية.

- أمّا الباب الثاني فخصّصناه لدراسة البنية الصّرفية وتطبيقها على عينات من أدبيات المعلّقة، وقد تشكلت الدراسة في هذا المستوى على تحليل المعاني الوظيفية للبُنى الصّرفية، وقد اعتمدنا في تحليل هذه البُنى على النّظرية القديمة لأقسام الكلم بما تحمل من دلالات فرعية خاصّة بها، بالكل الذي يساعدنا على فهم دور هذه الوظائف في المحافظة على الانسجام في النّص بين الشكل والمضمون ومطابقة مبانيه لمعانيه.

- أمّا الباب الثالث فجعلناه للبنية التّركيبية، تناولنا فيه الجملة العربية باعتبارها ركن هذه الدراسة وأساسها التي تقوم عليه، فدرسناه مفهوماً وبنيةً وأنواعاً، وحاولنا من خلال ذلك أن نؤطّر المساحة المعرفية وتقاربها بين الدرس اللّساني والتراث العربي القديم، فابتدأت بدلالات جُمل اللّزوم والتعدّي ثم تحديد دلالات اختيار الأنماط لكلّ جملة متوجّهاً بخاتمة جامعة لأهم النتائج المحصّل عليها في الفصل.

- أمّا الباب الرّابع فقد تناولنا فيه البنية المعجمية الدّلالية، وقد توجهنا في هذه الدراسة نحو القراءة الداخلية للغة في هذه المدوّنة، وهذا ركنٌ أساسي يُثبت نجاعة التطبيقات الألسُنية على النصوص الإبداعية، مما يمكّننا من استخراج ودراسة العناصر المكوّنة للبنية الدلالية في المعلّقة، وممّا لا شك فيه أنّ الاتجاهات البنيوية الدّاخلية أسهمت إسهاماً كبيراً في بلورة النقد الشعري ومعرفة النّص، وهذا هدفنا المنشود من هذه الدراسة المتواضعة...

- وأخيراً ختمنا البحث بخاتمة أوردنا فيها النتائج المتوصَّل إليها، وقد تطلب موضوع هذا البحث في طُرق دراسته، وأساليبه منهجاً خاصاً يناسبُه، يتباين هذا المنهج، ويتغيّر بحسب طبيعة المحور المطروق، فقد اتبعنا المنهج الوصفي الذي أملته الدّراسة النظرية، حيث تهدف إلى الكشف عن البنية اللّسانية في الشعر العربي القديم عامّة والمعلقة بصفة خاصّة، وعليه يقتضي تتبُّع منهج دقيق في بناء حلقاته المتجانسة، كما اعتمدنا الإحصاء والتحليل في إحصاء ما ورد من الظّواهر المختلفة التي شاركت في بناء المدوَّنة.

وقد تراوحت المراجع المعتمدة في الدّراسة حسب الحاجة إليها بين لغويّة بالدرجة الأولى وأدبية ثانياً، قديمة وحديثة، أذكر منها: ديوان طرفة بن العبد، الكتاب لسيبويه، الخصائص لبن جنّي، شرح المعلّقات السّبع للزوْزني، الكشّاف للزمخشري، دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، البيان والتبيين للجاحظ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، الجمل في النّحو للخليل بن أحمد الفراهيدي، الجامع في تاريخ الأدب العربي لحِنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي لريجس بلاشير: ترجمة إبراهيم الكلاني، اللغة العربية معناها ومبناها لأبي وحيد تمام حسان، نظرية البنائية في النقد الأدبي لصلاح فضل، لسان العرب لابن منظور...إلخ.

أما العوائق والصّعوبات فليس يخلو عمل الإنسان منها، قلّت أو عظُمت، ولعلّها حافز التحدّي في كثير من الأحيان، ودافع المنافسة بين الناس، وقيمة كل عمل إنّما تنكشف بها، وإن كان لا بدّ من ذكر بعض هذه العوائق: قلة المراجع المتواجدة في المكتبات الرّسمية وافتقادها لدى الأشخاص بسبب تخصُّصها، ولا شك أن استكمال أي دراسة علمية يحتاج إلى جهد مضني، وقد استطعنا أن نتغلب على هذا الجانب أثناء زيارتنا إلى جامعة أليكانت بإسبانيا في تربّص طويل المدى، تمكّنا من خلاله التردّد على العديد من المكتبات الرسمية الزاخرة بالمصادر والمراجع في جامعتنا وفي جامعات إسبانية أخرى.

وإذا وجب عليّ الشكر بعد شكر الله، فإنّني لا أجد من الكلام ما أعبِّر به عن عظيم شكري وامتناني إلى مشرفي وأستاذي، الأستاذ الدكتور نور الدين صبّار، الذي لم يتوان لحظة واحدة في تنبيهي وإرشادي، حيث كانت توجيهاته البنّاءة مشاعل من نور أهتدي بها وسط بحر العلم الواسع، ولولاه ما كانت هذه الدّراسة لترى النور، فجزاه الله عنّا كلّ خيرٍ.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي ومشرفي الثاني الأستاذ الدكتور هاني العريان البصّال بقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أليكانت بإسبانيا، فكان بحقّ أحد الأركان التي قامت عليها هذه الدراسة.

كما أتقدم بخالص شكري وعرفاني إلى أخي وأستاذي الأستاذ الدكتور قادة عقاق عميد كلية الآداب واللغات والفنون بجامعة سيدي بلعباس الذي كان له الفضل أثناء طباعة الدّراسة، فوقف إلى جانبي يساعدني في الطّباعة والتنسيق حتى خرجت هذه الدراسة بهذه الصورة الجميلة، هذا ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان لجميع الأساتذة والزملاء بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سيدي بلعباس.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى جميع الأصدقاء الذين وقفوا إلى جانبي مشجّعين ومؤازرين لإنجاز هذه الدراسة، واللهَ أسأل أن لا أكون قد نسينا من ذوي الفضل أحداً، فهذا ما استطعنا الوصول إليه في دراستنا المتواضعة ، فإنْ كنّا قد وفينا حقَّه ورفعنا درجتَه، فذلك ما نهدف إليه، وإنْ يكن غير ذلك، فإنّنا لم ندّخر جهداً ولا طاقة في سبيله، وحسبُنا أنّنا نشدْنا الكمال، وما الكمالُ إلاّ لله سبحانه.

والحمد لله الذي لا يبلغ مدحه القائلون ولا يحصي نعمائه العادُّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون.

الطالب: ناجي براخلي

جامعة أليكانت بإسبانيا في: 2017/12/29م

الموافق لـ: 11 ربيع الثاني 1439هـ.

مدخــل

توطئة.

1) البنية والبنيوية.

2) صاحب المدوّنة (حياته وآثاره وأراء النقاد فيه).

توطئة:

اللغة الإنسانية هي نظامٌ أو بنيةٌ متماسكة من العلاقات، وهذا النظام تتحكم فيه قواعدُ معيّنة حتّى يؤدّي عملية التواصل والتبليغ، والعلاقات هي كلّ مركّب من الدّال (الصّوت)، والمدلول الذي هو مضمون أو معنى تلك الدوال، فالأصوات لا تمثل لغة إلا إذا كان لها محتوى دلاليّ، وهذه الأصوات لا تقوم منفردة بل يرتبط بعضها مع بعض في نظام النّظام الصّوتي، لتشكّل وحدات صوتيّة (الفونيمات) وتقوم الفونيمات بتشكيل المقاطع، كما تأتلف المقاطع وتتجمّع لتكوّن الكلمات التي تصبّ في النّظام الصّرفي، ثم تدخل هذه الكلمات في تراكيب خاصّة فتكوّن الجمل التي تؤدي النظام التركيبي، وتعمل جميع هذه الأنظمة على خدمة المعنى أو الدلالة النّظام الدّلاليّ، التي تخدم في آخر المطاف عمليّة التواصل (La communication) والتعارف بين الأفراد والشعوب. ومن باب أنّنا سنقف على الأنظمة التي تشكل مستويات اللغة، يكون لزاماً علينا وهذه الحال الإشارة إلى مفهوم البنية والبنويّة التي ميّزت أغلب المدارس اللسانية من فيردينان دو سوسير إلى نوام تشومسكي.

1- البنية والبِنَويّة (La structure et le structuralisme):

البُنية[1]، هي «عنصر مجرّد من عناصر اللغة موجودٌ داخل شبكة من العلاقات التقابلية المتغايرة، حيث إنّ كل عنصر يستمد قيمته من موضعه، وإنّ أيّ قيمة لعنصر ما مرتبط بجميع العناصر الأخرى[2]»، أو كتعبير لويس هيلمسلاف (L. Hjelmslev) بما نصّه: «كيان مستقلّ ذو ارتباطات داخلية»[3]. أمّا البِنويّة أو البِنيويّة أو البِنائية – على تعدّد مسمياتها في الدّرس اللّساني العربي– فهي علم ومنهج ونظرية، تقوم على تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يمكن أن يتم بمعزل عن بقية العناصر اللغوية الأخرى وهو من ناحية أخرى نظرية لغوية تطبّق المنهج الوصفيّ في فحص اللغة ودراستها، فتنظر إليها على أنها وحدات صوتيّة تتجمع لتكوّن وحداتٍ صرفية لتكوّن هي بدورها جملاً وعبارات[4]، وإنّ من مقتضيات تعرّف بنية اللغات واللهجات، الوقوف على مستوياتها بتحليل في الترتيب التالي:

1- أشار سوسير – في المحاضرات– إلى مفهوم البنية بمصطلح (النّظام)، وشبّه جملة العلاقات الموجودة بين العناصر اللّغوية بلعبة الشطرنج، وكلمة البنية من أصل لاتيني، معناها البناء، وقد ذهب جورج مونان إلى القول بأنّ: «كلمة بنية ليست لها أية رواسب أو أعماق ميتافيزيقية فهي تدل أساسا على البناء بمعناه العادي، ويعزّز قوله بمثال الطاولة، إذ يذكر بأنّ دراسة بنية الطاولة هي البحث عن الوحدات الحقيقية المتعلقة ببناء الطاولة (من هيكل وقوائم) أو بتفكيكها قطعةً قطعةً حتى يمكن تركيبها من جديد مثلما يحدث مع اللغة حين تُحلَّل إلى عناصر صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية. وقد استعملت علوم أخرى سوى اللسانيات، هذا المصطلح – نقصد البنية– كالكيمياء (بنية الذرة)، وعلم الاجتماع (بنية المجتمع) وعلم الاقتصاد (البنية التحتية والبنية الفوقية)، وعلوم الأرض، والرياضيات والفلسفة...

2 -Voir : MOUNIN Georges, dictionnaire de la linguistique, Quadrige, P.U.F., 2000, p 307.

3 -Voir : HJELMSELV Louis, Essais linguistiques, les Editions de Minuit, paris, 1971, p 29.

4- ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 07. وقد اتخذ منهجا، سعى كثيرٌ من الباحثين تطبيقه في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فليفي ستروس أدخله في الأنثروبولوجيا البنيوية، وطبقة أيضا كلٌّ من ذانك موردود وسبيرمان في علم الاجتماع وعلم النفس.

1-1- المستوى الصوتي (Le niveau phonétique):

وهو أوّل مستوى تُدرس فيه اللغة، على اعتبار أنّ الصوت أصغر عنصرٍ في بنية اللغة، وينقسم البحث فيه إلى ما يجري الاصطلاح عليه بالصّوتيات (La phonétique)، وهو علمٌ يدرس الأصوات بسيطة مجرّدة ومنعزلة عن السّياق اللغوي الذي ترد فيه، فتركّز على ثلاث مراحل، انطلاقاً من صدورها وتكوّنها في الجهاز النطقي، عبر مواضع مختلفة (مواضع النطق)، ثم انتقالها في الهواء على شكل موجات وذبذبات صوتية، فتلقّيها وإدراكها من قبل السامع أو المتلقي في جهاز السمع، أما القسم الثاني، فيدرس الصّوت اللغويّ باعتباره وحدةً في نظامٍ صوتيّ، فتهتم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتخذها الصوت اللغوي، وكذلك بيان وظائفه وقيمه، ويطلق عل ى القسم من الدراسة مصطلح: الفونولوجيا (La phonologie)[1]، وإذا كان اهتمامنا في تحليل الوحدات الصوتيّة، يرتكز على وظائفها داخل السّياق (الفونولوجيا)، فإنّه لا مندوحة لنا عن الصوتيات لوصف هذه الوحدات، فالصّوتيّات مرحلة تمهيدية، ومكمّل أساسيّ للفونولوجيا، وممّا يدخل في المرحلة الأولى لوصف الأصوات، المخرَج (المكان أو الموضع الذي يلتقي أو يقترب فيه عضوان من أعضاء جهاز النطق (L'appareil phonatoire))؛ والصفة (الكيفيّة التي يتعامل بها جهاز النطق مع الهواء المنبعث من الرئتين). وفيما يلي هذا ذكر لهما على حسب ما اتّفق عليه الدارسون العرب المحدثون في وصف نطق العربيّة حديثاً استناداً إلى مجيدي القراءات بمصر والمختبرات اللغوية بمعداتها.

دأب المحدثين في دراسة أصوات اللغة، أن تقسّم إلى صوامت (les consonnes)، وصوائت (les voyelles).

[1]- وعُرف هذا المصطلح بتعدد المسميات التي وضعت بإزائه – على غرار سابقه الصوتيات– فنجد في مقابل الصوتيات: علم الأصوات اللغوية، فونيتيكا، فوناتكس، علم الأصوات العام، علم الأصوات، علم الصوتيات، علم الصوتيّة...، بينما جُعل في مقابل الثاني أو الفونولوجيا: علم التشكيل الصوتي، علم الأصوات التنظيمي، علم الصّواتيّة، علم الفونيمات، علم الأصوات الوظيفي...؛ وكانت حلقة براغ Cycle de Prague من المدارس التي أبرزت مفهوم الفونولوجيا والفونيم في مؤتمر لاهاي سنة 1928م، والقائم على أساس المقابلة l'opposition.

مخارج أصوات العربيّة وصفاتها:

أوّلاً: الصّوامت.

أ- المخارج (10) (Le point d'articulation):

- **الأصوات الشفويّة** (Articulation bilabiale): الباء- الميم- الواو.
- **الأصوات الشفويّة-الأسنانيّة** (Articulation labio-dentale): الفاء.
- **الأصوات الأسنانيّة** (Articulation dentale): الذال- الثاء- الظاء.
- **الأصوات الأسنانيّة-اللّثويّة** (Articulation dent-alvéolaire): الدال- التاء- الطاء- الزاي- السين- الصاد- الضاد.
- **الأصوات اللّثويّة** (Articulation alvéolaire): النون- اللام- الراء.
- **الأصوات الحنكيّة** (**الطبق الصلب**) (Articulation palatale): الياء- الجيم- الشين. (وتسمّى أيضاً الأصوات الغاريّة).
- **الأصوات الطبقيّة** (**الطبق الليّن**) (Arti. vélaire): الكاف- الغين- الخاء.
- **الأصوات اللّهويّة** (Arti. uvulaire): القاف.
- **الأصوات الحلقيّة** (Arti. pharyngale): العين- الحاء.
- **الأصوات الحنجريّة** (Arti. laryngale): الهاء- الهمزة.

ب- الصّفات (Le mode d'articulation):

- **الجهر والهمس**: الأصوات **المجهورة** التي يهتزّ معها الوتران الصوتيان وهي (19): ء، ع، غ، ق، ض، ط، ظ، ج، ي، ل، ر، ن، د، ز، ذ، ب، م، و، ا. وأمّا **المهموسة**، وهي التي ينعدم مع خروجها اهتزاز الوترين الصوتيين، وهي مجموعة في عبارة: سكت فحثه شخص (س، ك، ت، ف، ح، ث، ه، ش، خ، ص). والجهر من صفات القوة في الصوت اللغوي.

- **الشدّة والرخاوة والتوسّط**: الأصوات **الشديدة**، هي (08) مجموعة في عبارة: أجدت طبقك + ض الحديثة، وأمّا **الرّخوة** (13): ه، ح، غ، ع، خ، ش، ص، ز، س، ظ، ث، ذ، ف. **والمتوسّطة**، وهي تجمع بين انحباس الهواء وإرساله أو تسرّبه، وهي: ل، م، ن، ر. والشدّة من صفات القوّة في الصّوت اللّغوي.

- **الإطباق**: والأصوات المطبقة هي (04): ص، ض، ط، ظ. والإطباق من صفات القوة في الصوت اللغوي.

- **التفخيم**: وهي (07): غ، خ، ق، ص، ض، ط، ظ. أمّا المتبقيّة فهي مرقّقة، والتفخيم من صفات القوة في الصوت اللغوي.

- **الانحراف**: ويختص بهذه الصّفة: ل.

- **التكريريّة**: ويختص بهذه الصّفة: ر. وهي من صفات القوة في الصّوت اللّغوي.

- **الصّفيريّة**: وأصواتها: س، ص، ز.

- **التّفشّي**: ويختص بهذه الصّفة: ش.

- **الأنفيّة أو الغنّة**: وأصواتها: النون والميم.

ثانياً: الصوائت القصيرة (الكسرة، الضمة، الفتحة)، والصّوائت الطويلة (الياء، الواو، الألف).

أ- المخارج:

الكسرة: صائت قصير أماميّ ضيّق/ الياء: صائت طويل أماميّ ضيّق.

الضمّة: صائت قصير خلفيّ ضيّق/ الواو: صائت طويل خلفيّ ضيّق.

الفتحة: صائت قصير وسطيّ متّسع/ الألف: صائت طويل وسطيّ متّسع

الفرق في كميّة الهواء، فهي أكثر مع الصّوائت الطويلة

ب- الصّفات:

- بالنّسبة لصفات الصّوائت، فكلّها مجهورة قصيرها وطويلها.

ثالثاً: أنصاف الصّوائت أو أنصاف الصّوامت (الواو، الياء).

وقد سميت بهذه التسمية، ذلك أنّ الواو مثلاً تكون مرّة صائتاً طويلاً، نحو كلمة قوموا، وتارة أخرى صامتاً، نحو: وجد؛ وكذا مع الياء، مثل: سيروا، وكذا يَعلم.

أ- الوحدة الصوتيّة/ الفونيم/ الصّوتيم/ الصّوتيّة (Le phonème):

وتعمد أثناء وصف أصوات اللّغة- إلى تحليل السّلاسل الصّوتيّة في بنية اللغة وتقسيمها إلى وحدات صغرى، وأصغر عنصر صوتيّ يدخل في التّحليل الفونولوجي هو: الفونيم أو الوحدة الصّوتيّة، ويلتقي الباحثون على اختلاف مشاربهم ومدارسهم في كون الفونيم: «أصغر وحدة صوتيّة في تقابل في اللغة تتميّز عن غيرها بمجموعة من السمات الصوتيّة قادرة على تمييز كلمتين»[1]، نحو المدوّنة التاليّة: حَرير/r: hari/، خَرير/r: xari/، سَرير/r: sari/؛ فالاختلاف في الوحدات الأولى أو الفونيمات (ح، خ، س)، إلى اختلاف دلالاتها، وفي تحليلنا للسمات المميّزة نذكر التّالي:

[1]- ينظر: حنا، سامي وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997م، ص 102.

- **الوحدة الصوتيّة /ح/ أو /h/:**

1. الحاء: حلقية،/ بينما الخاء طبقيّة وأمّا السين فأسنانية-لثوية (من حيث المخرج).
2. الحاء: مهموسة، رخوة، بينما الخاء مهموسة رخوة، مفخمة، وأمّا السين، فمهموسة، رخوة، صفيريّة (من حيث الصّفة).

ولا يقتصر أمر الوحدات الصوتية أو الفونيمات على الصوامت، بل قد يكون الفونيم صائتاً قصيراً أو طويلاً، نحو الأمثلة التالية:

- **الوحدة الصوتية الكسرة / ِ / أو /i/:**

جِمال: جَمال، أو بِرّ: بَرّ.

1. الكسرة: صائت قصير أماميّ ضيّق، بينما الفتحة صائت قصير وسطي متّسع.
2. أمّا من حيث الصفة فجميع الصوائت قصيرها وطويلها مجهورٌ.

- **الوحدة الصوتيّة الألف المديّة /ا/ أو /a:/:**

مَطَار: مَطَر، أو عالِم" عَلِم.

1. **الألف المديّة:** صائت طويل، وسطيّ، متّسع، بينما الفتحة فهي صائت قصير، وسطيّ، متّسع، وإذا كانت الألف تتفّق وتتناسب مع الفتحة مخرجاً وصفةً، فإنّها تختلف معها في كون مخرج الألف أقلّ اتّساعاً وأكثر استطالة وامتداداً (الكميّة).

وقد لا تؤدي الوحدات من حيث سماتها الصوتيّة المختلفة إلى إحداث اختلاف في دلالة الكلمتين، ومن ثمة تُسمى صورة صوتيّة أو بديلاً صوتيّاً أو ألوفوناً (Allophone)، وهو «تغيير

تلفّظ حرف من الحروف بحسب وقوعه في الكلمات»، أو هو: «مجموعة التنوّعات التركيبيّة»[1]، أو هو «صورة من الصور الصوتية المختلفة لوحدة صوتيّة معيّنة "الفونيم"، ومثال ذلك الوحدة الصوتيّة أو (فونيم الباء) في العربية /b/ الذي يُستعمل في كلمات كثيرة مثل: لبيب /labi :b/ وصباح /saba :h/، حيث الباء في الكلمة الثانية مفخّم بتأثير الصاد، والأصل في الباء الترقيق، وهذه صورة صوتيّة مختلفة، ولك أن تقول هذا بالنسبة للام والراء، أو في حالة الإبدال في الحروف، نحو قلب القاف همزة أو جيماً قاهرية...

1-2- المستوى الصّرفيّ (Le niveau morphologique):

ويختص بدراسة الصيغ اللّغويّة وبناء الكلمة[2]، وطرق تشكيلها، من اشتقاق وإلصاق، وما يطرأ عليها من تغييرات، ويدرس وظائف هذه الصيغ ويصنّفها إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة، أو التذكير والتأنيث، أو الإفراد والتثنية والجمع، ويدرس أيضا التغيرات الصرفيّة الناشئة عن تجاور الأصوات، وما يتصل بالصيغ باعتبارها كلمات.

الوحدة الصّرفيّة/ المورفيم/ الصّرفيم/ الصُّرَيْفة (Le morphème):

وتشكل الوحدة الصرفية أو المورفيم (morphème)[3] العنصر الأساسي في التحليل الصّرفي، كما هو حال الوحدة الصّوتيّة أو الفونيم في كونها الأساس في التحليل الفونولوجي للأصوات،

---

1 -MOUNIN, op.cit., p 19.

2- الكلمة هي المادة الأساسية التي يبحثها علم الصرف/ المورفولوجيا (La morphologie)، من الكلمة اليونانية "Morphe"، بمعنى (الشكل)، و(logie) بمعنى علم، فالكلمة هي عنصر لغوي يقوم على تشكيل أهم مستوى للوحدات الدلالية، التي يمكن عزلها في الحديث، أي أن الكلمة هي أصغر وحدة لغوية يمكن النطق بها معزولة كما يمكن استعمالها لتركيب جملة أو كلام، وتضم في بنيتها مورفيما أو أكثر.

3- ينتمي (المورفيم) إلى المصطلحيّة الأمريكية، ويستعمل اللساني الفرنسي الوظيفي (أندري مارتيني André Martinet مصطلح المونيم (Le monème) في مقابله، وبالنسبة له، فالمونيم من الوحدات الصغرى المنتمية إلى التلفظ الأوّل، إلى جانب التلقّظ الثاني أو الفونيم.

وبالرغم من كثرة التعريفات للمورفيم لدى المدارس اللّسانية، إلاّ أنّها تتفق على أنّه: «أصغر وحدة لغوية في بنية الكلمة لها سمات صوتيّة ودلاليّة أو وظيفة نحويّة»، أو هو «أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى، وهي جزء من كلمة أو من تركيب تبيّن الوظيفة النحوية في الجملة»[1]، أو هو باختصار شديد: «أصغر وحدة صرفيّة دالّة»، وهو على ذلك لا يمكن تقسيمه إلى وحدات أصغر، وليست المورفيمات بالضرورة كلمات، ف: (مهندسون) تمثل كلمة واحدة، لكنّها مكوّنة من مورفيمين: مهندس + اللاحقة (ون) لدلالة الجمع المذكر السالم. وتأتي المورفيمات على نمطين، فالمورفيمات النّحويّة (morphèmes grammaticaux)، والقصد منها تلك الوحدات الصّرفيّة ذات الانتماء القواعيدي، فهي قائمةٌ مغلقة، ويتم تحليلها على المحور التركيبي، مثل: عَلِمَتْ – محاضرات- يَقرأ، فتاء التأنيث الساكنة، والألف والتاء لجمع المؤنث السالم وياء المضارعة، تمثل ههنا وحدات صرفية أو مورفيمات نحويّة، بينما تعدّ كلمات: عَلِم وحَضَرَ وقرأ، مورفيمات معجميّة (morphèmes lexicaux)، فهي مستقلة بذواتها، وتنتمي إلى قائمة مفتوحة، وتكون المورفيمات – غالبا- سوابق ولواحق، ففي الانجليزية، نجد الصامتين، /s/، /d/، كما في: bats، dogs، cats وفي: lived، danced، loved، تمثل مورفيمات نحويّة، ففي الأولى /s/ لدلالة الجمع وفي الثانية /d/ لدلالة الزمن الماضي. كما قد يكون المورفيم صائتاً قصيراً، ضمة أو فتحة، نحو: جاءَ أحمدُ (الضمة في أحمدُ، مورفيم يدل على الفاعليّة)، وشاهدتُ الرَّجُلَ (الفتحة دالة على المفعولية)، كما قد يكون صائتاً طويلاً في مثل: جاءَ أبوكَ (الواو تدل على الفاعليّة، كونه من الأسماء الخمسة)، أو في جموع التكسير في نحو: رجُلٌ ⟵ رِجالٌ، وخَروفٌ ⟵ خِرافٌ، عِلْمٌ ⟵ عُلومٌ، مفتاحُ ⟵ مفاتيحُ...، ويجري الأمر ذاته مع الجمع في الانجليزية نحو: man (المفرد) ⟵ men (الجمع)، وكذا: tooth (المفرد) ⟵ teeth (الجمع)، foot ⟵ feet...، فكلّ من الصائت: /e/ في الكلمة الأولى، والصائتين /ee/ في الثانية هي مورفيمات جمع.

---

[1]- ينظر: مبارك، مبارك، معجم الألسنيّة، ص 186.

وينقسم المورفيم، حسب اللّساني الأمريكي ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) إلى:

أ- **المورفيم المقيَّد (Morphème lié)**: وهي مورفيمات ليس لها وجودٌ مستقلٌ، بل لا بدّ أن تكون متصّلة بمورفيمات أخرى حتى تمنح الدلالة. وتمثل السوابق في العربية، كحروف المضارَعة، همزة التعديّة، ال التعريف... والأحشاء مثل تضعيف عين الفعل، والألف في صيغة "فاعَل"، التي تدلّ على المشاركة...، واللواحق التي تلحق آخر الكلمة، مثل: الضمائر المتصّلة، التنوين، الألف والنون، تاء التأنيث...، كذا سوابق الانجليزية الدالّة على الضديّة: un، im، in أو اللواحق نحو: ness، ing، ly، أو الفرنسية كما في:ation، age، ement، ité، oire، ...

ب- **المورفيم الحر (Morphème libre)**: وهي خلاف الأولى، فلها كيانٌ ودلالة مستقلة، وهي تمثّل: حروف الجرّ، والعطف في، عن، من، و، أو...)، والكلمات المستقلّة بذاتها (قلم، كتاب، رجل، شجرة...).

ج- **المورفيم الصّفريّ (Morphème zéro)**: بمعنى أنه مورفيم منعدم من حيث داله، أما مدلوله فحاضرٌ في ذهن المتكلم، مثال ذلك: الضمائر المستترة، والكلمات التي تستعمل لكلا الجنسين، فلا يفرّق فيها بين المذكّر والمؤنّث، مثل، كلمة عجوز وصَبور في قولك: رجل/ امرأة عجوز، ورجل/ امرأة صبور، أو ذراع وبئر وشمس...، ونحوه مما تنعدم دوالها (تاء التأنيث) وتحضر مدلولاتها.

ومثلما أشار التحليل اللساني إلى الصورة الصّوتيّة (allophone)، أشار أيضا إلى ما اصطلح عليه بـ: الصورة الصّرفيّة (allomorphe)، وتعني: «تلك التنوّعات الشكليّة (صوتيّة) للوحدة الصّرفيّة متحقّقة في سياقات مختلفة»، ومثال ذلك في العربيّة، تاء الافتعال في المدوّنة التّاليّة: استَمَعَ-

اصطَبَر- ازدَهَر، فطاء اصطبر ودال ازدهر هي صور صرفية للوحدة الصرفية "تاء الافتعال"، وإنّ مردّ هذا التنوّع الصوتي عِلل صوتيّة (تأثيرات الأصوات المجاورة)، على أنّ الصور الصرفيّة لا أثر لها على دلالة أو وظيفة صيغة الافتعال داخل الكلمة، ومثال ذلك في الانجليزية: مورفيم الجمع /s/ الذي يُنطَق في سياقات صوتيّة معيّنة /z/كما في: gasses، dogs، خلافا لكلمتي: books، cats.

وقد عبّر اللساني الفرنسيّ الوظيفي أندري مارتيني André Martinet عن المستويين السالفين بالتلفّظ المزدوج (la double articulation)، وهو يقصد بالتلفّظ الأوّل (la première articulation) المستوى الصّرفي أو الوحدات اللغوية الصغرى الدّالة (المورفيمات) ويصطلح عليها بـ: المونيمات (les monèmes)، أما التلفّظ الثاني (la deuxième articulation) ما يتعلق بالمستوى الصوتي أو الوحدات الصوتية الصغرى المجرّدة من المعنى (الفونيمات)، والتلفّظ المزدوج خاصيّة اللّسان البشري.

1-3- المستوى التركيبي (Le niveau syntaxique):

وهو يعالج عملية انتظام الكلمات في الجمل، فيهتم بدراسة نظم الجملة[1] وتحليلها، وبيان العلاقات النّحويّة التي تربط بين عناصرها المختلفة، كما يدرس أنواع الجمل من إثبات ونفيٍ أو استفهام وغيرها؛ يُجمع أكثر اللغويين بينها وأطلقوا عليها قواعد اللغة (la grammaire)، ذلك لشدّة ارتباط التركيب بالصّرف[2]، ونحن إذ نتعرّض لهذا المستوى، نقف أمام نظريّتين تمّ استثمارهما في

[1]- عُرفت الجملة وهي الوحدة الأساس في التحليل التركيبي- عند المتقدمين العرب بأنّها: «اللّفظ المفيد فائدة يُحسَن السكوت عليها» وهذا التعريف الدقيق الذي يركز على السكوت كعنصر يفصل بين الجمل، نجده بصورة مشابهة لدى اللّسانيين المحدثين، فهي في نظرهم: «وحدة كلامية مستقلة يمكن تمييزها عبر السكوت الذي يحدّها». والجدير بالإشارة أن العرب الأوائل لم يكتفوا بميزة السكوت في حدي الجملة، وإنّما راحوا يحدّدون عناصرها المؤلفة، فيذكرون بأنها مكونة من مسند ومسند إليه، كما أنّهم يقسمون الجمل إلى اسمية وفعلية بالرجوع إلى فئة الكلمة التي تبتدئ بها الجملة.

[2]- وحدّ النحو على ما يرد عند ابن جني (392هـ): «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعرابٍ وغيره؛ كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ إليها»، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج01، ص 34. وربما هذا من الأدلة=

هذا المجال – بعدما أشبِعت الدراسات في مجالي أصوات اللغة وصرفها– وهما: النّظريّة التوزيعيّة، والنّظرية التّوليدية التحويلية.

أوّلاً: المدرسة التّوزيعيّة (Le distributionnalisme):

بدأت اللّسانيات الأمريكية على غرار نظيراتها في أوروبا – بدءاً من سوسير ومدرسة براغ إلى مدرسة كوبنهاجن في الغلوسيماتك– تتلمّس في التيّار البِنوي منهجاً في التّحليل اللّسانيّ[1]، وقد عكف اللسانيون الأمريكيون مع مطلع القرن العشرين على دراسة اللغات الهندية–الأمريكية كلغة (يانا Yana)، و(نوتكا Nootka)، وغيرها، ويعدّ اللّساني والأنثروبولوجي "فرانز بواز Franz Boas من الأوائل الذين وجّهوا عنايتهم بثقافات لغات الهنود وخصّ ذلك في كتابه " Handbook of American Indian Languages"، وتلقى على يده اثنان من طلبته كان لهما صيتٌ ذائع في أمريكا وأوروبا، وهما إدوارد سابير (Edward Sapir) الذي «عني بالعلاقات بين اللغة والأدب، واللغة والثقافة عناية خاصةّ، وبوجه عام بين اللغة وحامليها، وهو الاتجاه الذي صار معروفا بعلم اللغة العِرقيّ (Ethnolinguistik). وأكد سابير أنّ البنية اللغوية تعكس نماذج نفسيّة، تتّبع عند بناء

=على الارتباط الوثيق بين الصرف والنّحو، وارتكاز النحو العربيّ عند المتقدمين بنظرية (العامل) مثل جملة: "حتّى نَبلُغَ" فكون الفعل منصوب حسب النحاة تفسَّر: حتّى + أن+ فعل مضارع منصوب، فالعامل هو "أن المضمرة بعد حتّى"، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثمّ يعد المعنى قطباً هاماً في دراسة بناء الجملة. والذي يقصد به «انتظام الكلمات والمركّبات وقد درج المحدثون العرب على مقابلة مصطلح: علم التركيب أو علم النحو بنظيره الأجنبي syntaxe من اللاتينية Syntaxis، وتعني الترتيب، وتنظيم الكلمات داخل الجمل في آن واحد».
ينظر:
NEVEU Franck, Lexique des notions linguistiques, éditions NATHAN/HER, paris, 2000, p112.

[1] – تختلف اللسانيات البنوية الأمريكية عن الأوروبية، فإذا كان اللسانيون الأوروبيون يقصدون بالبنية «انضمام مجموع العناصر في كلٍّ متجانس تضبطه شروط تبادليّة، فمبدأ اللّسانيين الأمريكيين يرتكز على تجزيء جميع العناصر المكوّنة، وتحديد كل عنصر بالنسبة للموضع الذي يحتله وما مدى أن تعوّضه أخرى في الموضع ذاته». ينظر:
KRISTEVA, Julia, Le langage cet inconnu, éditions du SEUIL, 1981, p 235.

المنطوقات وفهمها»[1]؛ وكان الآخر هو ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) (1887-1949)، يمثّل نمطا من اللسانيين الأمريكيين الوصفيين الذين ربطوا الصلة بين اللغة وعلم النفس السلوكي أو (Le behaviorisme)، وقد ضمّن كتابه "اللّغة Language"، الصادر عام 1933م، جميع أفكاره حول السلوك اللّغوي، «فاللغة تتابعٌ من الأصوات تصدر من المتكلم في موقفٍ محدّد فيتلقاه المستمع، وتظهر اللغة في شكلها الأساسي منطوقة، ولهذا فإنّ عملية الكلام تكون في موقف الكلاميّ مسبوقة بأحداث تسبق عملية الكلام، وهي المثير؛ ثم تكون عمليّة الكلام استجابة لذلك، وبعدها نجد أحداثاً عمليّة أو ردود فعل تتبّع عمليّة الكلام»[2]، وبالتالي سيكون وصف اللّساني منحصراً بين المثير اللّغوي والاستجابة اللّغوية. ولا يكون للمعنى على ذلك علاقة في تحليل المدلول أو المضمون، فالمعنى يتصادف مع ردود الفعل اللّغوية.

عُرفت المدرسة التوزيعيّة بفضل جهود بلومفيلد - وإن كان ارتباطها باللّسانيّ ز. هاريس (Zellige Harris)-، والتوزيعية نسبة مشتقّة من التوزيع (la distribution)، وتوزيع عنصر لغوّي معناه مجموع الوحدات اللغوية المحيطة به والممكن أن تعوّضه في بيئته، ومثال ذلك الفعل: مات، الذي يمكن أن يتوزع مع كلمات: إنسان، وحيوان، ونبات، فنقول: مات فلان ومات الكلب، وماتت الزهرة، ولكنه لا يتوزّع مع كلمات مثل: جَبل، وماء، وسحاب. وعلى هذا المنوال يتم وضع مدوّنة (un corpus)، المرتكزة على ما يسمى بالتوارد أو الاقتران اللّفظي (co-occurrence)، ليصل هذا المنهج في آخر المطاف إلى تصنيف قوائم توزيعية.

---

[1]- ينظر: بارتشت، بريجيته، مناهج علم اللغة، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2004م، ص 201.

[2]- ينظر: حجازي، محمود فهمي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، د.ت، ص 37. وأشار بلومفيلد إلى ذلك من خلال القصة التي عرضها في مؤلفه اللغة (Language)، بأن افترض أنّ جاك (Jack) وجيل (Jill) يتنزهان. جيل جائعة، رأت تفاحة على الشجرة، تصدر صوتاً من حنجرتها، وبلسانها وشفتيها، يتسلق جاك الشجرة، ثم يأخذ التفاحة ويحضرها لجيل، ويضعها في يده. تأكل جيل التفاحة، فهذا الموقف بوصفه تتابعا من المثير (stimulus)، والاستجابة (réponse)، يبرز حسب بلومفيلد أحداث تسبق الحدث الكلامي وهي هنا المثيرات وعلى ذلك يمكن تفسير اللغة كبقية السلوكات الخاضعة للعيان.

- **إجراءات التوزيع:**

تهدف التوزيعية في عملية التحليل والوصف إلى الخروج بقوائم توزيعيّة، على أساس مبدأين هامّين: أ- الاستبدال (La commutation)، وهو تقنية من خلالها، نستطيع تعويض أي عنصر لغويّ في محيط اللّغة على المحور الاستبداليّ أو العموديّ (L'axe paradigmatique)، ب- التّركيب (La combinaison)، ويتناول هذا المبدأ تسلسل الأصوات وتعاقب الكلمات وعلاقة كلّ منها بعضه مع بعض على المحور التّركيبي (l'axe syntagmatique).

مثال:

المحور الاستبداليّ ↓

المحور التركيبيّ ←

هَل	قامَ	مُحمّد
ما	قامَ	مُحمّد
قَد	ضَرَبَ	عَليّ
بَل	خَرجَ	عَمرو

مثال: (التحليل إلى مكوّنات مباشرة ومكوّنات نهائية).

زيدٌ الكَريم يُساعدُ المحتاجَ.

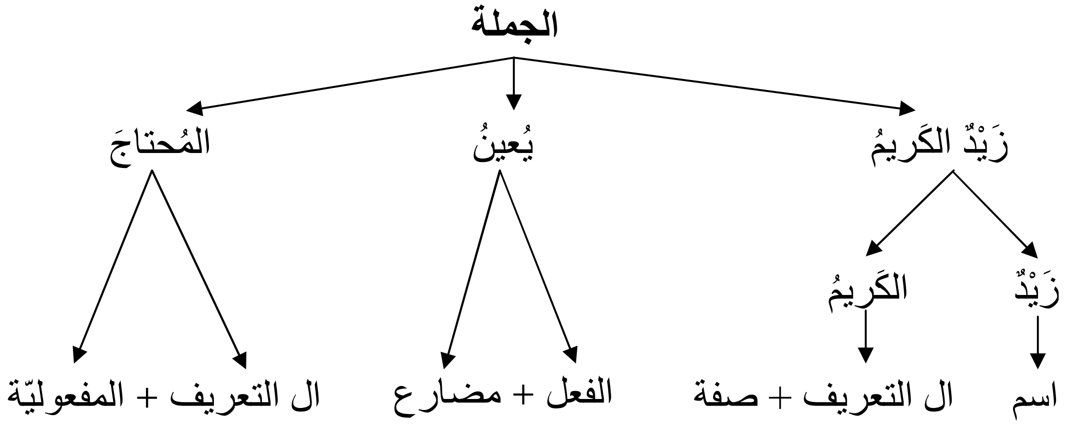

وعليه تمثّل: زيدُ الكريمُ - يُعينُ — المحتاجَ. ثلاثة مكوّنات مباشرة.

وتمثّل المورفيمات: كالاسميّة والصّفة وال التّعريف، والمفعولية... مكوّنات نهائية.

وقد انتُقِدت المدرسة التوزيعية في كثير من النقاط، منها:

1. أنّها تعتمد على مدوّنةٍ أو مادة لغوية أو كلامٍ منطوقٍ محدد، وفي هذا تركيزٌ على الكلام وليس اللّسان بمصطلحات سوسير، أو على الأداء لا على الكفاية بمصطلحات تشومسكي، ومن ثمة لا نتمكّن من كشف القواعد المخزونة في الذّهن التي تنتج الطاقة اللغويّة.

2. وأنّها ارتكزت على التصنيف الشكلي دون المعنى، فهي قاصرة عن تفسير الغموض، أو بعض أنماط الجمل المبنية للمجهول أو الاستفهام أو المنفية.

ثانياً: مدرسة النّحو التحويلي والتّوليدي (La syntaxe transformationnelle et générative).

وكان من أهم المدارس اللّسانية الحديثة التي وقفت على الجمل ة بالتحليل، المدرسة التحويليّة التوليدية[1]، والفكرة الأساسية في النحو التحويلي التوليدي أنّ الوصف الدقيق للغةٍ من اللغات إنّما يعني تحديد الإمكانيات التعبيريّة الكامنة في هذه اللغة والتي ينتقي منها ويتوسّل بها مستخدم اللغة إيجاباً وسلباً. فوصف الاستخدام اللغوي عند فردٍ بعينه ليس وصفاً لطاقات اللغة، بل تعرّف للقدرة اللغوية لهذا الفرد منها ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التحويلي التوليدي مجرد وصف الأداء الفرديّ إلى محاولة تحديد مجموع الإمكانات التعبيريّة في اللّغة قيد الدراسة، وهذه الإمكانات كامنة عند مستخدم اللغة حتى إنّه يستطيع بالمختزَن لديه أن يفهم جملاً وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها، ويقوم التحليل التحويلي على مجموعةٍ من المفاهيم والمصطلحات، نوجزها في التّالي:

أ. **الكفاية اللّغويّة (La compétence)**: القصد من الكفاية اللغويّة «المعارف أو القواعد الضمنيّة التي يملكها المتكلم عن لغته»[2] وتمكّنه هذه الكفاية من إنتاج عدد لا محدود من الجمل، كما يستطيع فهم العديد من الجمل التي لم يسمع بها من قبل، ويقابل هذا المصطلح ما عرف عند سوسير باللّسان (la langue)؛ أما المصطلح الثاني الذي ارتبط به، وهو:

---

[1] – رائد هذه المدرسة هو اللساني الأمريكي نوام تشومسكي (Noam Chomsky) (1928م–...)، صاحب نظرية النّحو التحويلي التوليدي التي أودعها مؤلَّفه "البنى التركيبية" Aspects de la théorie syntaxique عام 1957م، ومعالم النظرية التركيبية Structures syntaxiques سنة 1965م، ولقد أحدث كتابه الأول ثورة علمية تعد اليوم من أرسخ الثورات اللّسانية وأبعدها أثراً.

[2] -MOUNIN, dictionnaire de la linguistique, p 75.

ب.**الأداء اللّغوي** (**La performance**): ويعني «التحقيق الفعليّ للكفاية اللّغوية أثناء الأحداث الكلامية»[1]؛ وهو رديف مفهوم الكلام (la parole) عند دي سوسير.

ج. **البنية العميقة والبنية السطحيّة** (**Structure de surface et structure profonde**): ترى قواعد النحو التحويلي التو ليدي أنّ اللغة ذات مستويين، فالأولى وهي السطحيّة، وتعني التراكيب النحويّة للجملة المنطوقة المسموعة أو المكتوبة المقروءة، ومثال ذلك: أعلنت الحرب فجأةً. تمثّل هذه الجملة في صورتها الظاهرة البنية السطحية. أما البنية العميقة لهذه الجملة فهي أكثر تجريداً وهي موجودة في ذهن القارئ السامع أو الكاتب المتكلم وتتكوّن من: شخص (في زمن الماضي) يعلن الحرب فجأة (صيغة المبني للمجهول) وهذه العناصر الموجودة بين وقسين ليست مفردات وردت في نصّ الجملة ولكنّها في الذهن عبارة عن مفاهيم نحويّة تشكّل على أساسها البنية السطحية للجملة.

د. **القواعد التحويليّة** (**Les règles de transformation**): أي القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة، والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق: 1- الحذف، 2- التعويض، 3- التوسّع، 4- الاختصار، 5- الزيادة، 6- إعادة الترّتيب، 7- التقديم، 8- البناء للمجهول؛ مثال ذلك: كَتب الطالبُ المحاضرة، بإجراء التّحويل، نقول: كُتِبَت المحاضرةُ. البناء للمجهول بحذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل بضم أوّله وكسر ما قبل آخره.

هـ. **القواعد التوليديّة** (**Les règles génératives**): وهي تشكّل نظام الكفاية اللّغويّة للمتكلّم، أو نظام القواعد أو نموذج القواعد المحدودة، التي بموجبها نتحصل على عدد غير

1 -MOUNIN, op cit., p 253.

محدود من الجمل المتولّدة عن الجملة الأصوليّة أو الأصل؛ وتهدف مثل هذه القواعد في التحليل النحويّ، إلى: أ- الجمل الصحيحة نحوياً، ب- تركيب الكلمات والوحدات الصرفيّة طبقاً لنظام اللغة، ج- معرفة العلاقات بين الجمل المتماثلة في المعنى، د- معرفة الغموض.

ويقوم تحليل بنية الجملة في هذه المدرسة على عملية تجزي ء وتشجير، فتقسم الجملة إلى أركان ثمّ إلى وحدات صرفيّة وتعرض بطريقة الشجرة المقلوبة. كما في المثال التاليّ:

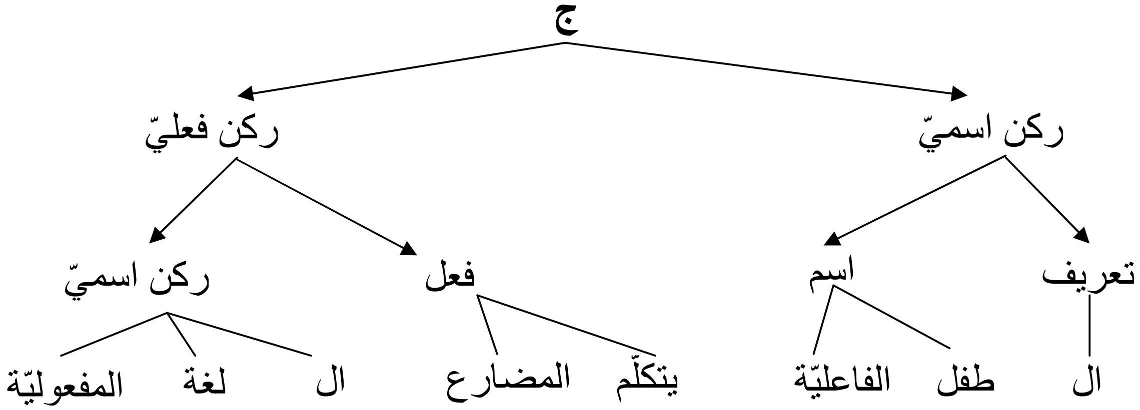

1-4 - المستوى الدّلالي (Le niveau sémantique):

يبحث هذا المستوى معاني المفردات والعبارات، والعلاقات الدّلالية المختلفة مثل: الترادف وتعدد المعنى، والاشتراك اللّفظي، والتّضاد، ودراسة التغيّر الدلالي وأسبابه، وحياة الكلمات وتطورها التاريخيّ وما يلحقها من رُقيّ أو انحطاط. والمستويات الثلاثة الأولى - هي في حقيقة أمرها- تخدم المستوى الدلالي فكلّ دراسة لسانية تهدف بيان المعنى والكشف عنه في عمليّة التواصل. ومن جملة النظريات التي بحثت المعنى، نذكر أهمها في التّالي:

1. نظريّة المجال الدّلالي Semantic Field Theory.
2. نظريّة السّياق Context Theory.

3. نظريّة التّحليل التّكوينيّ Componential Analysis Theory.

لكنّنا سنقف – لضيق المجال ههنا– على نظرية التحليل التكويني، التي تصبّ فيها النظريات الأخرى، وهي في الآن ذاته مكمّل وامتداد لها، ويرتكز دور هذه النظرية على تحديد الملامح الدّلاليّة Semantic Features؛ الّتي تنهض على ما اصطلح عليه دارسو علم الدلالة[1] "الوحدة الدلاليّة" L'unité sémantique أو السّيمة (Sème) كمقابل، وعرّفوه بقوله: إنّه أصغر وحدة لغويّة في دائرة المعنى. وقال آخرون إنّها مجموعة من العناصر الصوتيّة ذات الملامح التمييزية»، ويذكر ج. مونان في معجمه قوله: «السيمة هي الوحدة الدلالية الصغرى الحاصلة عن تحليل المدلولات les signifiés»[2].

وتقوم هذه النظرية على مبدأ التقابل، أي أنّ التحليل سيفرض علينا أن نحدّد العلاقات الدلالية التي تربطها بالكلمات الأخرى داخل المجموعة الدلالية نفسها، فالكلمة لا تتخذ قيمتها الدلالية في ذاتها، ولكنها تتحدّد بالنسبة لموقعها في داخل المجال الدّلاليّ، ومثال ذلك كلمة: "عميد" موجودة في ألقاب الوظائف الجامعية، نحو: "عميد كلية الآداب واللغات"، والمجال الدبلوماسي: "عميد السلك الدبلوماسي"، مجال الشّرطة...؛ وقد أشار برنار بوتييه (Bernard Pottier) إلى التحليل التّكوينيّ بمثال: "الكرسي" الّذي يضم أربع سيمات هي: للجلوس – ذو أربعة أرجل- للأشخاص – ذو مِسند. وإذا ما تغيّرت إحدى سيمات (les sèmes) لفظ كرسيّ تغيّر معناه.

---

[1]- يعرف علم الدلالة (la sémantique) على أنّه: «دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى» أو «ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى»، ينظر: عمر أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط06، 2006م، ص 11.

وقد ظهرت أولى لبنات هذا العلم في مقال: Essai de sémantique سنة 1897م للّساني الفرنسي Michel Bréal؛ لكنّها كانت في مجملها مقاربات في تاريخية الألفاظ، لا من ناحية وصفها الآني. وجاء فيما بعد دو سوسير وأشار إليها من خلال ثنائية الدال والمدلول.

[2] -MOUNIN, op.cit., p 294.

ومن أمثلة ذلك أيضا المدوّنة التالية في هذا الجدول:

السِّيمة / الوحدة المعجميّة	إنسان	ذكر	أنثى	بالغ	صَغير
رَجُل	+	+	−	+	−
امرأة	+	−	+	+	−
طفل	+	+	−	−	+

2) صاحب المدوّنة (حياته وآثاره وأراء النقاد فيه).

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره. ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد. اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفه هجاه بها، فقتله المكعبر بها.

كان، كما قال الزوزني[1]، في حسب كريم وعدد كثير، وكان شاعرا جريئا على الشعر، وكانت أخته عند عبد عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه، وكان من أكرم الناس على عمرو بن هند الملك، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إلى طرفة فعاب عبد عمرو وهجاه وكان من هجائه إياه أن قال:

وَلا خَيرَ فيه غَيرَ أنَّ لَهُ غِنىً وَأنَّ لَهُ كَشحاً إذا قامَ أهضَمَا

تَظَلّ نساءُ الحَيِّ يَعكُفنَ حَولَهُ يَقُلنَ عَسيبٌ من سَرارَةَ مَلهَما

فبلغ ذلك عمرو بن هند الملك وما رواه فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو فرمى حماراً فعقره فقال لعبد عمرو: انزل فاذبحه، فعالجه فأعياه فضحك الملك وقال: لقد أبصرك طرفة حيث يقول، وأنشد: ولا خير فيه، وكان طرفة هجا قبل ذلك عمرو بن هند فقال فيه:

فَلَيتَ لَنا مكانَ المَلكِ عمرٍو رَغوثاً حَــــولَ قبتِّنا تَخــُورُ

مِنَ الزَّمِرَاتِ أسبَلَ قَادِمَاهَا وَضرَّتُـــــهَا مُرَكَّـــنــةً دَرُورُ

[1] – ينظر، الزّوزني، شرح المعلقات السّبع الطوال، دار الآفاق، د.ط، د.ت، ص ص 97- 99.

لَعَمرُكَ إنَّ قَابُوسَ بنَ هِـندٍ ليَـخلِـدُ مُلكَـــــهُ نُوكُ كَثِيرُ

قَسَمتَ الدَّهرَ في زَمَنٍ رَخيٍّ كَذَاكَ الحُكمُ يَقصِدُ أو يَجُورُ

فلما قال عمرو بن هند لعبد عمرو ما قال طرفة قال: أبيت اللعن! ما قال فيك أشدّ مما قال فيّ، فأنشده الأبيات فقال عمرو بن هند: أو قد بلغ من أمره أن يقول فيّ مثل هذا الشعر؟ فأمر عمرو فكتب إلى رجل من عبد القيس بالبحرين وهو المعلّى ليقتله، فقال له بعض جلسائه: إنك إن قتلت طرفة هجاك المتلمّس، رجل مسنّ مجرّب، وكان حليف طرفة وكان من بني ضبيعة. فأرسل عمرو إلى طرفة والمتلمّس فأتياه فكتب لهما إلى عامله بالبحرين ليقتلهما وأعطاهما هدية من عنده وحملهما وقال: قد كتبت لكما بحباء، فأقبلا حتى نزلا الحيرة، فقال المتلمّس لطرفة: تعلمن والله إن ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب وإن انطلاقي بصحيفة لا أدري ما فيها؟ فقال طرفة: إنك لتسيء الظنّ، وما نخاف من صحيفة إن كان فيها الذي وعدنا وإلا رجعنا فلم نترك منه شيئاً. فأبى أن يجيبه إلى النظر فيها، ففكّ المتلمس ختمها ثم جاء إلى غلام من أهل الحيرة فقال له: أتقرأ يا غلام؟ فقال: نعم، فأعطاه الصحيفة فقرأها فقال الغلام: أنت المتلمس؟ قال: نعم، قال: النجاء فقد أمر بقتلك فأخذ الصحيفة فقذفها في البحيرة، ثم أنشأ يقول:

وألقَيتُهَا بالثَّني مِن جَنبِ كافرٍ كَـذلِكَ ألقي كُلَّ رَأيٍ مُضَلَّلِ

رَضيتُ لهَا بالمَاءِ لمّا رَأيتُهَا يَجُولُ بهَا التيَّارُ في كلّ جَدوَلِ

فقال المتلمّس لطرفة: تعلمن والله أن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي، فقال طرفة: لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترىء عليّ، وأبى أن يطيعه؛ فسار المتلمّس من فوره ذلك حتى أتى الشام فقال في ذلك:

مَن مُبلغُ الشُّعرَاءِ عَن أخــوَيهِمُ نَبَأ فتَصدقهم بـذاكَ الأنفُسُ

أودى الذي عَلِقَ الصَّحيفَة منهُما ونَجَا حِذارَ حيَاتِهِ المتلمِّسُ

ألقَـــــى صَحِفَتهُ وَنَجّت كُورَهُ وَجنَا مُحَمَّرَةُ المَنَاسِمِ عِرمِسُ

عَيرَانَةٌ طَبَخَ الهوَاجِرُ لحـــمَها فَكَأنَّ نُقبَتَها أدِيـمٌ أملَسُ

وخرج طرفة حتى أتى صاحب البحرين بكتابه، فقال له صاحب البحرين: إنك في حسب كريم وبيني وبين أهلك إخاء قديم وقد أمرتُ بقتلك فاهرب إذا خرجت من عندي فإن كتابك إن قرئ لم أجد بدّا من أن أقتلك، فأبى طرفة أن يفعله، فجعل شبان عبد القيس يدعونه ويسقونه الخمر حتى قُتل.

وقد كان قال في ذلك قصيدته التي أولها لخولة أطلال؛ انقضى حديث طرفة برواية المفضّل؛ وذكر العتبيّ سبباً آخر في قتله، وذلك أنه كان ينادم عمرو بن هند يوماً فأشرفت أخته فرأى طرفة ظلّها في الجام الذي في يده فقال:

ألا يا ثاني الظبي الذي يبرُقُ شنفاهُ

ولَولا الملكُ القاعدُ قد ألثَمَني فـاهُ

فحقد ذلك عليه، قال: ويقال إن اسمه عمرو وسمي طرفة ببيت قاله، وأمه وردة؛ وكان من أحدث الشعراء سنّاً وأقلّهم عمرا، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين. ورأيت أنا مكتوبا في قصته في موضع آخر أنه لما قرأ العامل الصحيفة عرض عليه فقال: اختر قتلة أقتلك بها، فقال: اسقني خمراً فإذا ثملت فافصد أكحلي، ففعل حتى مات، فقبره بالبحرين، وكان له أخ يقال له معبد بن العبد فطالب بديته فأخذها من الحوافر.

قال مطاع صفدي و إيليا حاوي[1]: كان مولد طَرَفة (543- 569م) في البحرين. نشأ يتيماً من أبيه، وكفله أعمامه، ولكنهم لم يعوّضوه عن فقدان الأب، بل حُكي أنهم اضطهدوه. فجعله ذلك متفرّداً منكفئاً على ذاته، متحللاً بفطرته من التقاليد الاجتماعية. واندفع الفتى منذ شبابه الباكر في حياة الفروسية واللّهو والمتعة، حتى طرده قومه، وجال في البلاد. ووصل أطراف الجزيرة، وتقرّب من بلاط المناذرة، حتى وقعت له الحادثة المشهورة مع خاله المتلمّس. فقد أرسله عمرو بن هند، هو وخاله، إلى عامله في البحرين، وحمّل كلاًّ منهما رسالة مُغلقة، أوهمهما أنها تتضمّن طلباً للمكافأة. وتروي القصّة أن المتلمّس فضَّ الرسالة أثناء الطريق، وعرف مضمونها، ونجا من القتل، في حين أن طرفة أبي أن يفتح رسالته ومضى إلى حتفه. فقتله عامل البحرين بناء على أمر الملك، وبعد أن خيّره في رغبة أخيرة يحققها له. فطلب طرفة أن يشرب الخمر ثم يُفصد. وقضى وهو دون الثلاثين من عمره.

وطرفة هو من الشخصيات شبه الأسطورية، في قافلة الشعراء الملحميّين الكبار، تنبثق شخصيته، كأحد فرسان الدَّفق الحيوي الخلاَّق في شباب حضارة كبرى مليئة. ذلك أن طرفة ساق حياة السالك المكتشف لروائع الوجود، المتمتع بألوان المعيشة العنيفة، المنطلق إلى مجاهل الإحساس البكر، في لقاء كل ما هو صاحب الوجود، رائع المثال، فوُصف بأنه فتى الجّهل الأول، ونعت أنه منفاق، مهذار، طليق إلى درجة التَّحدّي لتقاليد الآخرين، مستهتر بمقامات الرجال، ولو كانوا ملوكاً وأشقّاء ملوك، ولو كانوا سادة لقبائلهم وعشائرهم.

ولد والشعر منهمر في دمه من أصلاب أمه وأبيه. وكان تمرّده منذ الطفولة والشباب قد جعله يتيم الحبّ والتقدير لدى أبيه، واحتقاره للمال والثروة جعله فقيراً طريداً من قومه، واعتزازه بكرامته فصَل بينه وبين حياة القصر النّعماني، ومهّد لقتله غدراً، في تلك القصة الشهيرة المعروفة. بكورة في

[1] – مطاع صفدي وإيليا حاوي، موسوعة الشعر العربي، الشعر الجاهلي، ج2، إشراف: خليل حاوي، جمعها وصححها أحمد قدامة، ، شركة خياط، بيروت، لبنان، 1974، ص ص 385- 387.

اليُتْم، بكورة في التمرّد، فجّرا فيه فروسية الشعر وهو دون العشرين، وتصاعدت هذه الفروسية إلى أفق معاناة شمولية تلقاء الوجود قلّ مثيلها لدى أمثاله، وفي تلك الحقبة البعيدة من التّاريخ العربي.

لقد استطاع طرفة أن يقيم مذهباً وجودياً، بكل معنى الكلمة من خلال تعبيره عن حياته، ومن معايشة نزواته وأفكاره، بصورة صاخبة متأجّجة بالنّزوع إلى الحرية، وتحقيق الشخصية الذاتية بكل انفعالاتها الأصيلة، وتحدياتها لحتميات العالم الخارجي.

اهتم المستشرقون الغربيون بشعراء المعلقات وأولوا اهتماماً خاصاً بالتعرف على حياتهم، فقد قالت ليدي آن بلنت وقال فلفريد شافن بلنت عن طرفة في كتاب لهما عن المعلقات السبع صدر في بداية القرن العشرين: يحتل طرفة عند العلماء منزلة تلي امرؤ القيس كشاعر جاهلي، ليس لشعره الذي وصلنا، بل للقصائد التي فقدت. يضعه "المفضل" بين أساتذة المعلقات السبع التي يدعوها العرب "الصموت" خيوط العقد. كما يعتقد أن هذه المعلقة أكثر انتظاماً في بنيتها من كل المعلقات الأخرى، نظرة نقدية لها وزنها في كل المدارس. أما بالنسبة للقارئ الانجليزي، فإن هذا التفوق أقل وضوحاً. من المؤكد أن مطلع معلقة طرفة انتحال من معلّمه العظيم امرؤ القيس ولا يبرر أي جمال فكري خاص أو أسلوب بياني، الحكم على ما تبقى من القصيدة. كان وضعها في شكل انجليزي مقروء مهمة صعبة.

وقال عنه دبليو كلوستون في كتاب من تحريره وتقديمه عن الشعر العربي: كان طرفة بن العبد من قبيلة مزينة، أحد فخوذ قبيلة بني بكر، لذا سمي المزاني. أثبت نبوغه الشعري في سن السابعة حين كان مسافراً مع عمه والقافلة تستريح في الليل على ضفاف جدول صاف، وضع طرفة شركاً لصيد القبرة، لكنه لم يفلح. عندما عزمت القافلة على الرحيل ثانية عبر الصبي عن المناسبة بقصيدة .

يعود سبب نظم المعلقة إلى ضياع إبله وإبل أخيه. قال سي. دو بيرسيفال إن عمرو بن المرتضى، شيخ مدحه طرفة في معلقته قد أرسل إلى طرفة قائلاً إن الله وحده من يمنح الأبناء، لكن في

الأمور الأخرى سيعامله كواحد من أبنائه. ثم أرسل الشيخ في طلب أبنائه السبعة وأحفاده الثلاثة وأمر كلاً منهم بتقديم عشرة جمال إلى الشاعر، وبذلك عوض خسارته التي لامه أخوه عليها. .

قال عبد القادر فيدوم في دراسة له عن شعر طرفة: يحتل طرفة عند العلماء منزلة تلي امرؤ القيس كشاعر جاهلي، ليس لشعره الذي وصلنا، بل للقصائد التي فقدت. يضعه "المفضل" بين أساتذة المعلقات السبع التي يدعوها العرب "الصموت" خيوط العقد. كما يعتقد أن هذه المعلقة أكثر انتظاماً في بنيتها من كل المعلقات الأخرى، نظرة نقدية لها وزنها في كل المدارس. أما بالنسبة للقارئ الإنجليزي، فإن هذا التفوق أقل وضوحاً. من المؤكد أن مطلع معلقة طرفة انتحال من معلّمه العظيم امرؤ القيس ولا يبرر أي جمال فكري خاص أو أسلوب بياني، الحكم على ما تبقى من القصيدة. كان وضعها في شكل إنجليزي مقروء، مهمة صعبة.

في ما يخص تاريخ نظم المعلقة، قد يكون ذلك في العام 550 قبل الميلاد، ويقول البعض إنها كتبت في الأسابيع الأخيرة من حياته عندما كان سجيناً في البحرين، غير أن فحواها لا يدعم هذا الرأي. من الواضح أنها قصيدة شاب يافع يعاني من مشاكله البدوية الصغيرة وشجاره مع أقربائه. ولعلها نظمت في الصحراء قبل لقائه عمرو بن هند في الحيرة. الأبيات الوحيدة التي تلمح للبحرين هي التي يقارن هوادج نساء قبيلته بالسفن. لكن هذا بعيد جداً عن الحكم النهائي. من المؤكد لو أنها نظمت في فترة متأخرة أن غضبه كان سينصب على عمرو، الذي ظلمه أكثر من ابن عمه مالك، كونه شاباً طائشاً.

يقول المفضل صاحب "جمهرة أسفار العرب" عن اسم طرفة الصحيح هو عمرو بن عبد، مدعياً إن اسم طرفة اسم منتحل. لكن هذا الرأي غير مقبول ولا معنى لاسم طرفة، إن كان اسماً منتحلاً.

وتختلف المصادر الأدبية في تحديد سنة ميلاد طرفة بن العبد، إذ ليس من السهل تحديد تاريخ ميلاده تحديداً قاطعاً- خاصة- في مثل هذه الفترة التي نقلت إلينا عن طريق الرواية وليس عن طريق الكتابة. ويكاد يجمع الرواة والإخباريون على أن طرفة عاش على وجه التقريب ما بين 535-568م، غير أن فؤاد افرام البستاني حاول أن يضبط تاريخ ميلاده فقال: « أما نحن فلا نرى بأساً في جعل مولد طرفة سنة 543م، إذ لا نعرف رواية تخالف ذلك، ولا نرى ما ينافيه من الحوادث التاريخية».

ومن الراجح أن يكون طرفة قد ولد في هذا التاريخ الذي حدده البستاني بـ 543م، باعتباره قال الشعر وهو صغير، ثم التحق ببلاط ملك الحيرة عمرو بن هند الذي قربه إليه في بداية الأمر، ثم ما لبث أن حقد عليه فأرسله إلى عامله بالبحرين ليقتله وذلك قبل انتهاء فترة حكم عمر بن هند سنة 568م، الذي حكم على وجه التقريب من سنة 554م إلى 568م، ومن ثم يكون طرفة قد توفي قبل هذا التاريخ بقليل.

أما بخصوص نظرة النقاد القدامى إليه فقد عده معظمهم من الشعراء الفحول، وربما أول ما يلفت النظر قبل التعرض إلى رأي القدماء في شعره هو ما قالته أخته الخرنق بعد أن رثته بقولها:

عددنا له ستاً وعشرين حجة   فلما توفاها استوى سيداً ضخما

وقولها استوى سيداً ضخما يبرر ما له من مكانة أدبية في عصره وهو بعد صغير السن .وكان مما قاله ابن سلام الجمحي: فأما طرفة فأشعر الناس واحدة: (يعني معلقته) وتليها أخرى مثلها وهي:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر   ومن الحب جنون مستعر

ومن بعد له قصائد حسان جياد.

ويذكر الأنباري بإسناده إلى أبي عبيدة الذي قال: أجود الشعراء قصيدة واحدة، جيدة طويلة، ثلاثة نفر: عمر بن كلثوم والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد.

وجاء في رواية أخرى عن أبي عبيدة يذكرها ابن قتيبة أنه قال: مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا، فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله :من أشعر العرب؟ ففعل، فقال لبيد: الملك الضليل يعني امرؤ القيس فرجع فأخبرهم قالوا: ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله: فقال: صاحب المحجن يعني نفسه.

ويذكر الجاحظ أنه ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد، وعبد يغوث، وذلك أننا إذا قسنا جودة أشعارهما في حال الأمن والرفاهية.

وقال أبو العلاء المعري على لسان محاوره مخاطباً طرفة في رسالة الغفران: ولو لم يكن لك أثر في العاجلة إلا قصيدتك التي على الدال لكنت قد أبقيت أثراً حسنا.

ويظهر من خلال هذه الآراء أنها تروي منزلة طرفة الشعرية التي أحرزها بين شعراء عصره، فاعتبر من متقدمي الفحول وأسبقهم إلى الإجادة في معظم إبداعه الفني وبخاصة في ابتكاره بعض المعاني. واتفق النقاد على أن طرفة لم يسبقه في الجودة غير امرئ القيس، بل ربما كان طرفة أجود منه في وصف الناقة حيث أبدع في وصفها.

وإذا كان ابن سلام قد وصفه في الطبقة الرابعة مع عبيد بن الأبرص، وعلقمة ابن عبده وعدي بن زيد، فليس من شك في أن السبب يرجع إلى قلة ما وصله من شعره وهو ما صرح به ابن سلام في بداية حديثه عن الطبقة الرابعة بأنهم "أربعة رهط فحول، شعراء، موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة" ومن ثمة فالسبب لا يعود إلى جودة الشعر وإبداعه فحسب، وإنما إلى قلته، ونظرة القدماء عن الكم من أهم المقاييس التي من شأنها تقدم هذا الشاعر أو ذاك عن سواه.

الباب الأول: البنية الصوتية

- الفصل الأول: تطوّر الدّرس اللّغوي الصّوتي.

- الفصل الثاني: دراسة عناصر البنية الصوتية في مقاطع من أبيات المعلَّقة.

الفصل الأول: تطوّر الدّرس اللّغوي الصّوتي.

1) الظّاهرة الصّوتيّة في الموروث العربي.

2) الجهود الصّوتيّة لأبي الأسود الدّؤليّ.

3) الدرس الصّوتي عند الخليل بن أحمد.

4) الدّرس الصّوتي عند سيبويه.

5) الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي.

6) الظّاهرة الصّوتيّة في الدّرس اللّساني الحديث.

1) الظّاهرة الصّوتيّة في المورث العربي:

لا أحد ينكر أنّ تاريخ الأمم السّالفة حافل بالدّراسات اللغويّة، وكان ذلك حافزاً قويّاً لتطوّر الدّرس اللّساني الحديث، وهذه الحضارات القديمة وإن لم تأت بشهادة علمية كافية عن الدّرس اللّغوي، ولم يتعمّق في تفسير ظواهره وتبيان حقائقه، إلاّ أنّها تشكل إرهاصات مهمة عن نشأة هذا الدّرس، الضارب بجذوره في أطناب التاريخ، وأهمّ ما يمكن ذكره كنموذج عن هذا الوصف، ما قدّمته الحضارة الهندية من إنجازات العالِم اللّغوي "بَانيني"، « إذ يعتبر الهنود من أولى الأمم التي وصفت الأصوات اللّغوية، وصفاً دقيقاً من حيث النّطق، في تاريخ الإنسانية»[1].

والعرب كبقية الأمم، اعتنت عناية كبيرة بكلّ ما يتصّل بلغتها، ولما كانت هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية، تُساير حركة المجتمع، في نموّه وازدهاره وفي انحطاطه ورُقيّه، أصبح تحديد بداية الدرس اللغوي تحديداً دقيقاً، غير مُيّسر، لأنّ الأمر يرتبط بنشأة المجتمعات، وهذا لا يمنع الباحث من الخوض في حيثيات النشأة، من خلال استقراء الموروث اللّغوي، ومساءلته بالمناهج اللّسانية الحديثة.

لقد شكّل المستوى الصّوتي للّغة، قطبَ الرّحى، الّذي سارت حوله جلّ الدّراسات اللّسانية القديمة والحديثة، أكثر من غيره من مستويات اللّغة.

وتعني الظاهرة الصّوتية تلك الممارسات اللّغوية ذات المنحى الصّوتي، والتي كانت حاضرة في أدبنا العربي، قبل أن يُنظِّر لها الدّرس اللّساني، وقبل أن تُطرح مسألة اللحن في اللّغة العربية وخوف العرب على لغتهم وغيرتهم عليها، بل قبل نزول القرآن الكريم، والحرص على تلاوته وتجويده فحتّى عهد أبي الأسود الدّؤلّي كانت اللغة لا تزال (أصواتاً يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم)، وفعلاً إجرائياً أكثر منها مادةً علميّة، قابلة للدّرس والتمحيص، لأنّ العرب لم تكن أهل قراءة وكتابة، إنّما كانت أهل إنشاد وسماع، وقيمة الألفاظ تُدرَك بالسّمع، لأنّ « الألفاظ داخلة في حيّز الأصوات، لأنّها مركّبة

---

[1] – أحمد حَساني، مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 56.

من مخارِج الحروف، فما يستلذّه السمع منها، فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه، فهو القبيح»[1] وذلك لأنّ الاهتمام بكلّ ما له علاقة بالصّوت اللّغوي، قديم عند العرب، وحضور حاسة السمع كان فاعلاً في النّسيج الشعري وبالتالي كانت مُسوّغات حضور الظاهرة الصّوتية في العصر الجاهلي كثيرة وتتمثل في إنشاد الشّعر والاهتمام بالموسيقى الخارجية.

وهذه الظاهرة الأخيرة تتجلّى أساساً في العصر الجاهلي، فكان شعراء هذا العصر يعتمدون على السّماع وينشدونه في أسواق العرب أو عند موارد المياه أو في مجالس القبائل[2].

ودورُ الرّواة في نقل الأخبار والوقائع والأحداث كان بارزاً جدّاً، وكان الشعر بفضلهم يُنشر بسرعة فائقة بين القبائل، ضف إلى ذلك، أنّ الشاعر كما يقول شوقي ضيف: « لا ينطق شعره فحسب، وإنما يحاول أن يُنغِّم ألفاظه وعباراته حتى ينقل سامعيه وقارئيه من اللغة الاعتيادية إلى لغة موسيقية ترفعهم إلى عالمه الشعري»[3].

كما لا يمكن بحال من الأحوال أن نُغفل التشكيل الخارجي الذي يعتمده الشعر الجاهلي فهو أساس مبنيّ على الإيقاع السّمعي يضبطه نظام الوزن والقافية، ومع ذلك فالعرب لم تعرف أوزان الشعر بتعلّم قوانين صناعية إنما كانت تنظم بطبعها، على حسب ما يهيّئه لها إنشادها وهي أوزان الشعر التي أسماها الخليل فيما بعد ببحور الشعر.

وإذا تصفّحنا معظم المباحث التي أثرت موضوع الفصاحة قديماً، فإننا نلاحظ أن العرب قد افتتنت بالجانب الجمالي للّغة في مستواها الصّوتي، فجعلوا الكلام الفصيح هو ما خلا من عيوب في النطق، وقال معاوية يوماً: « من أفصح النّاس، فقال قائل: قومٌ ارتفعوا عن لَخْلخانية الفُرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم عَمْغمة قَضاعة ولا طَمْطَمانية حمير، قال:

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، 1995، ص 155.
[2] – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، ص 140.
[3] – شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط7، ص 113.

من هم، قال: قريش»[1]. كما أنّ العرب تتمادح بسعة الفم وتُذم بصغره، لأنّ السّعة أقدر على تحقيق الحروف وجهارة الأداء، واستثقلوا النّطق بكلمات تتباعد مخارج حروفها، مثل: مستشزرات[2].

ومن هنا يتضح أن الفصاحة ليست الظّهور والبيان كما ورد في معاجم اللغة إنّما هي قريبة لفهم ابن سنان الخفاجي الذي يراها « تقع في جرس الألفاظ، وتناسب حروفها، لا في معانيها، فهي صفحة محسوسة تدرَك بالسمع وليست معقولة تدرَك بالعقل»[3] ولهم في كل ذلك أخبار ونوادر لا يهمّ ذكرها في هذا المقام، تروي أنّه من الدلائل الطبيعية على الفصاحة، استعمال جميع الفم، وتفخيم الأداء، ووزن المخارج، دون تمتمة أو فأفأة، أو تنطُّع أو تفيهُق* وهو ما ذمّه النبيّ – صلّى الله عليه وسلم- في الحديث الشريف: « أبغضُكُم إليّ الثرثارون المتفيهقون»[4].

لأنّ ما تفرّد به عليه الصّلاة والسّلام، في عربيته « لفظ مُسبع، لسان بَليل، تجويد فخم، ونطق عذب وفصاحة متأدية»[5].

ونحن إذا عرضنا الفصاحة عند العرب بهذا الوصف لسنا نتجاهل الأصل اللّغوي للفظ الفصاحة وهو الظّهور والبيان[6]، أو ننْقل من شأن الفصول التي عقدها الجرجاني، للرّد على ابن سنان، بأنّ الفصاحة تكون في المعنى وليس في اللّفظ[7]، ولكنّا وجدنا في هذه القراءة نموذجاً آخر عن تلك

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968، ص 492.

[2] – صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص 9.

[3] – ينظر، ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، شرح وتصحيح، عبد المتعالي الصّعيدي، مصر، د.ت، ص 260.

* – تنطُّع: رمي اللّسان إلى الغار الأعلى، تفيْهُق: تكلّم من أقصى فمه.

[4] – مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص 202.

[5] – مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ص 202- 203.

[6] – ينظر، أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاد لغة العرب، ص 24.

[7] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق، محمد التُنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص 264.

الممارسات اللّغوية الصوتيّة، التي امتهنتها العرب في كلامها قديماً، ثم إنّنا أردنا الاستدلال بوصف متميّز غير جائز، أنّ الفصاحة تتحقّق في النّص المنطوق لا المكتوب.

وممّا لا شك فيه أن الأسلوب في نظم الكلام وترديد الأصوات، استرعى اهتمام العرب قبل أن يبدأ التقعيد للدّرس اللّغوي الصّوتي، فأدركت العرب في فطرة سليمة ما تحدثه أشكال البديع اللّفظي، من جمالية في جرس الأصوات، وربما كان ذلك مُسوِّغاً، لتعلّقها بفنون الإيقاع اللّغوي، وتشدّقها بضروب السّجع والجناس، ورأوا المزيّة أحياناً في تجويد العبارة قبل إخراجها وارتبط شرف اللفظ بديباجته، مُتمثِّلا في صورة منطوقة مسموعة، تستلذُّها الأسماع قبل الآذان، وتُطرَب لها الآذان قبل العقول، ولقد نجد عن ذلك أمثلة عديدة حملتها أمهات الكتب العربية. إذن فدرسنا الصوتي قبل أن يفتتح له عهد التنظير والتقعيد، كانت مادّتُه لا تزال تتخمّر في هذه الظواهر الصّوتية والتي تتجلى في إنشاد الشعر وروايته والحفاظ على البناء العمودي للقصيدة (الوزن والقافية) والافتتان بأساليب الفصاحة، وألوان البديع، وذلك لأنّ الصدمة الأولى للنفس العربية إنّما هي أوزان الكلمات وأجراس الحروف.

2) الجهود الصّوتية عند أبي الأسود الدؤلي.

يُعدّ القرآن الكريم أساس الدرس النحوي والبلاغي والدراسات الصّوتيّة، وعليه تأسست وبه انتشرت، ولم تكن هذه العلوم منفصلة عن بعضها، بل نجدها قد توزعت بين معارف وعلوم تلك الفترة، بما في ذلك مادة الدّرس الصّوتي وأهم هذه العلوم هي: إعجاز القرآن، البلاغة ، فقه اللغة، القراءات، التجويد، العَروض... الخ.

وقد شكّلت الجهود الصّوتية لعلماء القراءات والتجويد إرهاصات حقيقية للدرس الصّوتي العربي ممثّلة في الفروع الآتية:

أ) **علم القراءة:** وهو العلم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها[1].

ب) **التجويد:** هو إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقّه، ومستحقّه من الصّفات[2]. وقد نشأ هذا العلم في ظلّ علم القراءة، أما الأداء العملي في قراءة القرآن، فلقد تلقاه المسلمون عن الرّسول –صلّى الله عليم وسلم.

ج) **الرّسم والضبط:** ويتعلق برسم كلمات القرآن الكريم وحروفه، وضبطها بعلامات وحركات مميّزة، بدأ بتكليف الخلفاء الراشدين، بداية بأبي بكر، وبعده عثمان، رضي الله عنهما، إلاّ أنّ المصاحف التي دوِّنت في زمنهما خلت من علامات الإعراب ومن الإعجام ثم جاء بعدهما أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم ويحي بن يعمُر العُدواني، والخليل بن أحمد

[1] – ينظر: محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، دار الوليد، طرابلس، ليبيا، 2003، ص 101.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 116.

الفراهيدي، في فترات متلاحقة خلال القرن الأوّل لاستكمال علامات الإعراب وإعجام الحروف[1].

ولقد ازدادت عملية التحري والعناية لحفظ القرآن الكريم من اللّحن والخطل، وازدادت أكثر عندما اختلطت الأجناس الأخرى بالمسلمين ويعود النسب في ذلك إلى أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد دُوِّنا بهذه اللغة الغربية كما أنّهما أصلا الدين والملة، فكان من الواجب على علماء العرب أن يدوّنوا أحكام هذا اللّسان العربي ويضعوا مقاييسه ويستنبطوا قوانينه.

ولم ينتبه العرب إلى شيوع اللحن وتسرب الخطأ إلى لغتها، إلا في منتصف القرن الأوّل، فكان ذلك حافزاً لأبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) الذي قام بضبط القرآن الكريم بإيعاز من عليّ كرّم الله وجهه، والذي أشار إليه بحفظها، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة، ثم كتب فيها الناس بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد أيام الرشيد. وقد كشفت هذه الضوابط الدلالية التي اهتدى إليها أبو الأسود عن فكر ثاقب، ودراية واسعة باللغة، فكانت نواة البداية التي انطلق منها درسنا اللغوي.

إن نص أبي الأسود وكتابه يحمل دلالات كثيرة بقيت لفترة متأخرة، يكتنفها الغموض والشمول، وكان ممّا أوصى به تلميذه: « فإذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، فإن ضممتُ فمي فانقط نقطة فوقه، على أعلاه، وإن كسرتُ فاجعل النقطة تحت الحرف، وإن اتبعت شيئا من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين»[2].

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

[2] – صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 17.

وبذلك استطاع أبو الأسود الدؤلي، بوضع شيء يقيس عليه العرب كلامهم، أن يدرأ اللّحن، عندما فسدت السّليقة العربية الصحيحة والسّليمة، فكان بذلك أوّل من أسّس في العربية[1]، ونهج سبيلها ووضع قياسها .

3) الدّرس الصّوتي عند الخليل بن أحمد:

إشراقات الموروث العربي لا تنطفئ شعلتها أبداً، ولا تزال تسهم في إثراء الدّرس اللغوي الحديث، وكلما أمعنّا القراءة ودققنا النظر في هذا التراث الهائل من إنجازات القدماء، كلما تراءت بين فصوله بحوث كانت مهملة، أو غير واضحة المعالم والحدود، ولئن بدا الدّرس الصّوتي الحديث حدوده واضحة ومستقرّة، فجدير بنا أن نعلم كيف نشأ هذا الدّرس؟ وكيف تطوّر؟ ثم من هم أولئك الصّفوة المختارة من علماء اللغة الذين عكفوا عليه وحملوه إلى الأجيال؟ وهل قامت مصطلحاته دفعة واحدة ومتزامنة معه؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الموضوع.

إنّ أوّل أثر عربي وصل إلينا، يدوّن علم الأصوات، هو كتاب العين لصاحبه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، فقد شهد هذا القرن نشأة العلوم، وبداية توطيد المعارف العربية الإسلامية، لأنّ اللّغة العربية دخلت مرحلة جديدة، عرفت فيها الجمع والإحصاء، والتدوين والتصنيف والدّراسة، فالخليل أحصى ألفاظ اللّغة العربيّة بطريقة حسابية في كتاب رتّبه على حروف المعجم، مقدِماً حروف الحلق مبتدئا منها بالعين ولذلك معجمه بالعين[2]. لقد مثّل كتاب "العين" موسوعة في العلوم، « إذ

[1] – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984، ص 21.

[2]– أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاد لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، ط27، 1969، ص 28.

ورد الحديث فيه عن: المعاجم، اللغة، النّحو، الصّرف، العَروض، البلاغة، الأدب، أيام العرب، كما أنه شرع طرائق الدّرس الصّوتي وأسّس لنشأة المعجمية العربية»[1].

قد حلّت العربية عهداً جديداً، واكتظت مجالسها بالعلماء واللغويين، بعدما كانت مقتصرة على الفقهاء، وتفرّعت عن علومها إلى نحو وبلاغة، ونقد وفلسفة، بعدما كانت مقتصرة على الدين، وازّيّنت معاجمها وكتبها بالمصطلحات، فهي لا محالة مقرونة بالعلوم، والخليل هو الرائد الأوّل لهذا الباب، بما تميز به من عبقرية فذّة وبما تميّزت به بحوثه من أصالة وابتكار.

وإن كان المقام في هذا العرض لا يتسع للبحث في صحة نسبة كتاب العين إلى الخليل، فإنّ تلك الفصول والأبواب التي عقدها الخليل في معجمه الأصيل، تعدّ بحقٍّ ذروة المعرفة بالعربية، وأبنية ألفاظها، بعدما كانت الدراسة حينها تكاد تنحصر في رواية الشعر وجمعه طالما هو ديـوان العرب، «وقد ألّف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد كتاب العين، فأتعب من تصدّى لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصِف له بالغيب معترِفٌ، والعائد متكلِّف، وكلّ من بعده له تبع، أقرّ بذلك أم جَحدْ»[2].

وتتوزع دراستنا لمقدمة كتاب العين على محورين رئيسيين، أوّلهما يتعرّض للوسائل الفونيتيكية التي أشار إليها الخليل وثانيهما يتطرّق لبعض المسائل الفنلوجية التي ورد فيه والتي كانت آية الإبداع في مقدمة معجمه.

3-1 الموقعيات عند الخليل:

وزّع الخليل الأصوات حسب مخارجها في جهاز النطق من أقصى الحلق إلى الشفتين، وفي تحديده لمخرج الصوت أو موقعه، كان يقرن الصوت بالألف، كان يفتح فاه بالألف، ثم يُظهِر الحرف

[1] – أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1998، ص 19.

[2] – ابن دريد، الجمهرة، نقلا عن محمد قدور، أصالة علم الأصوات، ص 35.

نحو **أَبْ، أَتْ، أثْ**... فيكون بذلك الألف عماداً وسلّماً للسان، إلى حرف البناء، وذلك لأن العرب لا تبدأ بساكنٍ[1].

إنّ تعبير الخليل عن موضع الصّوت لم يستقر على مصطلح واحد[2]، إذ يستعمل له: المبدأ والمخرج، والمدرج، والحيّز. وكما يتضح من نص المقدمة، فإنّ المبدأ هو الموضع الذي يتجمع فيه الصوت، « العين والحاء والهاء والغين حلقية، لأن مبتدأها من الحلق»[3].

وبعد تجميع الصوت ينطلق في صورة مدركة، ونقطة انطلاقه هي المخرج ويعبّر عنه كذلك بالمدرج، « واعلم أنّ حروف الذّلق والشفوية ستة هي: الرّاء واللام، والنّون والفاء والباء والميم، وإنّما سُمّيّت هذه الحروف ذُلقاً، لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرق آسلة اللّسان والشفتان، وهما مُدرجتا هذه الحروف الستّة، ومنها ثلاثة ذلقية: الرّاء، اللاّم، النّون، تخرج من ذلق اللسان، من طرف غار الفم وثلاثة شفوية: الفاء، الباء، الميم ومخرجها من الشفتين»[4].

3-2 جهود الخليل في الكتابة العربية:

كان الخليل على ما وصفه الزبيدي: « فطِناً شاعِراً، استنبط من يسبقه إلى مثيله سابق»[5]، وإن أمكن حصر الجهود الصّوتية للخليل، فإن الباحث مكي درّار يوجزها في ثلاثة أبعاد متمثلة في الإصلاح، والاختراع، والتنويع، وتتجلّى هذه الأبعاد الثلاثة في تعامله مع الحركات (الصّوائت)، فهو قد استبدل نقط الإعراب التي وضعها أبو الأسود بعلامات مستقاة من الحروف (الصّوامت).

---

[1]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، تح: عبد الله درويش، مط. المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، ط1، 1967، ص 52.

[2]- ينظر، مكي درّار، المجمل في المباحث الصّوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 38.

[3]- الفراهيدي، العين، ج1، ص 65.

[4] - الفراهيدي، العين، ج1، ص 67.

[5] - أبو بكر الزبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، ص 47.

جعل الخليل القيمة الصوتية مبدأ من مبادئ عملية في ترتيب وجمع مادة اللغة العربية واستيعابها ووقف من خلال روايته الواسعة[1]، على المهمَل والمستعمَل، مما يتركب منه الكلام العربي، أما غايته من كتابه كما تقدم، فهي حصر أبنية العربية، فلا يخرج منها عن هذا الحصر شيء، مستعيناً في ذلك بمعرفته الواسعة بأسرار الحروف وتركيبها، من حيث المخرج والصّفة وممارسته لعلوم الرياضيات والحساب. لقد اهتدى الخليل إلى كون اللغة بوصفها كلاماً منطوقاً، يُتداول مشافهةً، يجب الاهتمام بأصواتها المنطوقة، قبل حروفها المكتوبة، وهكذا ابتكر الخليل ترتيبه الصوتي العجيب بعد أن « دبّر ونظر إلى الحروف كلها، وذاقها، فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أوّلاً بالابتداء، أدخل حرف منها في الحلق»[2]. وقد هداه ذواقه للحروف لأن يُخرِج هذا الترتيب، يبدأ فيه بأبعد الحروف مخرَجاً، وهو الحلق، ثم الأدنى فالأدنى، الأرفع فالأرفع وصولاً إلى الشفتين « وإنما كان ذواقه إيّاها، أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يُظهِر الحرف»[3].

3-3 عدد الحروف وترتيبها:

هي تسعة وعشرون حرفاً، يتألّف منها كلام العرب وقد روي عن الخليل قوله: « في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صِحاحاً، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء، والألف اللّينة والهمزة»[4].

وفي هذا الترتيب احترم تدرج مخارج الحروف ابتداء من الحلق إلى الشفاه بالشكل الآتي:

- الأصوات الحلقية: ع – ح– د– خ – غ.
- الأصوات اللّهوية: ق– ك.

[1] – ينظر، شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، 1968، ص 16.
[2] – الخليل، العين، ج1، ص 48.
[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 48.
[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 57.

- الأصوات الشجرية: ج- ش- ض.
- الأصوات الأسلية: ص- س- ز.
- الأصوات النطعية: ط- د- ت.
- الأصوات اللّثوية: ظ- ذ- ث.
- الأصوات الذّلقية: ر- ل- ن.
- الأصوات الشفوية: ف- ب- م.
- الأصوات الهوائية (في إنتاجها يخرج الهواء طليقاً) وهي (وايء)»[1].

3-4 أعضاء جهاز النّطق:

لقد وصف الخليل بن أحمد الدّراسة التشريحية لأعضاء النطق في مقدّمته، وصفاً مضيئاً، ويقول عنه محمد قدور: « إذا نظر المرء إلى هذه الرّوايات المنسوبة إلى الخليل مجتمعة، هاله ما كان يتصرّف فيه من معلومات هائلة ودقيقة، تزيد في تفصيلاتها على ما يعتمده الدّرس الحديث من تحديد لأعضاء النّطق، مع تقدّم الوسائل»[2].

ومع استفاضته في تشريح جهاز النّطق، مما استمده من سابق معارفه عن خلق الإنسان، فإنّ الدّرس الصوتي عند الخليل قد تجاوز موضع الحنجرة، ولا يشير إليه، رغم أن كلمة حنجرة معروضة لديه[3]، فاكتفى بأن نسب موضع صوتي الهمزة والهاء إلى أقصى الحلق مع أنّهما صوتان حنجريّان،

[1] – عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1996م، ص 12.
[2] – أحمد محمد قدور، اللّسانيات وآفاق الدّرس اللّغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 69.
[3] – ورد ذكرها مرتين في القرآن الكريم (سورة الأحزاب آية 10، وسورة غافر آية 18).

وهو ما أشار إليه ابن سينا بعده[1]، وإن كان هو الآخر (ابن سينا) لم تصل به معرفته إدراك دور الوترين الصّوتيّين في إحداث الأصوات.

مما سبب غموضاً في تعريفات القدماء للجهر والهمس، رغم أنهم تحسّسوا شيئاً من الترديد أو الصّدى المنبعث من الصّدر أو الحنجرة، وفي ذلك إدراك أوّلي لأثر حركة الوترين الصوتيين.

3-5 بعض المباحث الفونولوجية التي أوردها الخليل:

إن ما ذكره الخليل عن ترتيب الأصوات، تقسيمها وصفاتها، يمكن تصنيفه ضمن المباحث الفونيتيكية التي أبدعها في الدّرس الصّوتي العربي، ولما كانت غاية معجمه هي جمع أبنية العربية، ومعرفة صحيحها، وتمييزه من الدّخيل المولّد منها، إذ يقول: « ولكن ألّفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل»[2]، فقد امتدت أجزاء بحثه إلى فروع ومباحث أخرى هي من صميم الدّرس الفونولوجي.

ومن بين الظواهر الفونولوجية التي أشار إليها الخليل في مقدمة كتابه، قضايا متفرّقة حول مجاورة الحرف للحرف، تقديماً أو تأخيراً، ومصاحبة الحرف للحرف في كلمة واحدة، ومثل ذلك عدم وجود أصل تجتمع فيه ضاد تليها كاف، من دون فصل بين الحرفين، وكذا عدم جواز ائتلاف الحروف متقاربة المخارج، « واعلم أنّ الحروف إذا تقاربت مخارجها، كانت أثقل على اللّسان»[3].

[1] - ينظر، أبو علي الحسين بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطّيان ويحي سيرعلم، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1983، ص ص 108، 112، 114.

[2] - الخليل، العين، ج1، ص 39.

[3] - ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ص 46.

ولا يمكن – في هذه العجالة– استيفاء مقدمة كتاب العين، بما استفاضت به من مواد صوتيّة أثرت الدرس الصّوتي القديم ولعلّ فيما أشرنا إليه ثَبْتٌ لِما يؤسِّس للصوتيات العربية في تراثنا اللغوي.

ولئن كانت الغاية من هذه المقدمة هي المعجمية، فإنّ ما لا يمكن تجاهله هو كونها أسست لعلم الأصوات ووضعت بواكير معلوماته بحيث لم يدركها العلم إلا بعد قرون من عصر الخليل.

ورغم أن علم الأصوات لم يكن – حينها– قد اكتمل، لأنه كانت تتجاذبه علوم شتّى، والخليل نفسه لم يُشر إليه كمصطلح أو عنوان، إلاّ أن المصطلحات الواردة في مقدمة العين هي مصطلحات عربية المصدر، لغة ومعرفة، والمصادر العلمية التي ترجع إليها هذه المصطلحات الصوتية، ليس من علوم العرب ومعارفها عن خلق الإنسان، ولا تشير الروايات أن هذه المصطلحات نتاج الترجمة والاقتراض من الشعوب الأخرى.

وتجدر الإشارة أن الخليل درس الصوت اللّغوي مفرداً معزولاً عن سياقه، فكانت دراسته فونيتيكية، تُصنِّف الحروف، وترتّبها وتبحث في مخارجها، وتشرح جهاز النطق، ثم التفت إلى وظيفة الصوت اللغوي، فتفطّن إلى قضايا أخرى فونولوجية، من جملتها كيف أن الصوت يتأثر بما يسبقه أو يليه من أصوات، فيفقد بعض خصائصه، ويكتسب أخرى وتباعاً لذلك يتغير معنى الكلمة، ورغم كل هذا لم يسلم هذا المعجم من طعن بعض العلماء ممن ألفوا المعاجم أو تدارسوها.

4) الدّرس الصّوتي عند سيبويه

استطاع المتقدمون من اللغويين بالملاحظة فقط أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات اللّغويّة، فبيّنوا مخارج الأصوات وصفاتها واهتموا بمباحث صوتية أخرى، لا تزال مادتها محل اختلاف علم اللغة الحديث.

وعلى رأس هؤلاء المتقدمين، سيبويه الذي جعل دراسة النظام الصوتي مقدمة أساسية لا بدّ منها، وذلك من أجل دراسة النظام الصّرفي، وفي "الكتاب" قدم إسهاماته الصّوتية أثناء حديثه عن الإدغام، بوصفه ظاهرة صوتية صرفية، «ففي باب الإدغام تناول الأصوات بالوصف من حيث المخرج، وطريقة النطق والجهر والهمس والتفخيم والترقيق»[1].

كما لم يختلف منهجه عن منهج أستاذه الخليل، ففي كثير من المواضع لا تكاد نتائجه التي توصل إليها في "الكتاب"، تختلف عمّا ذكره الخليل في مقدمة كتاب العين، فتراه يوافقه تارة، ويخالفه تارة أخرى، ويمكن لقارئ الكتاب أن يكتشف الفروق الموجودة بين هذه الأعمال المبذولة في المجل الصوتي.

وسنعرض إلى ما ذكره سيبويه عن الأصوات، بنفس الطريقة التي نهجناها في دراستنا لمقدمة كتاب العين، وليس هدفنا في ذلك المقارنة بين العملين فحسب، وإنما أيضا كي يقف القارئ على أهم ما تفرد به سيبويه في نفس المجال.

4-1 مخارج الحروف عند سيبويه:

كان حديث سيبويه عن مخارج الأصوات مستفيضاً قدم فيه جهاز النطق بما يحويه من تجاويف، وأعضاء، وموقعيات، مقترنا بالحديث عن الحروف، واقتصر فقط على ذكر الأعضاء التي تدخل في إحداث الأصوات، ويقول عن منهجه العام في دراسته الصوتية:

[1] – تمام حسان، العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1973، ص 50.

« والحروف العربية ستّة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة»[1].

- فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف.
- ومن أوسط الحلق: مخرج العين والحاء.
- وأدناها مخرجاً من الفم، الغين والخاء.
- ومن أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.
- ومن أسفل من موضع القاف، من اللّسان قليلاً، وبما يليه من الحنك الأعلى، مخرج الكاف.
- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والزاي.
- ومن بين أوّل حافّة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
- من بين أول حافّة اللّسان، من أدناها إلى منتهي طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليهما من الحنك الأعلى.
- ومن حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليها، من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.
- ومن مخرج النّون، غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلاً، لانحرافه إلى اللاّم مخرج الرّاء.
- وممّا بين طرف اللّسان، وأصول الثنايا، مخرج الطّاء والدّال والتاء.
- وممّا بين طرف اللّسان وفويق الثنايا مخرج الزّاي والسّين والصّاد.

---

[1] – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1966، ص 431.

- ومما بين طرف اللّسان، وأطراف الثنايا، مخرج الضاد والذال والثاء.
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلا، مخرج الفاء.
- وممّا بين الشفتين، مخرج الباء والميم والواو.
- ومن الخياشيم النون الخفيفة[1].

هذا مجمل ما ذكره سيبويه عن مخارج الحروف يبدؤها من أقصاها مخرجاً إلى أدناها، ابتداءً من الحلق إلى الفم، وما هو ملفتٌ للانتباه هو أنّ مخرج صوت اللام لم يرد مع طبعة الكتاب – تحقيق عبد السلام هارون–. وقد أشار الدكتور مكي درّار إلى هذا المخرج في كتابه – المجمل في المباحث الصوتية[2]– مأخوذاً عن طبعة أخرى.

4-2 عدد الحروف وترتيبها:

اعتمد سيبويه في ترتيبه لحروف العربية على المخارج، ويقول في باب الإدغام: « فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً وهي: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضّاد، والجيم، والشين، والياء، واللاّم، والرّاء، والنّون، والطّاء، و الدّال، والتاء، والصاد، والزّاي، والسّين، والظّاء، والذّال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو»[3].

أمّا عدد الحروف عنده فيزيد وينقص، حسب تحديده لطبيعة الحروف ونوعها، لأنه قسمها إلى أصول وفروع عن هذه الأصول، منها تسعة وعشرون حرفاً هنّ أصول، وستة حروف هنّ حروف مستحسنة، وسبعة حروف غير مستحسنة. « أما المستحسنة فهي التي عُرفت في لغة من يوثق

[1] – ينظر، سيبويه، الكتاب، ج4، ص ص 432- 433- 434.
[2] – ينظر، مكي درّار، المجمل في المباحث الصوتية، ص 40.
[3] – سيبويه، الكتاب، ج4، ص 431.

بعربيته، وتُستحسن في قراءة القرآن، وإنشاء الشعر، بحيث لا تشوب المنطق منها هُجنة أو زراية»[1]، أما الحروف الغير المستحسنة في قراءة القرآن وأشعار العرب، فيجدها تمام حسان ثمانية، ويقول عنها: « لم يذكر سيبويه ما إذا كانت هذه الأصوات لحناً مما أصاب ألسنة العرب، بسبب مخالطتهم الموالي، أو أنّها وردت على ألسنة الموالي فقط»[2].

إن ترتيبه للحروف على هذا النحو، هو إجراء اعتمد فيه سيبويه على المستوى الصوتي، كما أن تقسيمه الحروف إلى أصول وفروع قد أثرى الدّراسات الصّوتية قديماً، وقد نبّه مبكراً إلى إشكالات جمّة، تعتري الكتابة الصوتية الحديثة، والتي يمكن تغافلها، من جملتها أنّ هذه الرموز – الأبجدية- التي نكتب بها الحروف، لا تعبّر بدقة عمّا أسماه سيبويه بالحروف والفروع، ولا تشير برسمها إلى الاختلافات النطقية الموجودة بين بعض الأصوات الفروع.

فهي تُدرك مشافهة، أو عن طريق النطق والسماع ومثال ذلك: الهمزة التي بين بين، «وهي همزة متحركة تكون بعد ألف، أو بعد حركة، فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية، لا يصاحبها إقفال الأوتار الصوتية نحو: أأنتَ قلتَ للنّاس»[3]. ويمكن للقارئ أو الباحث أن يطلع على الإدغام من كتاب سيبويه على بعض هذه الأصوات التي إذا أريد الترميز لها، وجب الرّجوع إلى أصولها.

---

1 - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط6، 2001، ص 113.

2 - تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، ص 54.

3 - المرجع نفسه، ص 53.

3-4 جدول ترتيب الحروف عند الخليل وسيبويه:

ترتيب الخليل	ترتيب سيبويه[1]
ع ح هـ خ غ - حلقية	ء ا هـ - أقصى الحلق
	ع ح - أوسط الحلق
	غ خ - أدنى الحلق
ق ك - لهوية	ق - أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى
	ك - فوق اللسان وما يليه من الحنك الأعلى.
ج ش ض - شجرية	ج ش ي - وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى
ص س ز - أسلية	ض - أول حافة اللسان، وما يليه من الأضراس.
	ل - حافة اللسان إلى الطرف وما فوقها.
ط د ت - نطعية	ن - من أدنى حافة اللسان وطرفه وفويق الثنايا.
	ر - من مخرج النون إلا أنها أدخل في ظهر اللسان
ظ ث ذ - لثوية	ط د ت - طرف اللسان أصول الثنايا
ر ل ن - ذلقية	ز س ص - طرف اللسان وفوق الثنايا
ف ب م - شفوية	ظ ذ ث - طرف اللسان وأطراف الثنايا
و ا ي ء - هوائية (لا يتعلّق بها شيء)	ف - باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا
	ب م و - ما بين الشفتين

[1]- مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية، ص 40.

ارتأينا في هذا الجدول، أن نورد ترتيب الحروف، كما وردت في مقدمة العين، متقابلة مع ترتيبها في كتاب سيبويه، فتسهل بذلك عملية المقارنة، بين جهود العلمين في مجال عدد حروف العربية، وترتيبها ومخارجها.

4-4 قراءة في الجدول:

يمكننا تدوين بعض الملاحظات في قراءتنا لهذا الجدول، نحصرها فيما يلي:

- يُقسّم الخليل المخارج إلى ثمانية، بينما يُفصِّلها سيبويه في خمسة عشر مخرجاً يُضاف إليها مخرج النون الخفيفة، ما يجعل عدد المخارج عنده ستة عشر.
- لا يعتبر الخليل الهمزة من الحروف الحلقية، فهي مع الواو والألف والياء، بدون مخرج، وهوائية لا يتعلّق بها شيء.
- بين العملين اختلاف في ترتيب حروف الصّفير (ص، ز، س)، وكذلك في ترتيب حروف الذّلاقة، فالرّاء عند سيبويه، وردت بعد اللام والنون.
- كما يظهر الاختلاف في ترتيب المجموعات، ففي كتاب العين وردت حروف الصّفير بعد الضّاد، أما في الكتاب فنجد بعد الضّاد حروف الذّلاقة.

5-4 تصنيف الصوائت:

إضافة إلى جهوده الصوتية في مجال الصّوامت يستعمل سيبويه كثيرا من المصطلحات التي تتعلق بالصوائت وهي مقترنة بالحديث عن حركات اللّسان.

إذ يقول: « أنّ ما حملهم على هذا، أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفّ عندهم»[1].

[1] - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 341.

وبذلك فالرّفع والنصب والجرّ أو الخفض إنّما هي أوصاف لوضعيات اللّسان، أثناء حدوث الصّوامت، وفي هذا الوصف التحام بين الصّائت والصّامت، « لأنّه لا يمكن لأحدهما أن يوجد في غياب الآخر»[1].

ويمكن تصنيف حديثه عن علامات الإعراب وعن البناء، ضمن مبحث مستقل، يرتبط بالصوائت، فمجموع العلامات عنده ثمان، « وهي تجري على ثمانية بحار، على النّصب، والجرّ، والرفع، والجزم، والضّم، والكسر، والوقف»[2].

وبذلك، فإنه لا يختلف في تقسيمه للعلامات، عن تقسيم المحدثين، الذين أفردوا الصوائت، بمباحث مستقلة في الدرس الصوتي الحديث.

وتتحدد طبيعة حروف المد عنده، حسب السياق الكلامي، فهي إما حرف صحيح (صوت صامت) أو حرف مدّ (صوت صائت)، إذ نجد أن الواو، والياء، والهمزة في هذه الكلمات (صل، يجِد، قرأ)، هي حروف صحيحة، أما في الكلمات (يدعو، بعيد، قال) فهي حروف مدّ للصائت الصغير قبلها (الذي هو إما ضمة أو كسرة، أو فتحة). ثم يُفرد للواو والياء حالاً أخرى، يكونان فيها بين الصامت والصائت، ويسميهما حينها صوتاً ليّناً، كالواو في مثل (قوْمٌ، نوْمٌ)، والياء في مثل (قَيْدٌ، صَيْدٌ).

وإن بدا أن سيبويه يجاري الخليل في تقسيم الأصوات، من حيث الجهر والهمس، لا يمكن إغفال تفصيله الفريد للصّفات في الكتاب، تفصيلاً قائماً على الملاحظة الذاتية، وبعيداً عن التأويل والافتراض، إذ هو يصنِّفها إلى: صفات أساسية وصفات ثانوية، وصفات خارقة.

---

[1] – مكي درّار، المجمل في المباحث الصوتية، ص 68.

[2] – سيبويه، الكتاب، ج1، ص 14.

فيقول عن الجهر والهمس: « فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت، بينما المهموس، فحرف أضعف الاعتماد في موضوعه، حتى تجري النفس معه»[1].

لقد كشف تعريفه للجهر والهمس، عن ذكاء مفرط، وملاحظة مستمرة، وظل هذا التعريف مرجعاً لا يتوانى النحاة عن اعتماده حينما يضطرون لوصف الجهر والهمس، ونذكر منهم، المبرّد في المقتضب، والزمخشري في المفصل، وابن جني في سرّ صناعة الإعراب إلى غير أولئك من العلماء، الذين ساروا على نهج الخليل وسيبويه.

والحروف المجهورة تسعة وعشرين: ء، ا، ع، غ، ف، ج،ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ظ، ذ، ب، م، و.

أما المهموسة فهي: هـ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف.[2]

ومع تفصيله في صفتي الجهر والهمس، لم يصل سيبويه إلى تحديد الوترين الصّوتيين، رغم أنه كان يدرك أثرهما في حدوث الصوت، أو على أقل تقدير، كان يتوقّع حدوث ضغط ولين في موضعها أثناء النطق.

ونجد في الكتاب تصنيفاً آخر للأصوات، إذ يُصنِّفها إلى شديدة ورخوة، ومتوسطة، وهي صفات ثانوية، ويميّز سيبويه بين الصّفات الأساسية والصّفات الثانوية بالنظر إلى جريان النفس، وحدوث الصوت فيجد: « أنّ الأساسي يمتنع فيه النّفس، والثانوي يمتنع فيه الصوت»[3].

---

[1] - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 434.

[2] - ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 59.

[3] - مكّي درّار، المجمل في المباحث الصوتيّة، ص 52.

لقد اعتمد سيبويه في توزيع صفات الحروف على ثنائيات متقابلة، فالجهر يقابله الهمس، والشدة تقابلها الرّخاوة ولم يجعل التوسّط قسماً بين الشدّة والرّخاوة، إلا أثناء حديثه عن حرف العين: « أمّا العين فبين الشّدة والرّخاوة، تصل إلى الترديد فيها لشبهتها بالحاء»[1].

إنّ الصفة الأساسية للأصوات تتحدّد باعتبار كمية النفس المتدفّقة، أما الصّفة الثانويّة، فيمكن تحديدها بالنّظر إلى قوة الصوت عند حدوثه في موضعه، وعندما يتداخل صوتان في نفس الموقع، ويتماثلان في صفتهما الأساسية والثانوية، فإنّنا في هذه الحالة تراعي الصفة الفارقة والتي يقصد بها الإطباق والانفتاح أثناء انطباق اللّسان وانفتاحه أثناء النطق أو حدوث الصوت.

وذلك حتى نفرّق بين هذين الصوتين، ونميّز بين خصوصيات كل منهما، فمثلاً الطاء والدّال، هما صوتان يشتركان في كون كلاهما: صوتاً نطعياً (المخرج)، مجهوراً (الصّفة الأساسية)، شديداً (الصّفة الثانوية)، وهما بذلك يتداخلان فيزيولوجياً (المخرج)، وفيزيائياً (الصّفات)، ويمكن إدغامهما في حرف واحد، لذا وجب أن نلجأ إلى الصّفة الفارقة لكل منهما، والتي هي الإطباق في الطاء، والانفتاح في الدّال، فيزول بذلك التداخل بين الصوتين، ويستحيل إدغامهما، وتصبح معه الطاء غير الدّال.

إن مثل هذا الإجراء هو – فقط– إجراء تحليليّ، لأنّه أثناء النّطق، يمكن للسامع أن يميِّز بين صوتيْ الطاء والدّال، دون الرجوع إلى صفاتهما.

ولئن كانت غاية سيبويه من كتابه هي وضع قوانين تضبط النّظام النحوي، والنّظام الصّرفي، وتحكم طرائق النطق بالعربيّة، وتعلّل ظواهرها اللغوية، كالإعلال والإبدال والقلب والإدغام، فهو مع ذلك قدّم وصفاً دقيقاً للظاهرة الصّوتية، في حدود ما سمحت به عبقريته، وإمكانات عصره، لولا أنّ استعماله لمصطلحاته يعتريه الغموض أحياناً[2].

---

[1] – سيبويه، الكتاب، ج4، ص 436.

[2] – ينظر: تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ص 60.

ونحن هنا، لسنا بحاجة إلى البحث عن آراء تشفع لتراثنا اللّغوي، ولكن ما أورده الأوروبيون أنفسهم، ممن أنصفوا التراث الإنساني، يشهد بتلك الإسهامات التي قدمها لغويّونا المتقدمين في مجال الدراسات الصّوتيّة الحديثة.

5) الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي

مع بقاء الأسس اللغوية التي أرساها الخليل وسيبويه من قبل، فقد شهد الدّرس الصوتي مع ابن جنّي تطوّراً ملحوظاً، انتقل فيه من الوصف التشريحي الذي عهدناه عند سابقيه، إلى الاهتمام بالقيمة الدلالية للأصوات اللغوية، إلى حدٍ يظهر فيه الصّوت اللّغوي كمرحلة أولى من البحث مكوّناً فيزيائياً فيزيولوجياً، وفي المرحلة الثانية، مكوّناً دالاً، يتأثر بجملة العلاقات التي يحدثها السياق، وهو ما يتفق إلى حدٍّ ما مع نظرية الفونيم في الدرس الصوتي الحديث.

أجمل ابن جنّي فصوله الصوتية في كتابيه، سرّ صناعة الإعراب، والخصائص، مبتدئاً بعلم الأصوات (الفونيتيك)، وصولاً إلى الوظيفة الدلالية للصوت اللغوي، وعلاقة الصوت بما يدل عليه من معنى، وهي مباحث فونولوجية.

وقد استعمل لأول مرة مصطلح علم الأصوات في كتابه سرّ صناعة الإعراب، إذ يقول: «ولعلم الأصوات والحروف، تعلُّق ومشاركة بالمسيقى، بما فيه من صنعة الأصوات والنّغم»[1].

وفي محاولة رائدة له في مجال الجهود الصّوتية العربية، شبّه ابن جني جهاز النّطق عند الإنسان بالنّاي، وشبّه عملية إحداث الأصوات بآلية العزف على النّاي، لأنّ الحلق يشبه إلى حدٍّ كبير هذه الآلة، « فالزّامر عند وضع أنامله على خروق النّاي، وملامستها بتحريك أصابعه، تفتح الخروق، فتسمع أصواتاً مختلفة، فكل خرق صوت يميّزه عن غيره وكذلك إذا قُطِع الصوت، في الحلق أو الفم، بالاعتماد على مواضع مختلفة، كان سبباً في استماعنا لأصوات مختلفة متباينة»[2].

---

[1] – عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفنولوجيا)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 165.

[2] – أبو الفتح عثمان ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 1993، ص 09.

1-5 تقسيمات الصّوامت:

تمثل عبقرية ابن جنّي في مجال الدّرس الصّوتي امتداداً لسابقيه، فهو لا يكاد يختلف كثيراً عن تقسيمات الخليل وسيبويه، في تحديد الخصائص الفيزيائية والفيزيولوجية للصّوت اللّغوي، وفي ترتيب الحروف وعددها.

إنّ عدد الحروف عنده يبقى تسعة وعشرون حرفاً، « واعلم أنّ أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً»[1].

وهي موزّعة على المخارج، ابتداءً بالحلق وانتهاءً بالشفتين، فاجتمع لديه ستة عشر مخرجاً، لا يختلف ترتيبها عما وضعه سيبويه.

أما صفات الأصوات، فمن حيث الجهر والهمس، فإنّ المهموسة يجمعها عنده لفظ – (ستشحثك خصفة)[2]– وبقية الحروف هي مجهورة.

أما من حيث الشّدة والرّخاوة، فيقول: « وللحروف انقسام آخر، إلى الشدّة والرّخاوة وما بينهما، الشديد منها ثمانية أحرف يجمعها لفظ (أجدك قطبت)، والحروف بين الشدة والرخاوة ثمانية، يجمعها في لفظ (لمْ يُروّعنا) وما سوى هذه الحروف فهي رخوة، وفي نفس المعرض يُعدد ابن جنّي صفات أخرى للأصوات اللغويّة، نكتفي بالإشارة إليها مجملة ومنها:

- الحروف المطبقة هي: الضّاد، الطاء، الصّاد، الظّاء، وما سواها فمفتوح.
- حروف الاستعلاء سبعة هي: الخاء، الغين، القاف، ومعها حروف الإطباق.
- الحروف الصّحيحة: كلّ الحروف صحيحة ما عدا الألف والياء والواو.

---

[1] – ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص ص 9- 10.

[2] – ينظر، مكي درّار، المجمل في المباحث الصوتية، ص 56.

- حروف القلقلة: يجمعها لفظ (قطب جدّ).

- الحروف المهتوتة: الهاء.

- حروف الذّلاقة: اللاّم، الرّاء، النّون، الفاء، الباء، الميم وباقي الحروف، فهي مُصْمتة، لا يُعتمد عليها بذلق اللّسان.

ويميّز ابن جنّي الأصوات الصّامتة (الحروف الصحيحة) من الأصوات الصّائتة (حروف العلة)، وحروف العلة عنده هي الألف المسبوقة بفتحة، والواو المسبوقة بضمّة، والياء المسبوقة بكسرة، أما الحروف الصحيحة فهي بقية الحروف.

كما يصنِّف الواو والياء، مرّة مع حروف العلة، ومرة مع الحروف الصحيحة، فهما بالوصف السابق صوتان صائتان، لكنهما إذا حُرِّكا قوِيا، وألحِقا بالصوامت، ومثل ذلك: الواو في (وَلدٌ) والياء في (يَترُك)، فإنّهما يقعان موقع الصّوت الصّامت في التركيب الصوتي للغة العربية، « لهما شَبَه نطقي بالحركات من جهة، وشبه وظيفي بالصوامت من جهة أخرى، في مرتبة بين بين، لذا عدَّهُما بعض العلماء من أنصاف الصّوامت، ولكن الأشهر هو عدُّها من أنصاف الحركات semi voyelles»[1].

ويعتبر ابن جنّي الحركات أنصافاً لحروف اللّين، إذ يقول في ذلك: « اعلم أنّ الحركات أبعاض لحروف المدّ واللّين، وهي الألف والواو والياء، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة هي الضمة والكسرة والفتحة... وأنّك متى أشبعت واحدة منهنّ، حدث بعدها الحرف الذي هي بضعُه»[2].

ومن النّاحية الصوتية، تعتبر ألف المد فتحةً طويلة، وياء المدّ كسرة طويلة، واو المدّ ضمة طويلة، أما الفرق بين حروف المدّ (و،ا،ي) وأنصافها (الحركات)، فلا يعدو أن يكون فرقا في الكمية،

---

[1] - كمال بشر، علم اللّغة العام، مؤسسة العارف للطباعة والنشر، مصر، 1980، ص 107.

[2] - ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص 63.

والصوائت هي الأخرى تقاس كمياتها مثل الصوامت، في التفخيم (الاتساع)، أو التوسط (الاستعلاء)، أو الترقيق.

لقد أولى ابن جنّي اهتماماً كبيراً للصّوائت العربية، بما أفرده لها من أبواب مستقلة في كتاب الخصائص، مشيراً لها بـ « مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف ومحل الحركات من الحروف»[1]، كما نجده في الخصائص يعقد فصولاً صريحة عن الكميات الصّوتية، موسومة بالعناوين التالية:

1. كمية الحركات.
2. مطل الحركات، (طول الحركات، إشباعها، تمديدها...).
3. مطل الحروف.
4. إنابة الحركة عن الحرف.
5. هجوم الحركات على الحروف[2].

5-2 الفرق بين الصّوت والحرف عند ابن جنّي:

يُفرّق ابن جنّي في دراسته الصّوتية بين الصوت والحرف، فالصوت عنده هو عرض عام يشترك فيه الإنسان والحيوان، أمّا الحرف فهو الصورة الذهنية للصّوت المنطوق، الذي اختص به الإنسان دون غيره من الكائنات، وإذا كان لا بدّ من صوت لكلّ حرف يُنطق به، فإنّ العكس غير وارد تماماً.

[1] - ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوثيقية، د.ط، د.ت، ص 315.
[2] - المصدر نفسه، ج3، ص 347.

بهذا المفهوم يُعبِّر ابن جنّي عن الحرف، فيقول: « عَرَض يخرج من النفس مستطيلاً مُتصِّلاً، حتى يعرض له في الحلق والشفتين، مقاطع تثنيه في امتداده واستطالته، فيُسمّى المقطع أينما عُرِض له حرفاً»[1].

ومن المحدثين من حاول التفريق بين الصّوت والحرف، فاعتبر الحرف هو الصورة الكتابية للصوت المنطوق، « يصف بعض المحدثين الحروف بأنها حيل أو وسائل كتابية، تستخدم لتمثيل النّطق وتصويره... إذ أن الكتابة ليست من جوهر اللغة، فاللغة أقدم من الكتابة، والكتابة غرض، واللغة مجموعة من أصوات لغوية، والكتابة رمزٌ لهذه الأصوات، وهذا هو الفرق بين الصوت والحرف»[2].

إن الحرف بهذا المفهوم لا يتفق مع التعريف الّذي وضعه ابن جنّي، لأنّ الحرف عنده مرتبط باللغة ارتباطاً مباشراً، ثم إنّ اللغة أصوات، وكذلك الصوت عنده قسيم للحروف، حينما يستعمل مصطلح (علم الأصوات والحروف).

3-5 القيمة الدّلالية للصّوت اللّغوي عند ابن جنّي:

لم يقف ابن جني في حدود الدراسة التشريحية لجهاز النطق ومخارج الأصوات وصفاتها، إنما اتسّعت عبقريته لتشمل مباحث صوتية أخرى، لها ارتباط وثيق بالفونولوجيا، فدرس الصوت باعتبار خصائصه الوظيفية، متجاوزاً قيمته الذاتية (طبيعته الفيزيائية والفيزيولوجية).

وقد أتاحت له هذه النقلة في مجال الدراسة، لأن يتنبّه إلى صلة الصّوت بمدلوله، أو ما يعرف باقتران ذاتية الصّوت بدلالته المعنوية، وفي هذا الباب « جمع ألفاظا وُجِد بين حروفها اشتراكاً في الصفات الفونولوجية فأفضى ذلك إلى تقاربها في الدلالة»[3].

---

[1] – ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ص 16.

[2] – عبد العزيز الصّيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 221.

[3] – منقور عبد الجليل، علم ا لدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص 129.

ومن بين أمثلته، هو تلك المشاكلة الموجودة بين الأصوات والأحداث المعبّرة عنها، قوّة وضعفاً، فالصّوت القويّ للحدث القويّ، أما الحدث الضعيف فيناسبه الصوت الضّعيف، «حتى إنّهم يراعون مواضع الحروف من معانيها، فيجعلون الحرف الأضعف فيها، والألين والأخفى، والأسهل والأهمس، لما هو أدنى وأقل وأخفى عمَلاً (حدثاً) وصوتاً، ويجعلون الحرف الأقوى والأجهر والأشد، لما هو أقوى عملاً، وأعظم حِسّاً»[1].

إنّ تعامل ابن جنّي مع وحدات اللفظ، يجعلها أصواتاً لغوية لها علاقة بالدلالة، وقادرة على تعبيرها، يحيلنا إلى ما أفضى إليه الدرس الصوتي الحديث عن نظرية الفونيم، فهو يرى أن الصّوت اللّغوي وحدة تركيبية دالة وليست مجرد أجزاء تمتاز بمخارج وصفات، ولئن عجّت الكتب اللغوية الحديثة بتعريفات الفونيم، فإنّا نعتقد في غير جزم، أن ما أورده أحمد مختار عمر في قوله: « الفونيم كل صوت قادر على إيجاد صوت دلالي»[2]، يتوافق نسبياً مع ما قدّمه ابن جنّي عن القيمة الدلالية للصوت اللّغوي.

في مناسبة الصوت للحدث الدّال عليه، يقول ابن جنّي: « ألا ترى أن الخضم لكل رطب، والقضم لكل يابس، وبين الرطب واليابس، ما بين الخاء والقاف من الرخاوة والصّلابة»[3]، فالقاف الشديدة صوت يلازم أكل الصّلب (قضمت الدابة شعيرها)، بينما الخاء ليّنة مهموسة، تناسب أكل الرطب والرخو، وفي الأثر (قد يُدرك الخضم بالقضم)، أي الرّخاء بالشدة، واللّين بالشظف.

ومن أمثلة ذلك يقول ابن جنّي أيضاً، في الفعلين توصَّل وتوسَّل: « فالوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، لذا جعلوا لها الصاد لأنها أقوى صوتاً من السّين، لما فيها من الاستعلاء، والتوسّل دليل على

[1] – الرّافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط6، 2001، ص 107.
[2] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ت، ص 199.
[3] – ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 155.

الضّعف، فجُعْلت الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف، وكذلك نضخَ ونضحَ، فالنضحُ للماء الضّعيف، لما فيه من رقة الحاء، والنّضخ لما هو أقوى من الماء، لغلظ الخاء»[1].

ومتى أوقعنا تغييراً بين الفونيمات، أو استبدلنا أحدها مكان آخر، أصبح للتركيب الصوتي الجديد دلالة جديدة، إذ التركيب الصوري للفظ، يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يقابله، وإن كان ذلك صعباً تطبيقه على كل عناصر النظام اللغوي، إلاّ أنّه يبقى طرحاً جريئاً، من قبل ابن جنّي له قيمته العلمية، وسبقُه المعرفي في عصره. كذلك من القضايا التي أولاها ابن جنّي بالدّرس الصّوتي، ما يحدثه تغيير الصّيغة الصّرفية (المورفولوجية) للفعل من تغيير في الدلالة، فمثلاً التضعيف الذي يقع في عين الفعل، هو إجراء صوتي، يتم على مستوى أقوى الفونيمات في تركيب الفعل، ويصاحب هذا التضعيف تفريع دلالي إضافي، إذ يقابل التضعيف تكثير وتكرار للحدث، فلنتأمّل قوله تعالى:﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[*]، فغلّقت الأبواب تدل على التكثير.

وقد اهتدى ابن جنّي إلى أن الصوائت في العربية، لها نفس الدور الذي تقوم به الصوامت، وإن أيّ إبدال يتم على مستوى الصوائت هو الآخر يصاحبه تغيير في الدلالة، لأنّها أبعاض للحروف (فمثلا توالي الحركات في بنية الكلمة، يقابله تواليها في الحدث، كالمصادر التي جاءت على وزن "فعلان" كغثيان، غليان...).

ولابن فارس أمثلة كثيرة في هذا الصدد يمكن للباحث أن يطلع عليها، ويقول في هذا الموضوع: « وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يميّزون بالحركات وغيرها بين المعاني، يقولون: مِفْتح، للآلة التي يُفتح بها، ومَفْتَح لموضع الفّتح، ومِقَصّ لآلة القصّ، ومَقَص للموضع الذي يكون فيه القصّ»[2].

[1] – ابن جنّي، الخصائص، ج2، ص 161.

[*] – سورة يوسف، الآية 23.

[2] – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963، ص ص190- 191.

وتبقى القضايا الفونولوجية التي أثارها الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي كثيرة، لا يمكن ذكرها في معرض واحد لكن ما لا يُدرَك كله لا يُترك كلّه، لذلك آثرنا أن نشير في هذه العجالة إلى بعضها بإيجار.

وهذا مجمل ما أمكننا الحديث عنه في مجال الدراسات اللغوية الصّوتية، في التراث العربي، في حدود ما تسمح به المنهجية العلمية لمثل هذه البحوث التراثية التي يتعسّر فيها الجمع والوصف والتركيز، ناهيك عن مساءلتها، وقراءتها، بآليات ومناهج اللّسانيات الحديثة ومع ما يدركه القارئ، في كون هذه الآليات والوسائل تمخضت في أجواء غربية، وليس لنا أن نضعف أو نتهاون في قراءة التراث، « أولئك الذين شافهوا فصحاء العرب، وأخذوا اللغة من منابعها الصافية، بطرق علمية دقيقة، وحلّلوا وفسّروا الكثير من ظواهرها البنيوية وأجلّهم قَدْراً، الخليل وسيبويه، أبو عليّ الفارسي وابن جنّي»[1]، قراءة حديثة تسبر أغواره وتفسير ظواهره ومكامنه.

[1] – عبد الرحمن الحاج صالح، علم اللسان الحديث، مجلة الفيصل، ط2، 1977، ص 32.

6) الظاهرة الصوتية في الدّرس اللّساني الحديث:

بعد هذا الحديث عن الجهود الصوتية في الدرس اللساني عند المتقدمين، فسوف ينتقل بنا البحث إلى الدّراسات الصوتية الحديثة، إذ لا يمكن للباحث أن يتجاهل بعض التساؤلات التي قد تصادفه أثناء بحثه، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالدّرس اللغوي الحديث، وخير نموذج وقع عليه اختيارنا هو إبراهيم أنيس، ولم يكن الاختيار وليد الصّدفة، لأنّا وجدنا فيما كتب أنيس، في مجال الصّوتيات العربية، مادة علمية كافية وثريّة نستكمل بها هذا المستوي البنيوي الصوتي.

لقد اعتمد إبراهيم أنيس في درسه الصّوتي على جهود المتقدمين من العرب، وما توصّلوا إليه من خلال دراساتهم اللّغوية.

ومن أهم الدوافع التي دفعته لإعادة طرح مادة التراث، هو ما يجده الباحث من غموض وصعوبة في قراءة التراث، مما يفرض عليه اقتفاء آثار المتقدمين بنفس المنهج وبنفس العبارات والألفاظ دون الوقوف على المصطلح المناسب، فكان ذلك سبباً كافياً، استلهم إبراهيم أنيس لإضافة فصل سجّل فيه ملاحظاته حول دراسة المتقدّمين لأصوات اللّغة، ويشرح بعض المصطلحات، مستعيناً بما أقرّه الدرس اللّساني الحديث.

وهو في ذلك، يعتبر أن هذه الجهود اللغوية التي يقدمها كتابه، هي من قيم الفونولوجيا، وإن بدت لبعض القراء مواضيع فونيتيكية، لأنه يُركّز دراسته على أثر الصّوت اللّغوي في تركيب الكلام، نحوه وصرفه، وهو مع هذا التصنيف، يجد من وجهة نظر علمية أنّ حدود الفونيتيك والفونولوجيا متشابكة، يصعب تحديدها.

ويمهّد إبراهيم أنيس دراسته بما يقدمه من مفاهيم عامّة ترتبط بالظاهرة الصوتية، فالصّوت عنده هو مدرك ناتج عن اهتزاز الأجسام، « لأنّه ظاهرة طبيعية، ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها»[1]،

[1] – إبراهيم أنيس، مقدمة كتاب الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط5، 1989، ص 06.

وتنتقل هذه الاهتزازات على شكل أمواج، عبر الهواء إلى الأذن، فتصبح أصواتا، أما ما يتحكم في شدة الصوت ووضوحه، فهو بُعد الأذن واقترابها من مصدر الصوت.

وفي الصوت الإنساني، فإنّ مصدر الذبذبات هو الحنجرة، وتحديداً من اهتزازات الوترين الصّوتيين، وإحداث الصّوت يتم بفعل اندفاع الهواء من الرئتين، وأثناء مروره بالحنجرة يُحدِث اهتزازات تصدر من الفم أو الأنف، وتنتقل عبر نظام التموّج إلى أذن مستقبل (إنسان آخر)، فيترجمها إلى أصوات.

وكلما كان الوتران الصوتيان أقصر وأقل ضخامة، كلما زادت سرعة اهتزازهما، وعدد ذبذباتهما في الثانية، وكلما طال الوتران وتضخّما، كلّما ضعفت حركتهما، واهتزازهما، لذلك فإنّ حدّة الصوت ودرجته، مرتبطة عند الإنسان بسنّه وجنسه، فالأطفال والنساء أحدّ أصواتا من الرّجال، والطفل بعد فترة البلوغ، يتضخم وتراه الصوتيان، فينتج عن ذلك عمق صوته.

ويلاحظ الباحث أن نتائج البحث عند إبراهيم أنيس، تستفيد كثيراً مما خَلُصت إليه الأبحاث المسيقية الحديثة، هذه الأخيرة أفضت إلى أن حناجر البشر متشابهة، فلا تكاد تختلف حنجرة الشادي، ذي الصّوت الرخيم، عن حنجرة غيره من النّاس، وما اختصّ به المطرب دون غيره، هو تلك الموهبة والقوّة الفطريّة، في السيطرة على عملية التنفّس وتنظيم اندفاع النّفس من الرّئتين.

وإن ما يمنح الصّوت الإنساني، صفتُه الخاصّة، ويميزه عن بقية الأصوات الأخرى، هو تلك الفراغات الرنّانة المضخّمة للصّوت، كفراغ الحلق، والفم، والأنف، « فهي بمثابة الصّناديق المجوّفة التي تشدّ عليها أوتار الكمنجة والعود»[1]، واختلاف حجم هذه الفراغات هو الذي يجعل أصوات النّاس مختلفة متمايزة.

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 08.

وربما وجدنا في هذه الصياغة الجديدة استلهاماً ممّا أبدعه ابن جنّي، حين شبّه النطق، وأعضاءه بالناي والثقوب الموجودة فيه.

1-6 نشأة الصّوت البشري:

بعد أن قدّم لنا جملة من المفاهيم التي تتعلّق بالظاهرة الصّوتيّة، انتقل إبراهيم أنيس إلى صياغة نظرية جديدة عن نشأة الصّوت البشري، إذ يُرجعها إلى عوامل أهمُّها: (الاستعداد الفطري عند الإنسان، والحاجة الغريزية والذكاء والممارسة).

فالإنسان مارس السمع قبل أن يمارس النّطق، وكانت مواجهته مباشرة بالطبيعة، ونطقه الأوّل لم يكن له مبرّر، إنّما يرجعه العلماء إلى رغبة غريزية، تلك التي تدفع الإنسان إلى اكتشاف أعضاءه، واستغلال أصوات نفسه، ثم إن العامل الأكبر، حسبه، في إذكاء ورقيّ اللغة هو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات من ذكاء واستعداد فطري وعقلي، ساعده كل ذلك في ترجمة الأصوات، وتفسيرها، ومن ثمة تقليدها، « وهو ما أدى به في آخر الأمر إلى تكوين لغته، ذات القواعد والأصول»[1].

لقد كان إبراهيم أنيس يدرك جيداً أهمية العملية السمعية وأثرها في نشأة الصوت البشري، قبل إدراك الصوت في حدّ ذاته، فالنبوغ كثير الاحتمال بين العُمي، في حين أنه نادر بين الصّم، وإن كانوا مبصرين، فهو – الصوت– وسيلة الفهم والإفهام، وعماد كل نموٍّ عقلي.

وقد أولى الدرس اللغوي الحديث عناية كبيرة بالعملية السّمعية، ربما لا نجدها في بحوث المتقدمين، فقدّم وصفاً تشريحياً لجهاز السمع (الأذن)، قبل أن يشرح الجهاز النطقي، وهي بتركيبها المعقّد مقسّمة إلى ثلاثة أقسام:

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 12.

- الأذن الخارجية.
- الأذن الوسطى.
- الأذن الداخلية.

وبعد ذلك، شرح آلية السّمع وكيفية انتقال الموجات، واستقبالها وترجمتها إلى أصوات لغوية، ثم قراءة الرسائل التي تحملها هذه الأصوات اللّغوية.

وجهاز النطق هو مبحث كان لا بدّ منه كمقدمة لدراسة الأصوات اللّغويّة، وتبيان خصائصها الفيزيائية، وتقوم دراسته على تشريح أعضاء الجهاز النطقي عند الإنسان، متدرِّجاً من الداخل إلى الخارج، أي من القصبة الهوائية إلى الشفتين، مستعيناً في ذلك بالرسومات التشريحية، والأشكال التوضيحية.

كما لا تختلف كثيرا، دراسة الجهاز النطقي، بين ما ذكره إبراهيم أنيس، وبين ما قدمته الدراسات التراثية، وقد تمكنّا من تسجيل بعض الملاحظات عمّا أفاد به الدرس الصّوتي الحديث، نعرضها فيما يلي:

- تتكوّن أعضاء النطق من: القصبة الهوائية، الحنجرة، الوتران الصوتيان، الحلق، اللّسان، الحنك الأعلى، الفراغ الأنفي، الشفتان.
- للقصبة الهوائية دورٌ في تغيير درجة الصّوت، وخاصّة إذا كان عميقاً، بعد أن كانت عند المتقدمين مجرّد مجرى للنّفس.
- أمكن علم الأصوات التجريبي من التشريح الدقيق لأعضاء النطق خاصة المعقّدة منها (كالحنجرة).

- اكتفى المتقدّمون عند حدّ اكتشاف الأثر الناتج عن حركة الوترين، في حين يقدمّهما إبراهيم أنيس أنهما: « الوتران الصّوتيان هما رابطان مرنان، يشبهان الشفتين... أما الفراغ الذي بين الوترين، فيسمّى المزمار، وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط، بنسب مختلفة مع الأصوات»[1].

فقد أصبحا من بين أعضاء جهاز النطق، يشكّلان فتحة المزمار، ويتحكمان في شكلها واتساعها، ولهذه الفتحة غطاء ينظم بين التنفس والبلع، ويُسمّى لسان المزمار.

- يعتبر اللسان عضواً هاماً في عملية النطق، وهو مقسَّمٌ عنده إلى ثلاثة أقسام، طرف اللسان، وسطه، أقصاه.
- يُقسّم الحنك الأعلى إلى: بداية الحنك (الأسنان وأصولها)، وسط الحنك (الجزء الصّلب)، أقصى الحنك (الجزء الليّن)، اللّهاة. وهذه الأقسام تنطبق وتتقابل مع أقسام اللّسان (على الترتيب) أثناء حدوث الأصوات اللغوية.
- يعتبر الفراغ الأنفي مخرجاً، تصدر عبره بعض الأصوات اللغوية (كالميم والنون).
- تتحكم حركة الشفتين في انفراجهما، واشتدادهما، وانطباقهما في إصدار بعض الأصوات اللغوية.
- لا يمكن الاستغناء عن الرئتين في عملية النطق، فهما مصدر النفس المندفع، ومع ذلك لا يُصنِّفهما صراحة ضمن أعضاء الجهاز النطقي للإنسان.
- أي إعاقة اصطناعية أو طارئة لحركة مرور النّفس في مجراه، تتسبّب في الخشخشة أو الشخير.

[1] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة، ص 17.

2-6 الصّفات الفيزيائية للصّوت اللّغويّ:

- **الجهر والهمس:**

الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، والصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران، فإذا انقبض الوتران تضيق فتحة المزمار، وفي هذه الحالة، إذا مرّ الهواء فإنهما يهتزان، ويحدثان صوتاً مجهوراً، أما إذا كانت فتحة المزمار متسعة، فإنّ الوترين لا يُسمع لهما رنين، إذا مرّ الهواء عبرهما.

ولتحديد طبيعة الصوت من حيث الجهر والهمس، فإنّ إبراهيم أنيس ينطق الصوت معزولاً، ليحقّق استقلاله، متفادياً بذلك طريقة المتقدمين من علماء الأصوات حين كانوا يقرنون الصوت بألف وصل قبله، فكانت أحكامه ونتائجه التي توصّل إليها مبنية على المنهج التجريبي، وتصدر – أحياناً– عن إجراءات عملية بسيطة.

كما تفيد إحصاءات درسه الصوتي أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام كلّه لا تتعدى الخُمس، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكوّن من أصوات مجهورة، ولو كان الأمر عكس ذلك لفقدت اللغة موسيقاها، ورنينها الذي يميزها عن الصّمت، كذلك فإنّ بعض الأصوات المجهورة لها نظائرها المهموسة مثل أصوات (د، ذ،ز، ض، ع، غ) نظائرها من الأصوات المهموسة هي على الترتيب: (ت، ث، س، ط، ح، خ).

- **شدّة الصّوت ورخاوته:**

يفرّق إبراهيم أنيس بين مخرج الصوت ومجراه، « فالمخرج نقطة معيّنة في المجرى، عندما يتكوّن الصوت... أما المجرى فهو طريقه من الرّئتين، حين يندفع من خارج الفم، أو الأنف»[1]، فالمخرج نقطة ثابتة، أما المجرى فهو مسار ممتد، يتحدد طوله حسب مخرج الصوت.

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة، ص 22.

وأثناء العملية الكلامية، فإنّ مجرى النّفس قد يضيق أو يتسّع أو ينحبس، وتبعاً لهذه الوضعيات الثلاث للمجرى، تكون طبيعة الصوت، وتتشكل ثلاثة أنواع من الأصوات هي:

- **الصّوت الشديد أو الانفجاري (Plosive)**: ينحبس فيه مجرى النّفس على مستوى المخرج، ثم يندفع مرة واحدة وبقوة محدثاً انفجاراً أو دويّاً، « مثلما يحدث حينما ينحبس النفس المندفع من الرئتين عند مستوى الحاجز الذي يتشكل من التقاء الشفتين، ثم لما ينفصلان انفصالا فجائياً، يتحرّر النفس محدثاً صوتاً انفجارياً، وهو ما نرمُز له في الكتابة بحرف الباء»[1].

- **الصوت الرخو أو الاحتكاكي (Fricative)**: يضيق فيه مجرى النّفس، فيحدث مرور النفس المندفع من الرئتين صفيراً (إذا كان المجرى ضيّقاً جدّاً)، أو خفيفاً (إذا اتّسع المجرى نسبياً)، وأكثر الأصوات رخاوة هي حروف الصّفير (س، ص، ز).

  - والأصوات العربية الرّخوة، كما تقرها التجارب العلمية الحديثة هي (د، س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ،ص، هـ، ح، خ، ع).

  - ولبعض الأصوات الشديدة نظائرها من الأصوات الرّخوة، مثل: (د) نظيره الرخو (ز أو ذ) و(ت) نظيره الرخو (س أو ث)...الخ، وعند اتحاد المخرج بين صوتين متناظرين، فإنّ الصوت الشديد يصدر حين ينحبس النّفس، وإذا سمح لهذا النفس أن ينطلق ببطءٍ أحدث ذلك صفيراً أو حفيفاً، ونتج معه الصوت النّظير.

- **الصّوت المتوسط**: يحدث مع بعض الأصوات اللّغوية أن يتسرّب النّفس إلى الخارج دون أن يحدِث انفجاراً أو حفيفاً أو صفيراً، فينتج عن ذلك صوتاً ليس شديداً ولا رخواً، وهو ما

[1] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص ص 22- 23.

يحدث أثناء صدور أصوات (اللاّم والنّون، والميم، والرّاء)، وتسمى هذه الأصوات اللغوية متوسطة.

وتجدر الإشارة، أنّ المتقدمين من علماء الأصوات زادوا عن هذه الأصوات الأربعة صوت العين، وهو ما لم يشر إليه إبراهيم أنيس إذ يقول: « ولقلّة التجارب الحديثة، التي أجريت على أصوات الحلق، لا نستطيع أن نرجح صحّة هذه الصفة لـ(العين)، بل نتركها لتجارب المستقبل»[1].

- **الأصوات الليّنة (voyelles) والأصوات الساكنة (Consonnes):**

تشترك أصوات اللّين في كيفية مرور الهواء في الحلق والفم، وخلوّ مجراها من الحوائل أو الموانع، « والأمواج الصوتية تحدثها في هذه الحالة الأوتار وحدها وترتبط بحجم وشكل تجويف الفم»[2]، أما في الأصوات السّاكنة فيعترض معها مرور النّفس حاجز أو عارض، إما كلّي (الانفجاري) أو جزئي (الاحتكاكي)، وكذلك فإن نسبة وضوح الصّوت في السمع تختلف في النوعين، فالأصوات الليّنة أكثر وضوحاً من الأصوات السّاكنة.

وتشير أيضا نتائج التحليل الفونيتيكي، أنّ أصوات (اللاّم، والميم، والنّون) أقرب إلى طبيعة الصّوت الليّن، لأنّها أكثر وضوحاً في السّمع، وهو ما يُسوّغ لبعض المحدثين بتسميتها (أشباه أصوات اللّين).

ويعتقد إبراهيم أنيس أن نسبة شيوع أصوات اللين، ودورانها في اللغات كثيرة، ولذلك يتعين على متعلم اللغات الأجنبية أن يتمرّن على نطق هذه الأصوات أكثر من التمرّن على نطق الأصوات السّاكنة، « لأنّ الفروقات بين أصوات اللّين كبيرة... بل إنّ لهجات اللغة الواحدة لتختلف فيها اختلافاً، بين كلّ لهجة من هذه اللّهجات»[3].

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 25.

[2] – مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص 49.

[3] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغويّة، ص 30.

وقد اضطر المحدثون إلى ضبط مقاييس أصوات اللين أكثر من غيرها من الأصوات السّاكنة، « وأوّل من عنى بهذه المقاييس، هو البروفيسور (دانيال جونز)، في جامعة لندن، إذ استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللّين»[1].

عُنيت الكتابة العربية منذ القدم بالأصوات الساكنة أكثر من الأصوات اللينة، ثم بدأ الدّرس اللغوي يتجه إلى أصوات اللّين، حين أدرك علماؤنا أنّ الكتابة في عهدهم كانت ناقصة، ولا تعبِّر عن كل الأصوات اللغوية، وبعد أن أدركوا أيضا أنّ الفرق بين الحركات وحروف المدّ هو فرقٌ في الكميّة.

ومع كون خصائص أصوات اللّين متشابكة ومتداخلة، بخلاف الأصوات الساكنة التي بدت خصائصها واضحة متمايزة، فإنّ مبحثه في مقاييس أصوات اللّين، وأشباه أصوات اللين كانت ميزة جديدة طبعت الدرس الصوتي الحديث.

وإنّ التمايز الموجود بين الأصوات السّاكنة، يجعل التفريق بين مخارجها وطريقة النطق بها بيّناً إذا ما قورن بالأصوات الليّنة، ويشترط إبراهيم أنيس أن ينطق الصوت ساكناً بمفرده دون أن يُسبق بألف وصل وهو منهج المتقدمين، واخترنا أن نورد هذه الصفات والمخارج كما وردت لديه مختصرة في الجدول الآتي:

[1] – محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، ص ص 82- 83.

المخارج	شديد		رخو		متوسط	
	مجهور	مهموس	مجهور	مهموس	مجهور	مهموس
شفوي	ب				م	
شفوي أسناني				ف		
بين أول اللسان، وطرفه، والثنايا العليا وأصولها			ذ	ث	ل	
	د	ت	ظ (إطباق)	س	ر	
	ض (إطباق)	ط (إطباق)	ز	ص (إطباق)	ن	
وسط الحنك	ج			ش		
أقصى الحنك		ك ، ق (أعمق)				
الأصوات الحلقية	ء (ليس مجهورا، ولا مهموسا)		غ	خ، هـ، ح	ع	

- **قراءة في الجدول:**

- تُقسَّم الأصوات الساكنة حسب مخارجها مصنفة في مجموعات كبرى وصغرى وتشترك أصوات كل مجموعة في قرب مخارجها، ثم يحدد صفاتها من حيث الشدة والرخاوة، والجهر والهمس.

- يعتبر درس الأصوات الساكنة أسهل من درس الأصوات الليّنة.

- يعتمد إبراهيم أنيس في منهج البحث على الإحصاء، ونتائج علم الأصوات المقارن (لأصوات اللغات الفرنسية والانجليزية والعربية)، كما يُشكك أحيانا في نتائج المتقدمين، وإن كان يجاريها في أغلب الأحيان.

- يندر أن تتحد اللغات في نطق صوت اللّين، في حين تتحد في نطق بعض الأصوات الساكنة.

- يؤثر تسمية أصوات (س، ز، ص) بالأصوات الأسلية بدل (أصوات الصفير)، تمييزاً لها عن بقية الأصوات الساكنة الأخرى، التي يحدث معها الصفير أثناء النطق.

- يعزي إبراهيم أنيس تطوّر بعض الأصوات في نطقها من اللغة الفصحى إلى اللهجة المصرية، إلى الظواهر والتغيرات الصوتية، فمثلا تطور القاف إلى همزة (الأمَر بلد القَمَر)، كون الهمزة أعمق في الحلق من القاف وهما يتشابهان في الصفات.

- استغرق الدرس الصّوتي عنده، بعض الأصوات الساكنة أكثر من غيرها.

وما لا يمكن تجاهله، أن الجهود الصوتية التي قدمها أعلام البلاغة العربية قديماً، «قد شكّلت معلماً معرفيّاً بارزاً، لا غنى للدارس العربي المعاصر عنه»[1]، هذا المعلم قد اتضحت ملامحه وفصوله في الدّرس الصّوتي الحديث، ونحن بهذا العرض نوشك أن نلّم نشأة هذا الدرس، تاركين الخيار لقرّائنا بين الجهود التراثية والجهود الصوتية الحداثية، ولا بدّ له من مثل هذا المجال، « لأنّ الحداثة في جوهرها ليست وليدة طفرة تاريخية بل هل هي قائمة على تراكم المعارف والخبرات، ولا يمكننا وبخاصّة في المعارف المتصّلة بتحليل الخطاب الأدبي أن تكتفي بنفسها، أو تستغني عن منجزات الموروث»[2]، فهي

[1] – قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص 109.

[2] – المرجع نفسه، ص 109.

وإن ثبتت نتائج المدارس اللّسانية الغربية، فإنّها لا تتوانى من جهة أخرى، على عقد المقارنات بين ما وصل إليه الغرب في مجال الصّوتيات وبين ما كان قد سبق إليه تراثنا اللّغوي.

وإن كان للنظر مجاله وللسمع مجاله، فإنّ مفهوم الصورة لا يقف عند حدود الصّورة البصريّة التي تُدرَك بالنّظر، إنّما تتجاوزه إلى صورة سمعية تُدرَك بجهاز السمع، طالما أن الحواس تتراسل وتتبادل لتدرك الأثر والإيحاء.

فمجال بحثنا في هذا الفصل هو البنية الصوتية، وإن كان لهذه البنية علاقة بما تتسقطه الأذن من أصوات لغوية بمختلف تشكّلاتها وتقابلاتها، نلفيها أشمل وأوسع من مفهوم الصورة السمعية، لأنها تدرس الدوال في حالتيها المتغيرة والقارّة، وبمعنى آخر المنطوقة والمكتوبة، بينما الصورة السمعية هي أثر ناتج عن الدّوال في صورتها المتحركة (المنطوقة) فحسب.

ويميّز "البنية الصوتية" ما قد يلتبس معه من مفاهيم مثل: البنية الصرفية والبنية النحوية، كما يستدعي مصطلح البنية مطلقاً "النظام والعلاقات"، لأنّ اللغة نسقٌ من العلامات ونظامها الصوتي قائم على وحدات نسقية صوتية، فهي – اللغة– بهذا التعريف منظومة من العلامات اللّغويّة، والبنية الصّوتيّة أيضا منظومة من الوحدات التي تكوّن الصّوت اللّغوي، وتدخل في بنائه، وتجعله قابلاً للوصف والتحليل، وأهم وحداتها هو ما يعرف بالفونيم (phonème)، فهذه الوحدة الصوتية كما يرى – جورج مونان– لا قيمة لها إن لم تتمتع بمعيار الوظيفة لأنّه مفهوم جوهري.

ولتكتسب هذه البنية السمة الحقيقية للنظام الذي تُعرف به، فإنها تحتاج إلى البنية الصّرفيّة والبنية النّحوية، والبنية الدلالية، فهي ليست منغلقة على ذاتها، بل تتأثر بما يطرأ من تغيّرات في المستوى الصّرفي أو النّحوي أو الدّلالي، لأن هذه المستويات كلها داخلة في تكوين بنية اللّغة، لا يمكن فصلها بحكم التأثير والتأثّر المتبادل بينها، أما محاولتها في دراسة البنية الصوتية والبحث عن عناصرها بمعزل عن البنيات الأخرى، فهو فقط إجراء تطبيقي فرضه المنهج والتحليل، لأنّ التركيز على

الجانب الصوتي للعلامة اللغوية أثناء الدراسة، يكشف عن ظواهر لغوية لا تتيحها دراسة الأنظمة الأخرى للّغة.

3-6 عناصر البنية الصوتية:

تقوم البنية الصوتية على وحدات صوتية مختلفة ومتمايزة، وهي وحدات منتظمة منتقاة ومرتبة، وذات وظائف تمييزية، إبلاغية وجمالية، وهذه الوحدات هي الفونيمات بشقيها المقطعية وفوق المقطعية، لأنّ الفونيمات تمتلك قيمة بنائية، تبنى منها الصيغ ووحدات الكلام، كما تمتلك أيضاً وحدات دلالية، وتظل التلوينات الصوتية التي تتشكل على أساسها الفونيمات ظاهرة لغوية، تتحكم هي الأخرى في الأداء الدّلالي، وتفرض وجودها في الخطاب لأنّها جزء منه.

ولا يقتصر مصطلح البنية الصوتية فقط على الكلمة المفردة، فإن يكن للكلمة – المفردة– صوتاً فعلياً يُسهم في دلالتها، فإن هذه الكلمة إذا ما رُكّبت مع كلمات أخرى أنتجت مجموعة من الأصوات توجه دلالة النّص – المدوّنة– لذلك فهذا التآلف والتناسق بين الألفاظ (الدّوال) هو الآخر من صميم البنية الصوتية، وهو الذي يجعل اللفظ سهلاً على اللسان من جهة، وعلى السمع من جهة أخرى، وفيه اقتضاء مزدوج، وقد سمى الجاحظ هذه الخاصية في الكلام بالقران فيقول في ذلك: « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدهان»[1].

لذلك كان اجتماع المفردات في الجمل والعبارات بطريقة منتظمة، يُلْبِس الكلام جرساً موسيقياً جميلاً، يمكن له أن يُحقّق دلالة معينة، إذ أن الصفات الصوتية للنّغم المشاع تساعد بدورها في إظهار المعنى المراد، تماما مثلما يظهر في بعض اللقطات السينمائية التي يصاحبها إيقاع موسيقي، يتعيّن على المشاهد حينها أن يفعّل سمعه لإحضار المشهد واستشعاره.

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط 1968، ص50.

وإذا عدنا إلى المدوّنة الشعريّة التي اخترناها كمجال للتطبيق (نماذج من معلّقة طرفة)، تأكد لنا أن كلام العرب يرتكز على هذا الإيقاع الصوتي، شعره ونثره، فهم يحمل نغماً داخلياً خفيّاً، ندركه ونشعر به، وإذا ما حاولنا تفسيره وجدنا أن مصدره هو أكثر من عنصر واحد « فقد ازدادت العربية بزينة الإيقاع الصوتي منذ نشأتها نظماً ونثراً، وما التنوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللفظية، وما التسجيع والتوازن والازدواج والإتباع، وأنواع البديع اللفظي، وقوانين الإعلال والإدغام، سوى مظاهر أخرى لاهتمام العرب المفرط بمجال الرّنة وحسن الإيقاع»[1].

[1] – صائل رشدي رشيد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط 2004، ص 76.

الفصل الثاني: دراسة عناصر البنية الصوتية في مقاطع من أبيات المعلَّقة.

1) قراءة في البنية الصوتية.

2) مصطلح الفونيم (مفهومه).

3) دراسة الصّوائت والصوامت ودلالاتهما.

4) الدراسة المقطعية.

5) المقاربة النّبرية.

6) المقاربة التنغيمية.

1) قراءة في البنية الصوتية:

إذا كان للنّظر مجاله، وللسمع مجاله، فإن ما أردناه بهذا التمهيد هو الإشارة إلى أنّ مفهوم الصورة لا يقف عند حدود الصّورة البصريّة التي تُدرَك بالنّظر، إنّها تُجاوزه إلى صورة سمعية تُدرَك بجهاز السمع، طالما أن الحواس تتراسل وتتبادل لتدرك الأثر والإيحاء.

فمجال بحثنا في هذا الفصل هو البنية الصوتية، وإن كان لهذه البنية علاقة بما تتسقطه الأذن من أصوات لغوية بمختلف تشكّلاتها وتقابلاتها، نلفيها أشمل وأوسع من مفهوم الصورة السمعية، لأنها تدرس الدوال في صورتيها المتحركة والقارّة، وبمعنى آخر المنطوقة والمكتوبة، بينما الصورة السمعية هي أثر ناتج عن الدّوال في صورتها المتحركة (المنطوقة) فحسب.

ويميّز مصطلح (**البنية الصوتية**) ما قد يلتبس معه من مفاهيم مثل: البنية الصرفية والبنية النحوية، كما يستدعي مصطلح البنية مطلقاً مفهوم (**النظام والعلاقات**)، لأنّ اللغة نسقٌ من العلامات، ونظامها الصوتي قائم على وحدات نسقية صوتية تتسلسل بحسب خطّ الزمان، أي الاتجاه الواحد الذي يمنع وجود وحدتين صوتيتيْن في الوقت نفسه، وفي النقطة نفسها من البلاغ[1].

فهي – **اللغة**- بهذا التعريف منظومة من العلامات اللّغويّة، والبنية الصّوتيّة أيضا منظومة من الوحدات التي تكوّن الصّوت اللّغوي، وتدخل في بنائه، وتجعله قابلاً للوصف والتحليل، وأهم وحداتها هو ما يعرف بالفونيم (phonème)، فهذه الوحدة الصوتية كما يرى – جورج مونان- لا قيمة لها إن لم تتمتع بمعيار الوظيفة لأنّه مفهوم جوهري[2].

[1] – ينظر: جورج مونان، مفاتيح الألسنية، تعريب: الطيّب البكوش، تعريب: الطيّب البكوش، منشورات سعيدان، تونس، 1994، ص 52.

[2] – ينظر: يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، دمشق، سورية، 1985، ص ص 92- 93.

ولتكتسب هذه البنية السمة الحقيقية للنظام الذي تُعرف به، فإنها تحتاج إلى البنية الصّرفيّة، والبنية النّحوية، والبنية الدلالية - والتي سوف نتعرض لها في فصول هذه الأطروحة- فهي لا تتمتع بانغلاق على ذاتها، إنّها تتأثر بما يطرأ من تغيّرات في المستوى الصّرفي أو النّحوي أو الدّلالي، لأن هذه المستويات كلها داخلة في تكوين بنية اللّغة، ولا يمكن فصلها بحكم التأثير والتأثّر المتبادل بينها.

- **عناصر البنية الصوتية:**

تقوم البنية الصوتية على وحدات صوتية مختلفة ومتمايزة، وهي وحدات منتظمة منتقاة ومرتبة، وذات وظائف تمييزية، إبلاغية وجمالية، وهذه الوحدات هي الفونيمات بشقيها المقطعية وفوق المقطعية، « لأنّ الفونيمات تمتلك قيمة بنائية، تُبْنى منها الصيغ ووحدات الكلام، كما تمتلك أيضاً وحدات دلالية»[1]. وتظل التلوينات الصوتية التي تتشكل على أساسها الفونيمات ظاهرة لغوية، تتحكم هي الأخرى في الأداء الدّلالي، وتفرض وجودها في الخطاب لأنّها جزءٌ منه.

ولا يقتصر مصطلح البنية الصوتية فقط على الكلمة المفردة، فإن يكن للكلمة - مفردة- صوتاً فعلياً يُسهم في تحديد دلالتها، فإن هذه الكلمة إذا ما رُكِّبت مع كلمات أخرى أنتجت مجموعة من الأصوات توجّه دلالة النّص - المدوّنة- لذلك فهذا التآلف والتناسق بين الألفاظ (الدّوال) هو الآخر من صميم البنية الصوتية، وهو الذي يجعل اللفظ سهلاً على اللسان وعلى السمع من جهة أخرى، وفيه اقتصاد مزدوج، وقد سمى الجاحظ هذه الخاصية في الكلام بالقِران، فيقول في ذلك: « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرِغ إفراغاً واحداً، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدهان»[2].

---

[1] - ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربيّة، البربري للطباعة الحديثة، بسيون الغربية، ط3، 2005، ص ص177- 178.

[2] - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 50.

لذلك كان اجتماع المفردات في الجمل والعبارات بطريقة منتظمة، يُلْبِس الكلام جرساً موسيقياً جميلاً، يمكن له أن يُحقِّق دلالة معينة، إذ أن الصفات الصوتية للنّغم المشاع تساعد بدورها في إظهار المعنى المراد، تماماً مثلما يحدث في بعض اللقطات السينمائية التي يصاحبها إيقاع موسيقي، يتعيّن على المشاهد حينها أن يُمعِّن سمعه، لإحضار المشهد واستشعاره.

وإذا ما عدنا إلى المدوّنة الشعريّة التي اخترناها كمجال للتطبيق (معلّقة طرفة بن العبد)، تأكد لنا أن كلام العرب يرتكز على هذا الإيقاع الصوتي، شعره ونثره، فهم يحمل نغماً داخلياً خفيّاً، نشعر به وندركه، وإذا ما حاولنا تفسيره وجدنا أن مصدره هو أكثر من عنصر واحد، « فقد ازدانت العربية بزينة الإيقاع الصوتي منذ نشأتها نظماً ونثراً، وما التنوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللفظية، وما التسجيع والتوازن والازدواج والإتباع، وأنواع البديع اللفظي، وقوانين الإعلال والإدغام، سوى مظاهر أخرى لاهتمام العرب المفرط بمجال الرّنة وحسن الإيقاع»[1].

أضف إلى ذلك ما تتمتع به العربية من طاقة كامنة في أصواتها، وتنوّع كبير في شدّة الصّوت اللّغوي، ودرجته ونوعه، كما أنّ مخارجها تتنوع عبر كافة أعضاء جهاز النطق، بدءاً بالشفتين ووصولاً إلى أقصى الحلق. وما على النّظام سوى تخيّر الألفاظ وانتقائها وفق ما يتفق مع معانيه التي يريد، دون أن يكون ذلك في تكلّف، إنّما هي السّليقة وحدها من جعل الكلام العربي فطريّاً ساحراً، وجعل من اللغة الفنية إمتاعاً صوتيّاً مقترناً بالغرض الدّلالي.

[1] – صائل رشدي رشيد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط 2004، ص 76.

2) مصطلح الفونيم: (مفهومه).

أذابت مدرسة – **سوسير**– "مدرسة جونيف" حواجز كبيرة، ظلت قائمة بين حقلي العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، وأضحى للدّرس اللّساني طابعاً عِلميّاً، بعد أن كانت هذه السمة العلمية حكراً فقط على العلوم الطبيعية، وأقامت هذه المدرسة نظرية لغوية جديدة، بمنهج لساني علمي جديد للدرّاسة التقليدية، وأهم ما يعتمد عليه هذه المنهج هو النظر إلى اللّغة على أنها نظام العلامات اللّغوية، يرتبط بعضها ببعض بشبكة من العلاقات، أو هي مجموعة عناصر متشابكة، لا ينعزل فيها عنصر عن آخر داخل هذا النّظام، فإذا خرج عنصر من الشبكة، ولم تكن له علاقة بغيره، فقَدَ قيمته[1].

ثم ظهرت المدرسة اللغويّة الثانية وهي – حلقة براغ– فأفادت كثيراً من أصول مدرسة جونيف، وكلنها غيّرت بعض هذه الأصول، وطوّرت بعضها الآخر، وقد كان من أشهر مؤسسيها "نيكولاي تروبتسكوي (ت 1938)" و"رومان جاكبسون (ت 1982)".

وضعت هذه المدرسة نظرية كاملة في التحليل الفونولوجي، تقوم على تصوّر خاص لتلك العناصر التي تكوّن نظام اللغة عند "سوسير"، وقد نتج عن هذه النظرية أبحاث كثيرة لما أصبح يعرف بمصطلح الفونيم، الذي هو في الأصل نتاج وامتداد لثنائية "دي سوسير" الموسومة باللغة والكلام، التي تصنّف العلامة اللغوية إلى دال (صورة سمعية)، ومدلول (تصوّر ذهني)[2]، وربما امتدت بدورها أصول هذا التقسيم إلى الفلسفة الأرسطوطاليسية التي تعتمد تقسيم كل محسوس إلى مادة وصورة[3].

---

[1] – ينظر: دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص149.

[2] – ينظر: الطيّب دبّة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص 69.

[3] – ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، ع1، ص 38.

وتحدد اللغة على أنها نظام وصورة، بينما لا تنظر إلى الكلام إلا على أنه التأدية الفعلية لذلك النظام[1].

وكذلك الفونيم عند "ترُوبَتْسْكوِي"، يكون مرة من اللغة بوصفها نظاماً متعارفاً عليه في بيئة معيّنةٍ، ويكون مرة أخرى من الكلام الذي هو ممارسة فعلية فردية للغة.

وإذ يعرّف "تروبتسكوي" الفونيم يجد أنّه: « أصغر وحدة فونولوجية في اللّسان المدروس»[2]، وهذه الوحدة لا يمكن تجزئتها إلى وحدات فونولوجية أصغر، فحين يكون (الفونيم) من اللغة، فإنّه يشكل وحدة صوتية معزولة عن غيرها، ولا ينظر لوظيفتها اللغوية ولا إلى دورها في المعنى، ويدرس بهذا الوصف ضمن علم الأصوات اللغوية، وأمّا حين يكون (الفونيم) من الكلام فإنّه ينضم إلى غيره من الوحدات الصوتية الأخرى، لبناء مفردة معيّنة، يكون لها معنى خاص، فتكون له بذلك وظيفة لغوية وأثر في المعنى.

عندما يحلّ صوت (فونيم) محل آخر، ويؤدي ذلك تغيّر في معنى الكلمة، فإن هذين الصوتين هما فونيمان مختلفان مثل: تبادل فونيم (ن) مع فونيم (ص) في (نَام) و(صَام)، أما إذا ادى تبادلهما (الصوتان) إلى اختلاف في المعنى، فهما تأديتان صوتيتان لفونيم واحد، مثل فونيم (الجيم) فإن له صوراً نطقية، يمكن أن تتبادل بين بعضها البعض، دون أن يؤدي ذلك إلى تغير في المعنى، فهو يُنطَق ويُسمع بتأديات مختلفة، كأن ينطق مثل: (الجيم القاهرية)، أو يُنطق (تج)، أو (دج) أو (هـ)[3].

ويدرس الفونيم بالوصف الثاني، حينما يكون في الكلام، ضمن فرع آخر من علم اللغة هو الفونولوجيا (وظائف الأصوات).

---

[1] - ينظر: الطيّب دبّة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، ص 60.

[2] - ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مطبوعات جامعة حلب، سورية، 1982، ص 121.

[3] - ينظر: عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفنولوجيا)، ص 66.

وتجدر الإشارة أنّ (تروبتسكوي) في تحديده للفونيم يكون قد اعتمد على: الجانب العضوي والسمعي.

وأصرّ في الوقت نفسه على الجانب الوظيفي للفونيم، فالأصوات المحسوسة (المسموعة)، ليست إلا صورة مادية للفونيمات، وليست هي الفونيمات في حد ذاتها.

كما أن من ثمار نظرية الفونيم، اهتداؤها إلى ما يُعرف بالسمات التمييزية للفونيم، وتحديدها الفروق الدقيقة بين الأصوات، كقولهم مثلا أنّ الصّائت أشدّ ظهوراً من الصامت، وأنّ الصامت المجهور أوضح في السمع من الصامت المهموس، فالأصوات اللغوية لا تتمايز إلا بعد أن تتقابل، لذلك فإن تقابلها يمكِّن من اكتشاف الصفات المميزة لكل فونيم من فونيمات اللّسان الواحد.

باعتماد التشابه والاختلاف الموجود بينهما، وهو ما يسميه (سوسير) بالتقابل، فالأداء الكلامي يقدم صوراً صوتية مختلفة للفونيم الواحد، بينما تقدم الكتابة رمزاً واحداً لهذه التأديات المختلفة، وهو الأمر الذي يجعل من عدد فونيمات كل لغة يقلّ عن عدد أصواتها الفعلية.

وهو الأمر نفسه الذي جعل الأمريكي (إدوارد سابير) يهتدي إلى فكرة المفهوم النفسي للفونيم، وافتراض أصوات متتالية يعني بها (الفونيمات)، لأنه وجد بهذا الوصف أنّ الفونيم «ما هو إلا صورة ذهنية لأصوات يحاول المتكلم نطقها وقد ينجح أو يفشل»[1].

[1] – عصام نور الدين، الفونولوجيا، ص 76.

3) دراسة الصوائت والصوامت ودلالاتهما

أولا: دراسة الصوائت

قبل أن نشرع في تبيان دلالات الصّوائت والصّوامت في بعض المقاطع من معلّقة طرفة، ارتأينا أن نقدم للقارئ دراسة نظرية مختصرة، نجمع له ما أفضت إليه الجهود ا للغوية الحديثة في نظرتها إلى الفونيمات المقطعية للغة العربية، وبعض التعريفات في الصّوائت والصّوامت العربية، كما طرحتها الكتب الصّوتيّة الحديثة لعل في ذلك إثراء لبحثنا من جهة، وامتداداً لما أدرجناه في المبحث الأول من هذا الفصل.

- الصّائت (Voyelle):

يتحقّق الصّائت أثناء مرور الهواء داخل الفم دون أن يتعرّضه حاجز، ويمكن وصف الصّوائت حسب ثلاثة أبعاد في التّلفّظ[1] هي:

- درجة انفتاح الفم (مفتوح أم مغلق).
- وضعية الطرف الأعلى من اللّسان (أمامي أم خلفي).
- وضعية الشفتين (دائري أم غير دائري).

وتتواصل هذه التقسيمات للصوائت عند المحدثين مع ما أثبتته إجراءات القدماء، فقد قدم أبو الأسود الدؤلي وصفاً يتعلّق بحركة الشفتين، أما حركة اللّسان (رفعه وانتصابه، وانخفاضه) فلها علاقة بالجهود التراثية في مجال الحركة الإعرابية.

[1] - الطيّب دبّة، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 170.

كما يصف محمد قدور الصّائت بقوله: « الصائت يحدث حينما يخرج الهواء عبر الحنجرة فيهزّ الوترين الصوتيين، ويتولّد رنين مسموع، ثم يقوم بعض أعضاء الجهاز النطقي بحركات تشكيلية ليس فيها حبسٌ أو تطبيق، فليس للصّائت إلا الوتران الصوتيان ليعتمد عليهما في التصويت»[1].

ومصطلحاته هي: (اللّين، الحركة، العلّة، المصّوت).

والصّوائت العربية هي: الفتحة (ـَ)، والضمّة (ـُ)، والكسرة (ـِ)، يضاف إليها نظائرها من الصّوائت الطويلة وهي: الفتحة الطويلة (ألف المدّ) والضمّة الطويلة (واو المدّ) والكسرة الطويلة (ياء المد) ولا تصنف الدراسات الصوتية الحديثة السكون من بين الصّوائت[2]، فكلمة (لن) تُكتب صوتياً: /ل/ + /ـَ/ + /ن/.

- **جدول الصّوائت العربية:**

	موضع النطق اللسان	درجة الانفتاح الفم	الصفة (وضعية الشفتين)
كسرة	أمامية	منغلقة	منفتحة
فتحة	وسطية	منفتحة	منفتحة
ضمّة	خلفية	منغلقة	مستديرة

ويقدم هذا الجدول[3] وصفا دقيقا للصّوائت القصيرة، ويبقى الفرق بينها وبين الصّوائت الطويلة، هو فرقٌ فقط في الكمية، وليس في الخصائص.

[1] – أحمد محمد قدّور، مبادئ اللسانيات، ص 58.

[2] – ينظر: مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، لبنان، ص 23.

[3] – ينظر: الطيّب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الإسكندرية العالمية، مصر، ص 50.

- **وظائفها:**

هناك وظائف تؤديها الصّوائت ولا تؤديها الصّوامت ومنها:

- تعتبر الصّوائت في اللغة العربية أساس قوّة الاستماع[1] لأنّها أوضح في السمع.
- إذا كانت الصوامت تتحكم في تشكيل الكلمة، فإنّ للصائت وظيفة أساسية في تقليب صيغ الاشتقاق، في حدود ا لمادة الصوتية الواحدة، فمثلا مادة (ع، ل، م) نجد من مشتقاتها: (عَلِمَ، عُلِمَ، عَلِيمٌ، عَلاّم، عا لَم).
- تشكّل الصّوائت مركز المقطع العربي، وتعبِّر عن العناصر الضرورية في بناء الفونيمات فوق مقطعية (النّبر والتنغيم).
- يصلح الصّائت أن يكون علامة إعرابية ولا يكون الصامت كذلك[2].

- **ومن خصائصها كذلك:**

- أكثر وضوحاً من الصوامت وكلها مجهورة.
- الصائت المنفتح (الفتحة) أوضح من الصّائت الضيّق (ضمّة أو كسرة).

تتحقق الصوائت الطويلة (ا، و، ي) برموز داخل الكلمة، مثل الصّوامت تماماً[3]، فتُكتب أفقياً ضمن نسيج الكلمة، بينما لا تُكتب القصيرة أفقياً، مثل اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية، إنها تتحقق

[1] - ينظر: تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ص 71.
[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص 72.
[3] - محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية، دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001، ص 19.

برموز توضع فوق الحرف الصحيح أو تحته (لأنّ الحروف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه)[1].

ثانيا: دراسة الصّوامت Consonne.

أثناء مرور الهواء في مجراه، فإنّه يلتقي بحاجز في نقطة معينة، هي نقطة تحقق الصّامت، ويسمى صامتاً لأنّه بحاجة إلى حركة تسبقه أو تتبعه[2]. وتسمياته هي: (الصّحيح، السّاكن، الحبيس). والأصوات الصامتة في العربية عددها ستة وعشرون (26)، يتم تمييزها بتمييز صفاتها ومخارجها، ويقوم الباحث باستقراء القيم الخلافية للتفريق بين الصوامت، فيعتمد كمستوى أوّل على مخارجها، وحينما تشترك مجموعة من الصوامت في مخرج واحد فإنه ينتقل (الباحث) إلى مقياس آخر للتمييز بين الصوت والصوت هو مقياس الصفات، وهذه الصفات تختلف هي الأخرى من حيث الأساس الذي تبنى عليه[3].

فقد تُقسّم باعتبار مجرى الهواء الرئوي، فيوصف الصامت بكونه شديداً أو رخواً أو متوسطاً، وهي الصفة الأساسية للصّوت، وقد تقسّم بالنظر إلى اهتزاز الوترين الصوتيين، أو عدمه، فيكون الصوت تباعا لذلك، إما مجهوراً أو مهموساً، (وهي صفته الثانوية، وقد يعتمد رصد هذه القيم الخلافية بالنظر إلى الشكل الذي تتخذه حجرات الرئتين أثناء نطق الصوت، ووضعية اللسان وهو ما يكسب الصوت (الصفّة المميّزة)، فيوصف الصّامت مثلا بكونه مطبقاً أو مفخماً أو متفشياً أو مستطيلاً...الخ.

---

[1] – ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ص 19.

[2] – ينظر: الطيّب دبّة، مبادئ في اللسانيات البنيوية، ص 172.

[3] – ينظر: تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ص 67.

- **وظائف الصّوامت:**

من وظائفها في اللغة العربية كما يلخِصها تمام حسان[1]، نجد ما يلي:

- تكوُّن أصول الكلمات (فيكون منها فاء الكلمة وعينها ولامها) ويمكن للواو والياء أن يقوما بهذه الوظيفة أحياناً في مثل (قَوْلٌ، بَيْعٌ).
- تكون بداية للمقطع في اللغة العربية، ولا تقوم الصوائت بهذه الوظيفة، أما نهاية المقطع فقد تكون صوتاً صائتاً أو صامتاً.
- أنها تقبل التحريك بخلاف الصوائت التي لا تقبل التحريك والتسكين[2].
- يعتبر الجهر والهمس من القيم الخلافية التي تفرّق بين الصامت والصامت ولا يفرّقان بين الصائت والصائت، لأن الصوائت جميعها مجهورة في اللغة العربية.

- **ومن خصائص الصوامت** أيضاً:
- أنّها أقل وضوحاً في السمع من الصوائت.
- الأصوات المجهورة أوضح من المهموسة.
- الصوامت المطبقة والمفخّمة أوضح من غير المطبقة والمرققة.
- توصف الصوامت بصفات لها أضداد، وهي (الجهر والهمس)، (الشدة والرخاوة)، (الاستعلاء والإسفال)، (الإطباق والانفتاح)، كما توصف بصفات لا ضدّ لها ومنها: الصّفير، القلقلة، اللّين، الانحراف، التفشّي، الاستطالة، التكرار، الإمالة...

---

[1] - ينظر: تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ص 67.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

- نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام العربي 25% والمجهورة 75%.

- لا يمكن أن تتوالى الصّوامت متتابعة دون حركات، لأنه يصعب نطقها بدون صائت.

- **قراءة في الإشكال والمنهج:**

تمتاز القصيدة العربية، بتصوير بياني ورسم بارع، وصور متميّزة، أفضت إلى تشكيل لوحات إبداعية تبلورت في تقنية عالية الجودة، وحملت القصيدة العربية كل مستويات التبليغ والخطاب، ومسؤوليات الثقافة والعلم والفن، وكانت الذاكرة الواعية والأجندة الشفافة في تأصيل قيم المجتمعات.

ومن هذه القصائد التي تنطبق عليها هذه الرؤية وهذا التصوّر معلّقة طرفة بن العبد، التي حظيت باستحسان نقاد الشعر العربي وعاشقيه قديماً وحديثاً.

إنّ معلقة طرفة بن العبد تعدّ بحقّ (لوحة فنّية) أو إبداعية تتكوّن من مجموعة من اللوحات الإبداعية الأخرى الصغرى التي تضافرت معاً، واكسبت المعلّقة سمة اللّوحة الإبداعية الكليّة، وقد وفّر طرفة لكل واحدة منها مقوّماتها الأساسيّة، وتقنياتها الفنية وصنعتها الشعريّة، وقد أقام طرفة بن العبد مقوّمات الرّبط والتنسيق بين تلك الوحدات على النّحو الّذي يُسوِّغ اعتبارها لوحدة واحدة.

وبمجرّد القراءة الأولى للمعلّقة، تبدو متعددة الموضوعات، كما خُيِّل للكثير من محلّلي المعلّقة وناقديها، وتتراءى المعلقة في (لوحات) ثلاث وتتلاحم معاً لتشكيل لوحة إبداعية كلية. تتمثل اللوحة الأولى في الوقوف على الأطلال وبكاء الحبيب، ثم ينتقل إلى اللوحة الثانية التي تتمثل في وصف النّاقة، حيث تشكلت هذه اللّوحة من ثمانية وعشرين بيتاً، ثم يَدلِف بعدها إلى اللوحة الثالثة التي ضمّنَها الحديث عن نفسه ومذهبه وفلسفته في الموت والحياة.

والمعلّقة تشكّل ملفاً شعرياً محمَّلاً بالمواقف التأملية في فلسفة الحياة والموت، وزاخراً بالمشاعر الانفعالية المتوهّجة، ويضم هذا الملف جملة من البنى ذات المستويات المختلفة، ومجموعاً من الوحدات

النصيّة، التي لها خاصيّة التآلف والانسجام، وفيها اتساع المعاني والدّلالات والرّموز[1]، وهي تتوزع على النحو التالي:

- اللوحة الأولى عشرة أبيات.
- اللوحة الثانية ثمانية وعشرين بيتاً.
- اللوحة الثالثة أربعة وستين بيتاً.

ولقد اخترنا من معلقة طرفة، بعض المقاطع الشعرية، واكتفينا بتحليلها، وطبقنا عليها عناصر البنية الصّوتية، لأنّ هذه المقاطع تشكّل الدلالة المركزية لنصّ المعلقة كما أنّها المحور الدقيق الذي يشُدّ هذه اللوحات الفنية التي رسمها الشاعر في معلقته والتي تعطينا صورة واضحة عن المعجم الشعري الذي يتداوله الشاعر في باقي أبيات معلقته.

وقد انطلقنا من التشكيل الصّوتي من أجمل قراءة الأفكار والعواطف في معلّقة طرفة، لأنّ « قيمة القصيدة تكمن في عدم انفكاك أصواتها وإيقاعاتها عن معانيها الشعرية وهو ما يهب شعوراً بالوحدة بين الدال والمدلول»[2].

وإلى جانب المنهج الوصفي، فقد اعتمدنا على المنهج الإحصائي لتفسير جملة الظواهر الصوتية المبثوثة في المعلّقة.

لم يقتصر إجراؤنا الإحصائي على عزل الصّوائت والصّوامت في هذا المبحث، وبيان كثافة تواترها وتواتر خصائصها لأنّ في ذلك سكونية المعالجة، « ثم إنّ إحصاء الأصوات لا يكفي، بل لا

[1] – ينظر: عبد الحميد المعيني، رؤية في دراسة قصيدة المسيب بن عَلَسْ، مجلة جامعة الملك بن عبد العزيز، 2007، ص ص145- 188.

[2] – ينظر: خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل حاوي نموذجاً، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2006، ص 74.

بدّ من تجاوز ذلك، إلى تلمُّس وظائفها الأسلوبية وتحديد معانيها وإيحائها وإسهاماتها في المعنى العام، التي هي إحدى مكوّناته الأساسية، دون عزلها عن السياق الواردة فيه»[1].

لقد وظف الشاعر عدداً من الأصوات اللغوية، وعمد إلى توظيف بعضها بشكل لافت، يخرج عن تواتر استخدامها في الخطاب العادي، وهذه واحدة ضمن عديد الظواهر الصوتية المثبتة في جسد هذه المعلّقة، أمكن الإحصاء من رصدها، مع ما تثيره ظواهر صوتية غيرها، أجبرتنا على قراءتها قراءةً آنية بعد القراءة الخطيّة.

ثالثا: دلالة الصّوائت في معلقة طرفة.

يستطيع الدّارس لمعلّقة طرفة بن العبد أن يلمس بوضوح طبيعة الحزن الذي كان يعيشه طرفة وعلى هذا جاءت هذه المعلقة على البحر الطّويل، الذي يمتاز بطول الكمّ الإيقاعي وسعته ممّا يوفّر للشاعر مساحة كبيرة لتفريغ آماله وآلامه.

فجاءت هذه المعلقة مفعمة بالعواطف المتضاربة، الأداء في الحياة والموت، جمال الوصف، براعة التشبيه، وشرح لأحوال نفس شابة وقلب متوثب، ولعل انتمائه إلى منطقة من أكثر الأماكن تحضّراً في الجزيرة العربية (إقليم البحرين) جعل ذلك الشعر الإنساني أكثر بروزاً لديه مقارنة بغيره من شعراء الجاهلية.

وإذا كانت الدنيا قد أثقلت كاهل طرفة بالوحدة والغربة وأذاقته من كل مشارب الحزن والأسى بسبب البعد عن قبيلته وجفاء أحبته، فلا عجب أن يؤثر كل ذلك في شعره مما يفتح مجالا واسعاً للصّوائت ويجعلها بارزة بروزاً واضحاً في شعره، وإنّ الشاعر قد اعتمد عليها اعتمادا كبيراً وبرزت واضحة في أسطره الشعريّة، وذلك لأنّ امتداد الصّوائت عامل أساسي في اتّساع دلالاتها المتنوعة، الأمر الذي هيّأ للشاعر فرصة استطاع من خلالها أن يعبّر عن مشاعره الممتدة وأحاسيسه العميقة.

[1] – نور الدّين السدّ، تحليل الخطاب الشعري، اللّغة والأدب، مجلة معهد اللغة العربية وآدابها، ع.8، 1996، ص 103.

بالنّظر إلى حياة طرفة الذي عانى اليتم صغيراً، وعرف معنى الموت بفقد أبيه، يمكن أن نجد مفتاحاً يبيِّن ملامح مفلسفة، نستقيها من القصيدة، مستمدة في الأصل من تجربة (طرفة) الشخصية التي تدسّ بين ثنايا القصيدة مشكلة الرّوح العام لها، ومظهرةً جوّاً نفسياً واحداً يهيمن على القصيدة رغم مقاطعها المتنوعة وأغراضها المتعددة، هذه الروح العامة هي التي تشكل وحدة الجو النفسي وتبتدئ من أوّل أبيات القصيدة بذلك التقليد الفنّي الذي درج عليه كثير من القصائد الجاهلية وهو الوقوف على الأطلال.

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ

تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

بِرَوْضَةِ دَعْمِيٍّ فَأكْنافُ حَائِلٍ

ظَلَلْتُ بِها أبْكِي وَأبْكِي إلَـى الغَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ

يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ[1].

إنّ طرفة الذي يفتتح المعلقة بهذه المقدمة الطللية يتحدث عما حدث في لقائه مع الأطلال بعد وصفها ذلك الوصف، الذي جاء عند غير واحدٍ من شعراء الجاهلية: الطلل، وشم أو كتابة تكاد أن تكون قد انمحت وضاعت معالمها **"كَبَاقِي الوَشمِ"**، كما أن طرفة لا يطلب من رفقائه الوقوف للبكاء، بل إنّه ينخرط بالفعل في البكاء، ويرتبط فعل البكاء بالفعل ظلّ **"ظَلَلْتُ بِها أبْكِي"** ليفيد امتداد حالة البكاء فترة من الزمن، حتى إنّ صحبه وقد رأوه قد اشتدّ في البكاء، وسيطر عليه الأسى.

[1] – ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2000، ص 19.

وفي هذا المقطع قد وُفِّق الشاعر في توظيف الصوائت لطولها في التعبير عن بكائه وحزنه، وكما كانت الصوائت تمتاز بالوضوح التام عند النطق بها، وسُمع بكامل صفاتها[1].

فقد استطاع الشاعر أن يوظف هذه الخاصية ليعبر بها عن الأسى الذي سيطر عليه، حيث لا يوجد في الأصوات العربية ما هو أوضح سماعاً من الصوائت، وهذا ما يعلّل به الباحث سبب تكرار الشاعر للصوائت أكثر من خمسة عشرة مرة في ثلاثة أسطر شعرية، بل إنّ الشاعر عمد إلى اختيار قافيته في هذه المعلّقة مردوفة بالصّوائت حتى يظل صوته واضحاً مؤدياً للغرض الذي ينشده.

وإذا كانت الصّوائت قد ساهمت في إيصال مكنونات الشاعر في هذه القصيدة، وأشبعت رغبته في إفراغ أحاسيسه، فإنّ الشاعر قد أضفى عليها مزيداً من التعبير والدلالة، وذلك حين جعلها في قافية قصيدته، متبوعة بصامت مقيّد للوقوف، الأمر الذي يُلزم القارئ بإطالة المدّ في تلك الأصوات لتجنّب صعوبة النطق عند التقاء الساكنين، فالصائت بطبيعته طويل ممدود، والصامت بعد ساكن، وهذا يؤدي إلى صعوبة النّطق، ولتجنّب هذه الصعوبة يمكن إطالة الصّائت وبالتالي يسهم ذلك في إشباع رغبة الشاعر، والوصول بها إلى دلالات أعمق وأكمل.

وهو في موقفه هذا عن الأطلال يتذكّر صاحبته (المالكية) ولعلّه لقب خولة بعد أن ذكرها بالاسم، وفي الانتقال من ذكر اللقب بعد الاسم- استعادة لصاحبة تلك الذكرى:

كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُـدْوَةً

خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنَ يَامِنٍ

يَجُورُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975، ص 88.

يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا

كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ.[1]

في هذه القطعة الشعرية يمتزج شعور الشاعر بالدهشة والحزن والأسى، ولعل في ذلك نوعاً من الاسترجاع لتفاصيل الوداع بلحظاته التي انطوت على قدر كبير من الشوق، وهو ما جعل الشاعر يطيل في حركة الهوادج للتأمل وضرب المثال.

وإذا كان الشاعر قد وُفِق في توظيف الصوائت لطولها في التعبير عن مدى اشتياقه وحنينه، فإنه عاد ليوظّف تلك الأصوات في الدلالة على مدى صموده وتحديه للظروف القاسية التي يعيشها، فيعرض الشاعر هذه الصورة على طريقة الترشيح والاسترسال في تأمل صورة الوداع.

ولما كانت الصوائت تمتاز بالوضوح التام عند النطق بها، وتُسمع بكامل صفاتها[2]، فقد استطاع الشاعر أن يُوظّف هذه الخاصيّة ليعبّر بها عن حزنه وأساه وصموده في نفس الوقت، حيث لا يوجد في الأصوات العربية ما هو أوضح سماعاً من الصّوائت، وهذا ما نعلل به تكرار الشاعر للصوائت سبع عشرة مرة في ثلاثة أسطر شعرية، بل إنّ الشاعر قد عمد إلى اختيار قافيته في هذه القصيدة مردوفة بالصوائت، حتى يظل صوته واضحاً مؤديّاً للغرض الذي ينشده.

ثم يستمر الشاعر في تجسيد بقية عناصر صورة الطلل قبل أن يصبح طللاً ينطوي على كل هذا القدر من الأسى والحزن:

وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ

مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

[1] – ديوان طرفة ابن العبد، ص 19.

[2] – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص 88.

خَـذُلٌ تـرُاعِي رَبْرَباً بـِخَمِيـلَةٍ

تَنَاوَلُ أطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَدِي

وتَبْسِـمُ عَنْ أَلـمْى كـأَنَّ مُنَـوَّراً

تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعـْصٍ لَهُ نَدِ

سَقَتْهُ إيَاةُ الشَّمْـسِ إلاّ لِثـَـاتِهِ

أُسِفَّ وَلـــَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ ألْقـــتْ رِدَاءهَا

عَـلَيْهِ نَقــِيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ.[1]

إنّ (طرفة) هنا يسترسل في وصف ذكريات الطلل يوم كان عامراً بأهله فبرُز معاني الجمالية في الوصوف، وصف تلك المرأة الصغيرة –الغزال- التي يخلع (طرفة) عليها من صفات الجمال ما يشبه الظبية الصغيرة الغريرة التي تخلت عن صواحبها، وانفردت في هذا الوادي فتكاد تشعر أنّ الوصف ينطبق على كل من المرأة والظبية وهذا ما توحي به اللّغة الرّمزية شديدة الكثافة في هذا المقطع. ويعبر عنها الشاعر بتوظيف الصوائت بصورة لافتة للنظر حيث يكرّرها ثلاثة عشرة مرة في خمسة أسطر شعرية، ولعلّ الحزن يترك الشاعر متوتراً مضطرباً مما يجعله يشعر بتلك الفترة زمناً طويلاً، لذلك جاءت الصوائت طويلة النفس.

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 20.

كما أنّ هذه الصورة للوحدة والانفراد (للظبية– المرأة) لها مكنونها في نفس (طرفة) الذي عرف صغيراً الوحدة بعد وفاة أبيه، ومن هنا نجد أن غزله في هذا المقطع يختلف عن غزل امرئ القيس في معلّقته.

ونلاحظ أنّ طرفة بن العبد في هذه المعلّقة ينتقل من غزل سريع لا يتجاوز ربما العشرة أسطر، إلى وصف الناقة، لأن الهم الذي كان يحمله على كاهله مذ كان صغيراً لم يشده كثيراً إلى الغزل إذ حمله العوز وهمّ العيش إلى وصف الناقة، وإذا تأملنا في معلّقة (طرفة) وجدنا أكبر مقاطع المعلقة يتحدث عن الناقة فيما يزيد عن خمسة وثلاثين بيتاً.

وتدخل ناقة (طرفة) إلى حيّز الرمز الواسع المبالغ فيه الذي يرمز إلى أشياء كثيرة في حياته، خصوصاً وأن حياة الجاهلي في الصحراء تمثل زاوية هادئة آمنة، فمنها ركوبه ومنها طعامه، ومنها سفره وترحاله، ومنها حلّه وإقامته، فضلاً عن ذلك تمثل الناقة عند (طرفة) مادة الحرمان إذ حرمه أقاربه من أن يرث من أبيه شيئاً من النّوق بعد وفاته، إذ ذهب بكل ذلك أخوه معبد، فأحسّ بشدة العوز والحاجة إلى النّاقة كي تُيسّر له أسباب الحياة، فيعبر عن ذلك بقوله:

وإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ

بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي.[1]

ونظراً للأهمية البالغة التي كانت الناقة تمثلها في حياة (طرفة)، حتى أنه يصفها برمز الحركة، وكأن حياته المفعمة بالأسى والحزن لا تسير ولا تتقدم إلا بها، ومن هنا جاءت أبياته في هذا الوصف مفعمة كذلك بالصوائت الممدودة ويتضح هذا جليّاً في هذا البيت المذكور آنفاً، إذ تكررت فيه الصوائت سبع مرات لينسجم طول النّفس فيها مع دقة الوصف، ولتعبّر عن مكانة الناقة في حياته وتجرّعه لكأس الحرمان منها.

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 28.

ويتابع طرفة حديثه عن الناقة في هذه الأبيات:

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا

عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

جَمَالِيَّةٌ وَجْنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهَا

سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأزْعَرَ أرْبَدِ

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ

وظِيفاً وظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي

حَدَائِقَ مَوْلِيَّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ.[1]

بهذه الصفات الكريمة للناقة على أنها موثقة الخُلق، متينة المفاصل، مأمون عثارها عندما تسير في طريق معبد مستوٍ، فإنّ الناقة هنا تعادل الحياة عند (طرفة) وترمز إليها. ويحاول (طرفة) من خلال هذا الرمز الذي هو (**الناقة**) أن يبثّ لقارئ شعره كل ما لديه من الآمال والأحلام.

وتتردّد الصوائت في هذه القطعة خمس عشرة مرة، وقد احتل صوت **الألف** عشر مرات، وتلاه صوت الياء الساكنة ستّ مرات، بحيث ذُكرت الواو الصائتة مرة واحدة فقط، ولعلّ تكرار الصوائت المتسعة والتي تتمثل في الياء الساكنة تأكيد عن الحالة النفسية التي كان يعيشها (طرفة) والتي تمتزج بين الحزن والأسى تارة وبين التطلّع والآمال والأحلام تارة أخرى. وهذا ما يؤكد الفرق

[1] - ينظر: ديوان طرفة، ص 28.

كذلك بين طرفة بن العبد في معلقته وبين ما جاء في المعلقات الأخرى كمعلقة امرئ القيس الذي يمضي فيها همومه ويستعلي عليها بمغامراته وعبثه، بينما نجد (طرفة) يمضيه بهذه الناقة.

ويمكن القول أنّ الناقة في معلقة طرفة تكاد تكون النموذج والمثال لأي شاعر رغب في وصف ناقة، فقد شكلت شيئاً أساسيا وهاماً في حياته. ويواصل طرفة الحديث عن صفات هذه الناقة الجسدية، مازجاً بينها وبين صفاتها المعنوية:

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا

مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَلاقَى وأَحْيَاناً تَبِيْنُ كَأَنّـَهَـا

بَنَائِقُ غـــُرٍّ فِي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ

كَسُكَّانِ بُوصـــِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الفَلاةِ كـأَنَّمَا

وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشّامِي ومِشْفَرٌ

كَسِبْتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يـُجَرَّدِ

وعَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا

بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

طَحُورَانِ عُوَّارَ القَذَى فَتَرَاهُمَا

كَمَكْحُولَتَيْ مَـذْعـُورَةٍ أُمِّ فَرْقَـدِ

وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّـرَى

لِهَجْسٍ خَفيٍّ أَوْ لِصَـوْتٍ مُنَـــدَّدِ

مُؤَلَّلَتَـانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيْهِمَا

كَسَـامِعَتـَي شَـــاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

وأَرْوَعُ نَبـَّاضٌ أَحَـذُّ مُلَـمْلَـمٌ

كَمِرْدَاةِ صَخْــرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا

وَعَامَتْ بِضَـبْعَيْهَا نَجـاءَ الخَفَـيْدَدِ

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ

مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِـنَ الـقَـدِّ مُحْصَـدِ

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَارِنٌ

عَتِيْقٌ مَتَى تَرْجـُمْ بِهِ الأَرْضَ تـَزْدَدِ

إذَا أقبَـلَتْ قَالـُوا تأَخَّرَ رَحْلُهَا

وإنْ أدْبـَرَتْ قَـالـُوا تـقَـدَّمَ فاشْدُدِ.[1]

[1] -ينظر: ديوان طرفة، ص 22.

فمن خلال هذه المقطوعة من المعلّقة، ينتقل الشاعر من وصف الناقة الجسدي إلى وصفها المعنوي، لأنّ كل صفة من صفاتها الجسدية إنما تدل على صفة معنوية فيها أضحت هذه الناقة المثال بهذه المنزلة في نفس الشاعر.

إنّما – كما قلنا– ناقة مثالية، كاملة، تمثل المثال والحلم الذي نشده طرفة، وتعوّض النقص الذي يحسّه ويعيشه منذ طفولته والمتمثل في حرمانه من مال أبيه، كل ذلك جعله يتشبث بمثال كامل فلم يجده إلا في ناقته.

وتتردد الصوائت في هذه القطعة من المعلقة أربعا وأربعين مرة، ونلاحظ أن الألف الصائتة هي الأكثر اتساعاً، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مساحة الحزن والألم الواسعة التي شغلت حيزاً كبيراً من قلب الشاعر وحياته، والتي تتناسب وسعة مخرج الألف الصائتة أسهل الأصوات نطقاً، وأقربها إلى الجوف، حيث تخرج من الرئتين بمساعدة الزفير دون جهد كبير، وهذا ما يعلّل تنهد المريض بكلمة (آه) في حالات الشدة.

مثلت الناقة في حياة طرفة رمز الحركة النفسية والحركة الحسيّة، كما أنها رمز الحركة المثالية التي نشدها الشاعر وعاش مهموماً ومحروماً منها، كما أنّها رمز للنجاة في الصحراء الموحشة حين يسير فيها، حتى إنّ صاحبه يتمنى أن يفديه بنفسه منها، وهنا يظهر دور الصاحب مرة أخرى ومنزلته في حياة (طرفة).

ونلاحظ كذلك أن وحدات هذه المعلّقة تسير في نسق فكري واحد يمثل فلسفة (طرفة) ورؤيته للكون والحياة والإنسان، وهذا النسق يختلف عن النسق الفكري الذي يوجد في المعلقات الأخرى كمعلقة زهير أو لبيد مثلا إذا أمعن الباحث النظر فيها.

وفي المقطوعة التالية ينتقل الشاعر للحديث عن نفسه، فيقدّم نفسه هكذا:

إِذَا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتىً؟ خِلْتُ أَنَّنِي

عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَـلْ وَلَمْ أَتـبَلَّدِ

وَلَسْتُ بِـحَلاَّلِ التـّلاعِ مَـخَافَةً

وَلَكِن مَتَى يَسْتَـرْفِدِ القَوْمُ أرْفِدِ

وَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْـقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي

وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

مَتَى تَأتِنِي أَصْبَحـْكَ كَـأْساً رَوِيَّةً

وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِياً فَـاغْنِ وَازْدَدِ

وَإِنْ يَلْتَقِي الحَيُّ الجَمِيْعُ تُلاَقِنِي

إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكَـرِيمِ المـُصَمَّدِ

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُـومِ وَقَيْنَـةٌ

تَرُوحُ عَلَينَا بَيْنَ بـُرْدٍ وَمـَجْسَدِ

رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيقَةٌ

بِجَسِّ النُّدامـَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: أَسْمِعِيْنَا انبَرَتْ لَنَا

عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَـمْ تَـشَدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا

تَـجَـاوُبَ أَظَارٍ عَلَـى رُبَعٍ رَدِ.

ومما نلحظه في هذه الأبيات ورود ضمير المتكلم المقرون بالياء الصائتة الساكنة كما في البيت الثاني (تُلاقني)، وفي البيت الثالث (تَبْغِني)، وفي البيت الرابع (تَأْتِنِي)، وحشد هذه المجموعة من الصور يبيّن حالة الاعتداد الذاتي عند (طرفة) بنفسه.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّنا نرى أن تكرار الياء الصائتة دلالة على ما يجول في ذات الشاعر وفي نفسه، إنه حديث مختلط بالفخر وبتصوير مفردات حياته التي أوصلته الأزمة بينه وبين عشيرته، فيتحدث عن حياته وصورتها كما هي، كما يتحدث عن اللّذة التي يفني نفسه فيها، وهي فلسفة ترى في اللذة تعويضاً عن الموت ثم ينهي حديثه عن الموت ولا نجد غرابة في ذلك خاصة وأنّ صوت (الياء) يدل على الانفعال المؤثر في البواطن[1].

ومرة أخرى يلوذ الشاعر بالياء الصائتة والتي تكررت مرات عديدة في هذه القطعة الشعرية السابق ذكرها، ليعبّر عما يشعر في قرارة نفسه أنه المعني بكل نداءٍ إلى المكرمات والشرف والمفاخرة.

ولا زال الشاعر يستوحي من الصوائت دلالات تكشف عن مكوّناته الداخلية، وتشبع رغبته في التعبير عما يجول في ذاته من معانٍ متعددة، وفي هذا الإطار يعاود الشاعر اللجوء إليها للتعبير عن حالة الضّياع التي يعيشها ويتألم منها حيث يقول في هذه القطعة التي يذكر فيها النتيجة التي وصلت به إليها هذه الحياة اللاهية العابثة:

---

[1] – أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، سورية، 1984، ص 64.

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي

وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا

وأُفْـرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ.[1]

وفي هذه القطعة يكرر الشاعر الصوائت ثمان عشرة مرة، وإذا كان صوت الألف الصائتة قد احتل مساحة أكبر منها إلا أنّ الشاعر قد لوَّن هذين السطرين الشعريين بصوتي الواو والياء الصائتين، ونرجع سبب مزج الشاعر لهذه الصوائت إلى حالة الضياع التي يعيها الشاعر وما ينتج عنها من الشعور بالاضطراب وعدم الاستقرار.

ومرّة أخرى يندمج شعور الشاعر بالضياع وبإصراره وتأكيده على حاله الذي هو مستمر عليه في حياته الخاصة، وذلك لأنّه ينطلق من فلسفة خاصة به، فيلجأ إلى الصوائت، تلك الأصوات صاحبة القدرة الكبرى على حمل الدلالات المعبِّرة عما يجول في النفس.

تلك هي المعاني والدلالات في هذه النماذج من المعلقة التي استطاع الشاعر من خلال تلوينه لمعلقته بالصوائت أن يعبّر عنها، وهي الشوق والغربة والموت والحزن والضياع والحرمان، وبالنظر إلى الدلالات التي وصلنا إليها في هذا القسم من المبحث، نرى أنها تختلف عن دلالات الصوائت عند أغلب شعراء المعلقات.

ويبدو أن الصفات التي تتمتع بها الصوائت من اتساع في طور النّفس هي التي أهلتها لحمل هذه الدلالات التي تضطرب لها النفس.

[1] – ديوان طرفة، ص 44.

رابعا: دلالة الصوامت في معلّقة طرفة.

تعتبر الأصوات من أهم العوامل التي تعمل على إبراز قدرة الشاعر في التعبير عن تجربته، ذلك أنّ للأصوات وظائف دلالية قادرة على حمل المعنى وإبرازه في السّياق، وتكمن هذه القدرة في إبراز صوت أو أصوات معيّنة، إذ أنّ تردد بعض الحروف أو الكلمات قد يكسِب الشطر لوناً من الموسيقى تستريح إليه الآذان وتقبل عليه.

وقد لمس المحدثون أهميّة الصوت في الدلالة ورأوا أنّ « الكلمات أنغام وشعور وارتباطات وظروف ومواقف وحياة، وتأثيرها إنّما يقوم على ما فيها من صوت ومعنى، فهي مبنية بناء مزدوجاً، إنّها أصوات تعتبر رموزاً للمعاني وهي أيضا رموزاً للمعاني تعتبر أصواتاً»[1].

وممّا لا شكّ فليه أنّ النصوص الجاهلية برمّتها، أهرام مكتنزة بالطاقات الإبداعية والأدوات الجمالية والتصاوير البيانية، تغذي روح قارئها بخيال جامح ولذّة فيّاضة، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الأدب الجاهلي قديماً وحديثاً، عرباً وعجماَ، فإنّ حاجة الأدب العربي ما تزال ملحة لقراءته قراءة جديدة عصرية في ضوء تطوّر مناهج التحليل ورؤى النقد ومداخل القراءة.

وسوف تتوسّل هذه القراءة بنماذج مختلفة عن الخصائص والدلالات الصوتية التي امتاز بها طرفة في المعلّقة، ومن ثم استطاع أن يكوّن معلقته بأصوات باتت قادرة على التعبير عن أعمق المشاعر وأكثر الأحاسيس شفافية وإرهافا.

وقد فهم الشعراء هذا المعنى، وأيقنوا مدى الأهمية التي يضفيها الصوت على القصيدة من خلال دلالته المتميزة عن غيره من الأصوات، ولم يكن طرفة ابن العبد – وهو صاحب هذه اللغة التي تمتاز بالبقاء والديمومة– بمعزل عن هذا الفهم.

---

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ط2، 1952، ص 41.

يقول الشاعر في مطلع معلّقته:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَـدِ

تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

بِرَوْضَةِ دَعْمِيٍّ فَأكْنافُ حَائِلٍ

ظَـلَلْتُ بِها أبْكِي وَأبْكِي إلَى الغَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ

يَقـــُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ.[1]

يدور الحديث في هذه القطعة الشعرية حول عشق الشاعر لمحبوبته والوقوف على الأطلال، فاشتدّ به الأسى حتى احترقت أحاسيسه الرقيقة وتفجّر بالبكاء، وإنّ طرفة لا يطلب من رفقائه الوقوف للبكاء، كما فعل امرؤ القيس (**قِفَا نَبْكِ**)، بل إنّه ينخرط في البكاء، وليس غريباً على أن يخاطب محبوبته ويرجو وصلها، أن يتحدث معها بلغة رقيقة وهذا ما فعله الشاعر حيث كرّر الأصوات الحلقية مرّات عديدة بلغ عددها ثمانية عشرة مرة بواقع ستّ مرات للهمزة وثلاث مرات للحاء ومرتين للعين، ومرة واحدة للخاء، وست مرات للهاء، ومرة واحدة للعين. ويتضح من هذا التصنيف لتلك الأصوات، سيطرة الأصوات المهموسة منها على القطعة باستثناء العين والغين واللتين لم تردا إلا ثلاث مرات، كما غلب على تلك الأصوات الأصوات الرّخوة كالحاء والهاء والعين والخاء، أما الأصوات الحلقية الشديدة فتمثلت في الهمزة التي تكررت في هذه القطة ست مرات، لأنها الصوت الشديد الوحيد بين أصوات الحلق. أضف إلى ذلك أن تلك الأصوات في معظمها تنتسب إلى صفة الاستفال

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 23.

باستثناء الغين والخاء واللتين لم تردا إلا ثلاث مرات فقط، وهذا يعني أن الشاعر قد لجأ إلى الأصوات الهادئة الشفافة لينسجم ذلك وحالة الشوق التي كان يعيشها.

وإذا كانت الأصوات الحلقية ذات المخرج الأقصى والأوسط قد عزت عن المعاني الرقيقة في التعبير عن شوقه للمحبوبة، لما تمتعت به تلك الأصوات من رقة في صفاتها بخلاف العين والخاء واللتين تنتسبان إلى أدنى الحلق، فإنّ الشاعر قد وظّف هذه الأصوات مرة أخرى في وصف ناقته، بحيث أن المتأمل في معلقة (طرفة) يجد أنّ أكبر مقاطع المعلّقة يتحدث عن الناقة فيما يزيد على خمسة وثلاثين بيتاً، وتدخل ناقة (طرفة) إلى حيّز الرّمز الواسع العميق الذي يرمز إلى أشياء كثيرة في حياة الشاعر، خصوصا وأن الناقة هي حياة الجاهلي في الصحراء.

ويقول طرفة في وصف الناقة:

تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ المُهِيبِ وتَتَّقِي

بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَف مُلْبِدِ

كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنّفَا

حِفَافَيْهِ شُكَّا فِي العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

فَطَوْراً بِهِ خَلْفَ الزَّميـلِ وَتـارَةً

عَلَى حَشَفٍ كـالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ

لَهَا فِخْذانِ أُكْـمِلَ النـَّحْضُ فِيهِمَا

كَأَنَّهُمـا بَابـا مُنِيـفٍ مُمَرَّدِ

وطَيٍّ مَحـَالٍ كَالحَنـِيِّ خُلُوفُـهُ

وأَجْرِنـةٌ لـُزَّتْ بِرأيٍ مُنَضَّدِ

كَأَنَّ كِنَـاسَيْ ضَـــالَةٍ يَكْنِفَانِهَا

وأَطْرَ قِـسِيٍّ تـَحْتَ صَلْبٍ مُؤَيَّدِ

لَهَا مِرْفَقَـــانِ أَفْتَـلانِ كَأَنَّمَـا

تَمُــرُّ بِـسَلـْمَي دَالـجٍ مُتَشَدِّدِ

كَقَـنْطَرَةِ الرُّوْمِيِّ أَقْـسَمَ رَبُّهَـا

لَتُكْـتـَنِفَنْ حَتَى تُشَـــادَ بِقَرْمَدِ

صُهَـابِيَّةُ العُـثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا

بَعِيدةُ وَخـْدِ الـرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ

أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شـَزْرٍ وأُجْنِحَـتْ

لَهَا عَضـُدَاهَا فِـي سَقِيـْفٍ مُسَنَّدِ

جَنوحٌ دِفَاقٌ عـَنْدَلٌ ثـُمَّ أُفْرِعَـتْ

لَهَا كَتِفَاهَا فِــي مُعَالىً مُصَعَّـدِ.[1]

من خلال هذه القطعة الشعرية نلحظ أن الناقة تحمل دنيا واسعة من المعاني عند (طرفة) بقدر صحرائه الواسعة الممتدة امتداد الأفق غير المتناهي[2] وهي رفيقة الدرب لا غنى للشاعر عنها في حلّه

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 30.

[2] – عبد الجليل العريض، طرفة ابن العبد وصورة الناقة في شعره، ضمن دراسات وأبحاث ملتقى البحرين، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان. ط 1، 2000م ص 70.

وترحاله. وقد رسمها (طرفة) بريشة رسّام جعل منها لوحة فنية إبداعية أفاض عليها من روحه وحالته النفسية، ودفقاته الشعورية، فهي رفيقة دربه، وأنيس غربته وصاحبة وحدته، جعلها قبلة الشعراء الجاهليين وأتعب وصفها من بعده.

وإن المتفحِّص لهذه القطعة الشعرية يلاحظ انتشار الأصوات الحلقية فيها بشكل لافت للنظر، حيث كرّرها الشاعر أربعا وخمسين مرة بواقع خمس عشرة مرة للحاء، وتسع مرات للعين وأربع مرات للخاء.

ونلاحظ من خلال هذا التقسيم أن الشاعر قد لجأ إلى الأصوات الحلقية الضعيفة، مبتعداً عن الأصوات ذات الصّفات القويّة، ويرجع سبب ذلك إلى أنّ الشاعر يتحدث عن ناقته المثالية في صفاتها كما يتمثلها (طرفة)، فهي المثال الذي يتراءاه لحياة بهذه الصفات، تملؤها القوة من كل جانب، يتحدث عن ناقته المثالية التي يتعب الأدباء بحثا عن كلمات شفافة عن الحديث عن مثلها، فيختارون أرق الكلمات و أكثرها إرهافاً، لذلك كلّه اختار الشاعر الأصوات الحلقية السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي كبير في نطقها[1]، وبالرجوع إلى الأصوات الحلقية المستخدمة في تلك القطعة يتضح أنها باستثناء الهمزة أصوات رخوة، إضافة إلى أنها أقرب إلى الهمس منها إلى الجهر، فالهاء والحاء والخاء جميعها أصوات مهموسة، والهمزة صوت متوسط لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور[2].

ومن ثم فلم يبق إلا صوت العين الذي كرره الشاعر تسع مرات هو الصوت الحلقي الوحيد المجهور في تلك القطعة، وإضافة إلى صفتي الرخاوة والهمس التين سيطرتا على الأصوات الحلقية في القطعة، هناك صفة ثالثة وهي الاستفال، حيث يُلاحظ أن من بين الأربع والخمسين مرة التي كرر فيها الشاعر الأصوات الحلقية، لم يأت بالأصوات المستعلية منها إلا أربع مرات، متمثلات في صوت الخاء، في حين سيطرت الأصوات الحلقية التي تنتسب إلى صفة الاستفال على سائر القطعة الشعرية

[1] – ينظر: التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 248.
[2] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 78.

بصورة واضحة، كما أن جميع تلك الأصوات مرقّقة باستثناء صوت الخاء الذي ينتسب إلى أصوات التفخيم والتي تعتبر من صفات القوة في الأصوات، أما الصوت السادس من الأصوات الحلقية الخفيفة وهو صوت الغين، فقد غيّبه الشاعر غياباً كاملاً حيث لم يرد إطلاقاً في القطعة، وهذا إن دل على شيءٍ فإنّما يدل على حسن توظيف الشاعر للأصوات الهادئة الرقيقة في التعبير عن عاطفته الرقيقة تجاه ناقته المثالية كما وصفها، إذ أبعد الصوتين القويين من الأصوات الحلقية عن قطعته السابقة، وإذا كان قد استخدم الخاء أربع مرات، فإنه قد أهمل استخدام الغين والذي يعتبر أقوى تلك الأصوات على الإطلاق، إذ يتمتع بطبقة الجهر والاستعلاء والتفخيم، فهو أقوى من الخاء بانتسابه إلى الأصوات المجهورة، وبهذا يكون الشاعر قد تجنّب الأصوات الحلقية ذات الصفات القوية، لأنّه يتحدث بروح مرهفة عن ناقته المثالية صاحبة المنزلة العالية في نفس الشاعر.

ويواصل الشاعر الحديث عن صفات هذه الناقة الجسدية مازجاً بينها وبين صفاتها المعنوية:

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا

مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَـلاقَى وأَحْـيَاناً تَبِيْنُ كَأَنَّهَا

بَنَائِـقُ غُرٌّ فِـي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِـهِ

كَسُكَّانِ بُـوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وجُمْجُمَةٌ مِـثْلُ الفَـلاةِ كَأَنَّمَـا

وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشّامِي ومِشْفَرٌ

كَسِبْـتِ اليَمَانِـي قـَدُّهُ لَمْ يُجـَرَّدِ

وعَيْـنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا

بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

طَحُورَانِ عُوَّارَ القَذَى فَتَرَاهُمَا

كَمَكْـحُولَتَيْ مـذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَـدِ

وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى

لِهَجْـسٍ خَفيٍّ أَوْ لِـصوْتٍ مُنَـدَّدِ

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيْهِمَـا

كَسَامِعتَـي شَاةٍ بِحَـوْمَلَ مُفْـرَدِ

وأَرْوَعُ نَبَّـاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَـمٌ

كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ فِي صَفِيـحٍ مُصَمَّدِ

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا

وَعَامَتْ بِضَبْعَيْـهَا نَـجَاءَ الـخَفيْدَدِ

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْـتُ أَرْقَلَتْ

مَـخَافَةَ مَلْـوِيٍّ مِنَ القـدِّ مُحْصَدِ

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَــارِنٌ

عَـتِـيقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ

إِذَا أقـبَلـتْ قـَالُوا تـأَخَّرَ رَحْلُهَا

وإنْ أدْبـَرَتْ قـَالـُوا تـقَـدَّمَ فَاشْدُدِ

وَتَضْحِي الجِبَالُ الحُمْرُ خَلْفِي كَأنّـَهَا

مِنَ البُعْـدِ حُفـَّتْ بالمــُلاَءِ المُعَضَّدِ

وَتشْرَبُ بِالقَعْبِ الصَّغِــيرِ وَإنْ تُقَدْ

بِمَشْفـرِهَا يَوْماً إلَـى اللَيْلِ تـَنْقَــدِ.[1]

إنّ الشاعر ينتقل من وصف الناقة الجسدي إلى وصفها المعنوي، لأن كل صفة من صفاتها الجسدية إنما تدلّ على صفة معنوية، فيها أصبحت هذه الناقة المثال بهذه المنزلة في نفس الشاعر.

إنه يصف جمجمتها بالصّلابة، وعظامها بأنها كأنّما رُكِّبت على حرف مِبردٍ مسنٍّ كما يصف فتوتها وقد تمثلت في خدها الأملس الذي كأنّه الصحيفة، وفي مشفرها المصقول كأنه الأدم المدبوغ.

ولا ينسى الشاعر أن يصف عيني الناقة بأنهما في غاية النظافة، حتى أنّهما لتطردان ما قد يصبهما من آثار القذى، وهما في اتساعهما وحسنهما، والكحل الطبيعي فيهما، كأنهما لبقرة وحشية، أمّ ولد خافت عليه، ورنت إليه خائفة مذعورة، إنّها –كما قلنا– ناقة مثالية، كاملة، تمثّل الحلم الذي ينشده طرفة.

[1] – ديوان طرفة بن العبد، ص ص 22– 23.

وليس غريباً على الشاعر أن يتحدث عن ناقته المثالية بلغة شفافة رقيقة، وهذا ما فعله الشاعر، حيث كرّر الأصوات الحلقية خمسا وثمانين مرة بوضع ثلاثين مرة للهمزة واثني عشرة للحاء وعشرين مرة للعين وسبع مرات للخاء ومرتين للغين، ويتضح من التصنيف السابق لتلك الأصوات سيطرة الأصوات المهموسة على هذه القطعة الشعرية، باستثناء الغين والخاء واللتين لم يردا إلا تسع مرات، كما غلب على تلك الأصوات ما انتسب منها إلى الأصوات الرخوة، حيث ترددت أصوات الحاء والهاء والعين والخاء ثلاثاً وخمسين مرة، أما الأصوات الحلقية الشديدة فلم ترد عنده إلا ثلاثين مرة متمثلة في الهمزة فقط لأنّها الصوت الشديد الوحيد بين أصوات الحلق.

أضف إلى ذلك أن تلك الأصوات في معظمها تنتسب إلى صفة الاستفال باستثناء الغين والخاء اللتين لم تردا إلا تسع مرات فقط، وهذا يعني أن الشاعر قد لجأ إلى الأصوات الهادئة الشفافة لينسجم ذلك والحالة التي كان يعيشها الشاعر.

وبنظرة شمولية لتلك القطعة الشعرية، فإنها تشتمل في معظمها على الأصوات المرققة، حيث لم ترد الأصوات المستعلية إلا سبع مرات، وقياسا بالأصوات المرققة فإن الرقم سبعة يكاد لا يُذكر مع باقي الأصوات، وهذا ما أكده إبراهيم أنيس، حيث قسّم الحروف إلى قسمين: « أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف والآخر يناسب المعنى الرقيق الهادئ»[1].

وإذا كانت الأصوات الحلقية ذات المخرج الأقصى والأوسط قد عبّرت عن المعاني الرقيقة الشفافة في الحديث عن ناقته المثالية تارة وعن الحبيبة تارة أخرى، لما تمتعت به تلك الأصوات من رقة في صفاتها بخلاف الغين والخاء اللتين تنتسبان إلى أدنى الحلق.

فإن هناك أصواتاً أخرى أجاد الشاعر في توظيفها لأغراض مختلفة فمثلا يقول في هذه القطعة ويقدم نفسه هكذا:

[1] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 43.

إِذَا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَىً؟ خِلْتُ أَنَّنِي

عُـنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ.[1]

إنه يشعر في قرارة نفسه أنه المعني بكل نداء إلى المكرمات والشرف، ولذا فهو لا يكسل عن النداء، ولا يتبلّد بل إنّه ليخيَّل لسماعه أنه كذلك في كل مكان يمكن أن نجده، لأنّه لا يختبئ مخافة فعل المكرمات:

وَلَسْتُ بِـحَلاَّلِ التّلاعِ مَـخَافَةً

وَلَكِن مَتَى يَسْتَـرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ

وَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْـقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي

وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

مَتَى تَأتِنِي أَصْبَحْـكَ كَـأْساً رَوِيَّةً

وَإِنْ كُنْتَ عَنْـهَا غَانِياً فَـاغْنِ وَازْدَدِ

وَإِنْ يَلْتَقِي الحَيُّ الجَمِيْعُ تُلاَقِنِي

إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكَـرِيمِ المُـصَمَّدِ

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُـومِ وَقَيْنَـةٌ

تَرُوحُ عَلَينَا بَيْنَ بُـرْدٍ وَمَـجْسَدِ

رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيقَةٌ

[1] – ديوان طرفة، ص 24.

بِجَسِّ النُّدامـَى بَضَّةُ المُـتَجَـرَّدِ

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: أَسْمِعِيْنَا انْبَرَتْ لَنَا

عَلَى رِسْلِهَا مَطـْرُوقَةً لـَمْ تـَشَـدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا

تـَجَـاوُبَ أَظَارٍ عَلـَى رُبَعٍ رَدِ.[1]

يبدو في هذه القطعة انتشار صوت الرّاء بصورة واضحة حيث كرره الشاعر سبع عشرة مرة في ثمانية أبيات شعرية، وبالنظر إلى صفات صوت الراء يتضح أنه صوتٌ مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، ويقبل صفتي التفخيم والترقيق، ولكن ثمة صفة يتميز بها هذا الصوت عن غيره من أصوات العربية، وهي صفة التكرار، حيث يتكرر طرق اللسان للحنك عند النطق به[2]، ومن الواضح أن تلك الصفات لصوت الراء تضعه في جملة الأصوات القوية، الأمر الذي دفع الشاعر إلى تكراره بهذا الكم الهائل في تلك الأبيات القليلة، التي يتحدث فيها عن نفسه فحشد هذه المجموعة من ضمائر المتكلم ليبين حالة الاعتداد الذاتي بنفسه لنفسه، وإنه يتحدث عن نفسه كذلك بأنه لا يستخفي عن العطاء، كذلك فهو في موطن اجتماع القوم يظهر أنه من البيت الرفيع، فهو في حلقة القوم عندما تنعقد للسمر، أو المفاخرة، كذلك إن شئت وجدته في الحوانيت، وإذا أتيته فإن كرمه لن يبخل عليك بكأس رويّة، حتى وإن كنت ذا غنى عنها (فاغنِ وازدَدِ).

وقد أبرز الشاعر حضور صوت الراء بتكراره في معظم أبيات تلك القطعة الشعرية حتى يترك صدى في الآذان يدلِّل على مدى كرمه وفخره بنفسه.

[1] - ينظر: ديوان طرفة، ص 24.

[2] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 60.

وفد عزّز الشاعر صوت الرّاء بأصوات قوية أخرى للدلالة على الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، فقام بتوظيف أصوات التفخيم والاستعلاء مرّات عديدة، وضاعف من قوتها بربطها مع صوت الرّاء في الكلمة نفسها كما في الكلمات الآتية: مَطْروفة، آظار، وهي من الأصوات العربية القوية أبرزها الشاعر لتدعِّم بقوتها قوة صوت الراء في رسم تلك الشخصية القائمة على الفلسفة الذاتية.

وفي أبيات أخرى يعود إلينا مرة ثانية لتوظيف صوت الراء لحمل دلالة أخرى، حيث يقول:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي

وبَــيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتَــنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا

وأُفــرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ.[1]

وفي هذين البيتين يكرر الشاعر صوت الراء سبع مرات في حديث يصف فيه مجلس الشراب والجارية التي تساقيهم وتغنّي لهم، ثم يؤكِّد أنّ هذا هو حاله الذي هو مستمرٌ عليه ويذكر النتيجة التي وصلت به إليها هذه الحياة اللاهية العابثة، لذلك كله جاء صوت الراء ليعزّز جانب التحدّي وجانب الحياة المضطربة الذي يتوافق مع ضربات طرف اللسان باللثة. ولكن هذه القطعة الشعرية الصغيرة تختلف عن سابقاتها في خلوّها من أصوات التفخيم وانتشار الأصوات المهموسة فيها، ولعل مرجع ذلك إلى تعزيز جانب الأمل الذي يرسمه الشاعر كبديل عن الحياة اللاهية التي لم يعد له مخرجاً منها.

وليس بعيداً عن مخرج الرّاء، يطالعنا الشاعر بصوت اللام في أبيات أخرى من قصيدته (المعلّقة) والتي يقول فيها:

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 25.

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي

عَقِيـلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى المَوْتَ لاَ يَرْعَى عَلَى ذِي جَلاَلَةٍ

وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَزِيزاً بِمَقْعَدِ

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمـَالِهِ

كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِـدِ

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِن تُرَابٍ عَلَيْهِمَا

صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّـدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى

لَكَا لِصَوْلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ

مَتى مَا يَشَأْ يَوْماً يَقُدْهُ لِحَتـْفِهِ

وَمَنْ يـَكُ فِي حَبْلِ المـَنِيَةِ يَنْقدِ.[1]

في هذه القطعة الشعرية من المعلقة يبرز صوت اللام كصوت مميّز الحضور، حيث كرّره الشاعر ثمان عشرة مرة، وبالرجوع إلى صفات صوت اللام، فإنّه صوت مجهور بين الشدة والرخاوة، حيث لا يُسمع معه انفجار ولا يكاد يُسمع له حفيف الأصوات الرخوة، إضافة إلى أنه من أوضح الأصوات الساكنة سماعاً، مثله في ذلك مثل صوت الراء وصوت النون، كما أنّه يشترك مع صوت الراء في

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 26.

التفخيم والترقيق[1]، وإن ورد في القطعة السابقة مرقّقاً، وبالتالي فإنّ الصفات التي تغلب عليه هنا هي الوسطية بين القوة والضعف، مع الميل إلى جانب الصفات الضعيفة وهذا ما يلزم حالة ذكر الموت لكونه هادم اللّذات ومفرّق الجماعات، وباعتباره الهاجس الرئيسي في المعلقة- يظهر جليّا من أوّل القصيدة، ويفسّر كل مقاطعها، ويشدها بحبل فنّي وفكري واحد، فالوقوف على الأطلال، ومعناه الرحيل، وانتهاء الأنس بالديار ومن فيها، ووصف الناقة التي هي المعادل الموضوعي للحياة، أو الرمز لها، باعتبارها نقيض الموت، واسترسال طرفة فيها ومحاولة التشبّه من ملذاتها، لم يمنع ذلك كله من أن يُظهر الموت كنهاية لكل ذلك، فما يفعل طرفة أنّه يُفلسِف به كل مواقفه في الحياة.

وهذا ما يلزم حقيقة ذكر الموت، فالحديث عنه يحتاج إلى شيء من اللين والرّقة مع كثير من الترهيب، وقد انتشرت الأصوات الرخوة معظمها في تلك القطعة الشعرية من المعلقة كما انتشرت الأصوات المائعة التي ينتسب إليها صوت اللام لتؤدي دور الموازنة في الحديث عن الموت.

ويسترسل طرفة في الحديث في سياق آخر يروي قصة أخرى تتمثل في صدمته في ابن عمّه (مالك) فيقول:

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِـي

وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَـدَّدِ

ولاَ يَرْهَبُ ابْنُ العَمِّ مَا عِشْتَ صَوْلَتِي

وَلاَ أخْتـَنِي مِـن صَوْلَةِ المُتَهَدِّدِ

وَإنِّــي وَإِنْ أوْعَـدْتُهُ أوْ وَعَدْتـهُ

[1] – ينظر: إبراهيم أنيس، أصوات اللغة العربية، ص 58.

لـمَخْتَلِفُ إبْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي.[1]

ثم يعرض قصّته مع ابن عمّه (مالك) قائلاً:

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً

مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّـي ويَبْعُدِ

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي

كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي

نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حَـمُـولَةَ مَعْبَدِ

بِلاَ حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وكَمــُحْدَثٍ

هِجَائِي وقَذْفِي بِالشَّكَاةِ ومُطْرَدِي

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَـبْتُهُ

كَـأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسِ مُلْحَدِ

وَلاَ خَيْرَ فِي خَيْرٍ تَرَى الضَّرَ دُونَهُ

وَلاَ نَائِلٍ يـأْتِيكَ بَعـْدَ التَلَدُّدِ.[2]

[1] - ينظر: ديوان طرفة، ص 25.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص 26.

في هذه القطعة الشعرية يكرّر الشاعر صوت اللام ثمان وعشرين مرة، حيث يسيطر هذا الصوت على باقي أصوات القطعة سيطرة تامة دون أن ينافسه أي صوت آخر، ويبدو أن السّبب الذي كان في النموذج السابق هو ذات السبب في هذا النموذج، إضافة إلى أنّه صوتٌ منحرفٌ انحراف مسلك طرفة في حياته، فالشاعر يواجه مشكلة القرابة والعمومة، وهو بهذا يبيّن خصاله في التعامل مع أهله وذويه، لقد سعى إلى كل ما يقوّي روابط القرابة، وحين تواجه العائلة أموراً صعبة فإنّه لا يتراجع كما يفعل الآخرون، بل يتقدّم لتأدية الواجب، حتى إذا هاجم الأعداء قومه، فإنه يبذل كل جهده ليصدّهم، وأما إن كان الموطن موطن دفاعٍ عن العرض، فإنه يُهوّن في سبيله كلّ شيءٍ حتى يصل الأمر إلى حمل السلاح دفاعاً عن هذا العرض.

فالشاعر هنا يشكو ابن عمه وكأنّه يوجّه رسالة للسماء ينصح فيها ويذكر فيها الخصال، يوجّهها بلطفٍ ممزوج بالحرقة والإصرار، ويتضح ذلك الإصرار من خلال أصوات التاء والكاف والقاف، تلك الأصوات الانفجارية، والذي إن دلّت على شيء فإنما تدل على انفعال الشاعر وأسفه على إنكار الجميل من لدن ابن عمه (مالك)، فقد صنع معه على غير ما كان يتوقع، إنّه لم يفرّج كروبه ولو بكلمة تُصبره إلى الغد، وحتى لو قدم له طرفة كلمة شكر لإنكاره لم يقبلها منه، فهو يحاول أن يعلن رسالته ويذكر خصاله ومكارمه، ومن هنا جاء توظيفه للأصوات المهموسة الرقيقة إمعاناً في تأدبّه مع أقاربه في القبيلة وهذا دأبُ الكرماء، كما كان هنا حضور لبعض أصوات الصّفير لصوتي السّين والصّاد وكأنه يريد أن ينبّه ابن عمّه لخطورة الموقف. ثم يخرج الشاعر من رحلته مع هذا الصراع مع ابن عمه بالحكمة المتمثلة في قوله:

إذَا أنْت لَمْ تنفَع بـوُدِكَ أهْلَهُ

وَلَمْ تـَنْكَ بِالبُؤْسَى عَدُوَّك فابْعَـدِ

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ

وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَوَ بنَ مَرْثَدِ

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيْرٍ وَزَارَنِي

بَـنُونَ كِـرَامٌ سَـادَةٌ لِمـُسَوَّدِ.[1]

وفي هذه القطعة حضور لبعض أصوات الصفير وظفها الشاعر مرة أخرى، وكأنما يريد أن ينبه ابن عمه من جديد على خطورة الموقف وكذلك على إصراره في إتباع منهجه في الحياة كما يراه هو، مصراً على مواقفه وفِعاله.

وبالنظر إلى غرض آخر من الأغراض الشعرية لدى الشاعر، يستطيع الدارس أن يلمس انتشار أصوات أخرى تتلاءم ومضمون ذلك الغرض فهو دائماً يحاول « أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة. وهنا تكون المخالفة بين نسبة شيوع الحروف في اللغة شعرها ونثرها، ونسبة شيوعها في لغة الشعر وحدها»[2].

خامسا: المواد الصوتية للخطاب الشعري:

كل ما يريد الشاعر أداءه إلينا من مضمون فكره وعاطفته، إنما يؤديه عن طريق الكلمات اللغوية، بما لها من معان وخصائص صوتية وموسيقية، وقد اقتصرت الدراسات الصوتية للشعر قديما، على درس العروض، فتنوع القوافي والبحور، في حين أن القصيدة لا تتحقق إيقاعاتها وبنيتها الصوتية بمحض الإيقاع الخارجي لها، بل يشترك في ذلك إيقاعها الخاص، الذي تؤديه الفونيمات والمقاطع في مجاميعها الصوتية. ولتوضيح مختلف البنيات الجزئية للخطاب الشعري نقترح المشجر[3] الآتي:

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 27.

[2] – ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 43.

[3] – محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1989، ص 28.

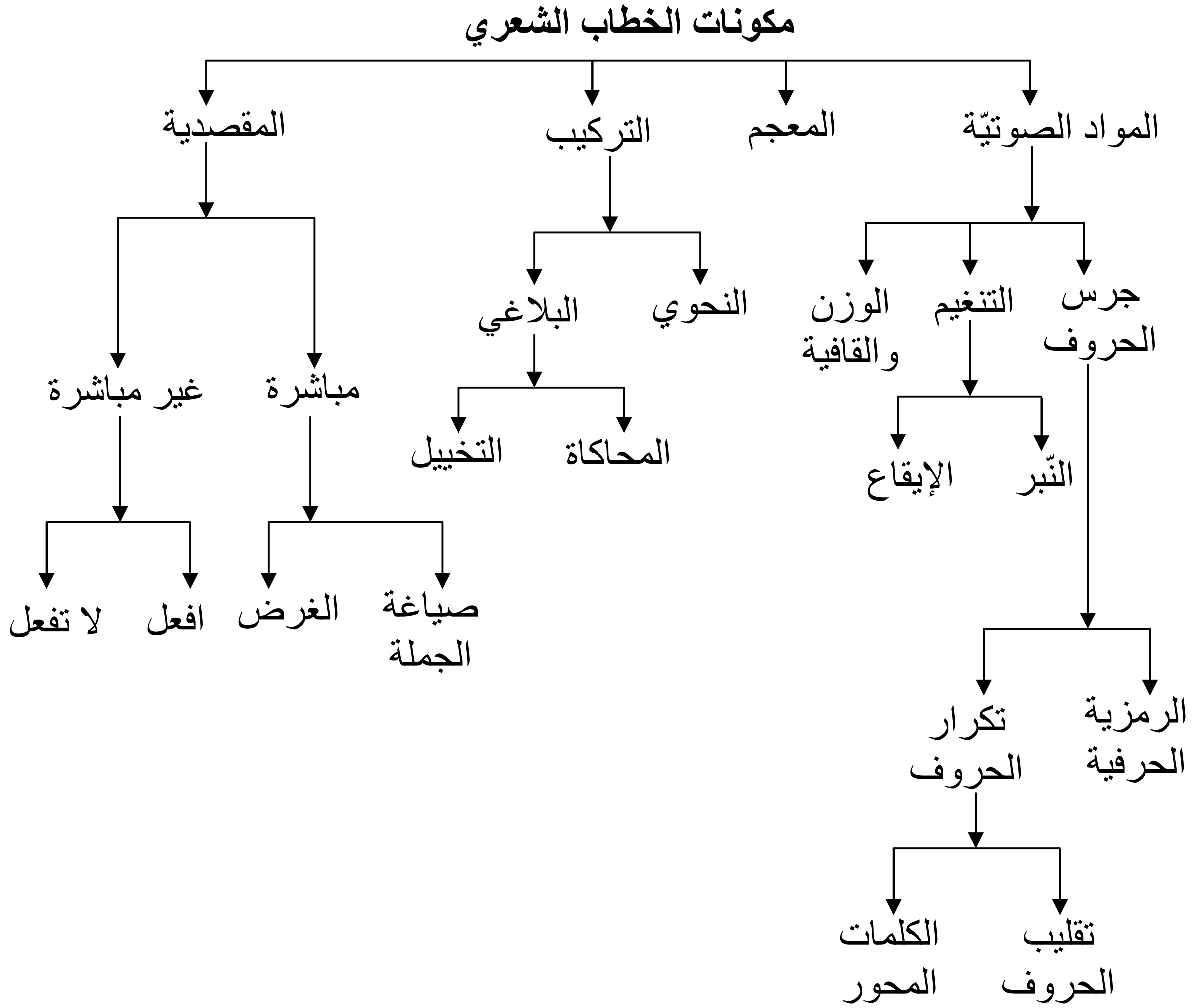

فحين يجتمع الحرف مع الحركة لأنّهما يكوّنان مقطعاً، وقد سمي المقطع كذلك لأنّه أصغر الأجزاء التي يمكن أن تقسّم إليها الكلمة، ويمكن النطق بها مستقلة.

وبعد أن درسنا جملة من المعطيات الدلالية التي تقدّمها الصوائت والصوامت، كلٌّ على حدة، اقتضت منّا الدراسة أن نستأنف هذا البحث بدراسة الفونيمات فوق مقطعية، ممثّلة في النبر والتنغيم، وقد بدأناها بالحديث عن المقاطع.

لئن اعتبر معظم اللسانيين، أن المقطع يقع ضمن الفونيمات المقطعية، فإنّا وجدنا في التفاتة عبد القادر عبد الجليل*، ما حفّزنا على إدراج المقاطع ضمن خانة الفونيمات فوق المقطعية، وذلك لأن المقطع يرتبط بصورة مباشرة بتحديد مواقع النبر، وتفسير الظواهر الصوتية المصاحبة للتنغيمات التي ترد في الكلام، كما أن الدراسات التجريبية المعملية الحديثة لحركة تيار الكلام، تعتبر المقطع أساً من أسس التحليل اللغوي[1].

وتجدر الإشارة هنا، أن نميز بين ما عرف عند علمائنا القدماء بالمقطع الشعري، وبين ما نجده في الدرس اللساني الحديث من مصطلح المقطع اللغوي، أما المقطع الشعري فهو ما تداولته الدراسات العروضية قديماً، أثناء تقطيع القصيدة إلى تفعيلات، فكانت المقاطع عبارة عن أسباب وأوتاد، لتبين الفرق بين هذين المصطلحين نسوق هذا المثال:

نجد في المقاطع اللغوية المتوسطة الطول نوعين، إما مقفل (يتكون من حرف تلحقه حركة قصيرة فحرف ساكن، مثل قدْ)، وإما مفتوح (يتكون من حرف واحد، تلحقه حركة طويلة مثل "مَا").

وإذا أخذنا التركيب (قَ . أ . جَبْ . تُ . هَا) فإن العروضيين يُسوّون بين نوعي المقطعين المتوسطين (جَبْ) و(هَا)، ويسمونها باسم واحد هو السبب الخفيف، لأنهما يتساويان في كمهما من التفعيلة العروضية، لكن بينهما في حقيقة الأمر اختلافا في الكمية والطول، وهو اختلاف لا يظهره التقطيع العروضي، إنما يظهر في الإيقاع الداخلي لوحدات الكلمات، مما يجعل المقطع الأول (جَبْ) يختصّ بقفلته، والمقطع الثاني (هَا) بامتداده.

* – حين يعتبر المقاطع، فونيمات فوق مقطعية إلى جانب النبر والتنغيم. ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2002، ص 348.

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، ص 214.

4) الدراسة المقطعية.

مثلما كان الاقتصار على الإيقاع العروضي، والاستماع إليه وحده، يغنينا عن عناصر موسيقية وتنوّعات صوتية أخرى ترتبط بالإيقاع الداخلي للكلمات، كانت دراسة الفونيمات المقطعية هي الأخرى غير كافية وحدها لتحديد ملامح الدلالة المركزية للخطاب الشعري، وأضحى لزاما على الدارس اللساني الحديث أن لا يتغافل عما تقدمه كميات المقاطع ونوعياتها، من تفسيرات دلالية، وكذا ما تحمله التنوعات الصوتية الفونيمات فوق مقطعية، من نبر وتغنيم، حين تنقل ارتيابات الأداء الحركي للخطاب الشعري، وتهدج الأصوات تفاعلا مع العواطف حدة وانخفاضا.

4-1 تعريف المقطع:

ومع اتفاقهم على أهمية المقطع، لم يتفق اللسانيون على تعريف واحد له، فاختلفت نظرتهم إليه، في اعتباره مكونا فيزيائيا، أو ناتجا سمعيا أو أداء وظيفيا، وهنا نكتفي من هذه التعريفات بما يخدم مجال بحثنا، فجلّ الدراسات الصوتية الحديثة* تجمع أن المقطع هو «تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حد أعلى، أو قمة سماع، تقع بين حدين أدنيين من الإسماع»[1]، ويمثل هذا التصور أصحاب الاتجاه الصوتي، ويعرّفه محمد السعران بأنه: «مجموعة من الأصوات، التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة»[2]، هذه القمة هي التي تمثل نواة المقطع ومركزه، أما الاتجاه الوظيفي فيعرّف المقطع بأنه: « وحدة ذات صفات وخصائص متميزة في كل لغة»[3]، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم Bolinger، أنّ « الفونيمات لا تُمتلك إلا داخل المقطع، لأنها تنطلق على شكل تجمعات صوتية، وتعتمد صفاتها وخصائصها وكيفية انتظامها في مقاطع، على طبيعة المقطع

* – لمراجعة هذه التعريفات، ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية؛ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة؛ وبسام بركة، علم الأصوات العام.

[1] – عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 348.

[2] – محمود سعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص 139.

[3] – عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 349.

وتشكيلاته»[1]، فالمقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية، والوحدة الصغرى هي الفونيم، ثم يليها المقطع مكوّناً من فونيمات بترتيب معين، ثم تأتي مجموعة النغم "قطار المقاطع" المحتوية على النبر، وعلى تتابعات من مجموعات النغم[2].

2-4 مكونات المقطع:

للمقطع بنية ثنائية هي الاستئناف والقافية، وتتجلى القافية في صورتين، إذ يمكن أن تقتصر على القمة (النواة)، ويمكن أن تحتوي على قمة وذيل، ويرتبط الاستئناف في العربية عادة بالصوامت، في حين أن القمة لا تكون إلا صائتاً، والذيل بدوره لا يكون إلا صامتاً.

والمقطع بهذا الوصف الفيزيائي هو صوت مقطعي أعظم، يحيطه قطاعان ضعيفان من الناحية الصوتية[3]، فهو كائن بين انغلاقين، ويمكن أن نرمز لمكونات المقطع بالشكلين[4] الآتيين:

الشكل -1-: في حالة انتهاء المقاطع بصامت مثل المقطع الطويل المنغلق (مَنْ).

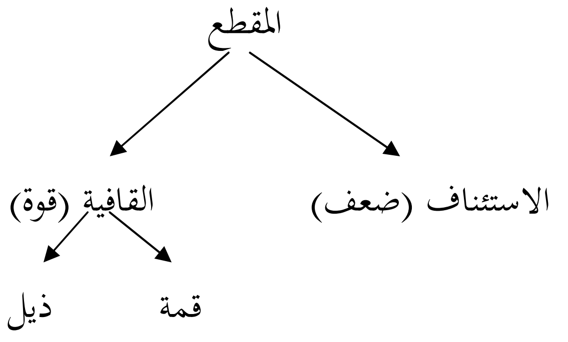

---

[1] - ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 349؛ عن:
- Bolinger, Aspects of language, p47.

[2] - ينظر: طيبي أمينة، الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، عن الموقع: www.awu.com، اطلع عليه في: 12 جانفي 2008.

[3] - ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 351.

[4] - ينظر: خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل حاوي نموذجاً، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2006، ص 154.

الشكل -2-: في حالة عدم انتهاء المقطع بصامت (مثل المقطع القصير أو الطويل المنفتح: بَ، بَا).

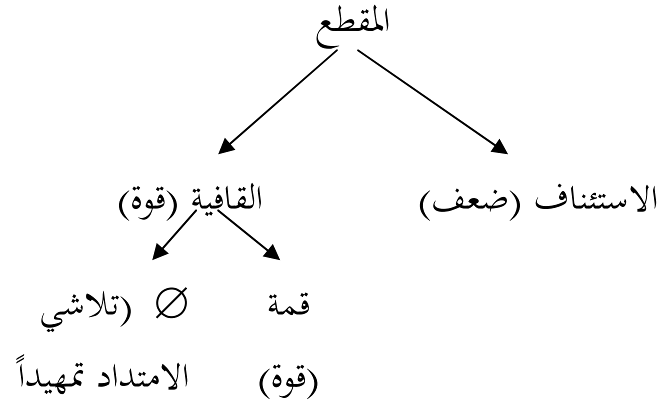

أ. **أشكال المقاطع في اللغة العربية:**

أنواع المقاطع في اللغة العربية خمسة هي[1]:

1. صوت ساكن + صوت لين قصير.
2. صوت ساكن + صوت لين طويل.
3. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.
4. صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن.
5. صوت ساكن + صوت قصير + صوتان ساكنان.

ويقع الاختلاف بين التلميذ (تمام حسان)، وأستاذه (إبراهيم أنيس) في عدد المقاطع في العربية، فيجدها الأول ستة أنواع، مضافا إليها نوعاً آخر هو (صائت + صامت)، كما أن القاعدة في تمييز هذا النوع هي أنه يوجد في بداية كل ما بدئ بهمزة الوصل[2].

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 164.

[2] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص 164.

ب. نتائج الدراسة المقطعية عند إبراهيم أنيس وتمام حسان:

من خلال اطلاعنا لما أوردته الدراسة المقطعية لدى هذين الباحثين، أمكننا تسجيل بعض الملاحظات التي يُعتدُّ بها – أثناء الإجراء– ومنها:

- يختار تمام حسان في ترميزه للمقاطع، بأن يجعل للصامت الرمز (ص)، وللصائت الرمز (ع)، وهو نفس الرمز الذي سنعتمده أثناء بحثنا. (فيكون مثلا رمز المقطع القصير هو: ص ع).
- تحديد المقاطع، بدايتها ونهايتها، يعتمد على الأصوات، ولا يحتوي المقطع على أكثر من صائت قصير، أو صائت طويل واحد.
- تشيع في العربية الأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع، بينما النوعين الرابع والخامس فقليلا الشيوع، كما يستعمل الشعر العربي القديم المقطعين القصير والمتوسط بكثرة غالبة.
- لا يزيد عدد مقاطع الكلمة العربية، سوابقها (préfixe) ولواحقها (suffixe) على سبعة مقاطع، مثل ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُو اللهُ﴾[1]، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُون﴾[2].
- تميل العربية إلى استعمال المقاطع الساكنة (تنتهي بصامت)، ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة (خاصة إذا كانت من النوع الأول |ص ع|).
- يستحيل اجتماع أربعة متحركات في نفس الكلمة، فيما أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة (منغلقة) مثل: (اسْ، تَفْ، هَمْ، تُمْ).
- إن المقطع من حيث كونه:

[1] – الآية 137، سورة البقرة.

[2] – الآية 28، سورة هود.

- وحدة تركيبية فهو: إما (ص ع) أو (ص ع ع) أو أحد الأنواع المقطعية الأخرى.
- كمية فهو: إما قصير (ص ع)، أو متوسط (ص ع ع)، (ص ع ص)، أو طويل (ص ع ع ص)، (ص ع ص ص) أثناء الوقف.
- شكلا فهو: إما مفتوح (ينتهي بصائت: فَ)، أو منغلق (ينتهي بصامت: مَنْ)، أو مضاعف الانغلاق (ينتهي بصامتين ساكنين: بَدْرْ).
- ومن حيث كونه صورة سمعية: فالصائت له وضوح سمعي، وطول زمني ليس للصامت، كما يتأثر الطول في الصوائت بالمد وفي الصوامت بالإدغام.

وغير هذه النتائج، مما أمكننا استثماره في دراستنا للمقاطع اللغوية، أرجأناه لحينه، وذلك أنّ الذي يهمنا هنا، هو دلالة المقاطع في نسقها، وتركيبها، وكمياتها، وأشكال حضورها، وجغرافية توزيعها، بما يسهم في مقاربة الدلالة المركزية لنص المعلقة .

ج. المقاطع الصّوتيّة في عينات من معلّقة طرفة:

ترجع دلالة المقاطع الصوتية إلى الحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر لحظة نظمه لقصيدته، فإذا كان هادئاً جاءت قصيدته ذات مقاطع كثيرة ويكون ذلك في أغراض بعيدة عن الانفعالات النفسية كالمدح والوصف والغزل وغيرها، أما إذا سيطرت الانفعالات على الشاعر، فإنه يلجأ حينئذٍ إلى المقاطع القليلة التي تنسجم وحالة الاضطراب التي يعيشها.

وقد جعل طرفة بن العبد حين أفاض في وصف لوحاته الثلاث وتصويرها، جزءاً من بنية المعلقة ووحدتها القائمة على التشكيل والتصوير، ولا يسمّى الوزن وزناً إلا لأنّه مرتبط ببنية القصيدة، ولا تسمى القصيدة قصيدةً إلا لأنّ الوزن داخل في تركيبها وتشكيلها وبنيتها، فموسيقى المعلّقة جزء من الصورة التي تحمل تجربته ورؤيته وتعبيره عن موقفه، بل إنها مؤثرة في صوره المتشعّبة الحاملة لمعنى

المعلّقة، والكاشفة عن اليأس والحزن والتشاؤم، الناتج من الموقف الفلسفي للشاعر وهو يعالج فكرة الحياة والموت. وتعتمد المعلقة في كثير من جوانبها على الترجيع الكثير النغمات والنّبرات والمقاطع.

ونبدأ بهذه العيّنة من لوحة النّاقة في معلّقة طرفة، والتي تكاد تكون النموذج والمثال لأي شاعر رغب في وصف ناقة، فقد شكّلت شيئاً أساسياً في حياته الخاصّة والعامّة، فالشاعر بحقٍّ تحوّل بنا في لوحته ما بين الرّسمِ والنّحتِ والتصوير والتمثيل، حيث قال:

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا

مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَـلاقَى وأَحْـيَاناً تَبِيْنُ كَأَنَّهَا

بَنَائِـقُ غُرٍّ فِـي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِـهِ

كَسُكَّانِ بُـوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الفَـلاةِ كَأَنَّمَـا

وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشّامِي ومِشْفَرٌ

كَسِبْـتِ اليَمَانـِي قَـدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ. [1]

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 22.

وبالّرجوع إلى المقاطع الصوتية التي تكوّنت منها هذه القطعة، فإنّ÷ا قد جاءت على النحو التالي:

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع / ص ع س/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع.

مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

تَلاقَى وأَحْيَاناً تبِيْنُ كَأَنَّهَا: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع.

بَنَائِقُ غُرٌّ فِي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/.

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع.

كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الفَلاةِ كَأَنَّمَا: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع.

وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ: ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/.

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشّامِي ومِشْفَرٌ: *ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص.*

كَسِبْتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ: *ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.*

يُلاحظ أن عدد المقاطع في القطعة السابقة قد بلغ مائة وتسعة وثلاثين مقطعاً، وبالرجوع إلى موضوع تلك القطعة، فإنّ الشاعر يصف ناقته، والتي أخذت بلُبِّه، فناقته ملاذُه في سرّائه وضرّائه، في حزنه وفرحه، لذلك نجده يُحسن اختيار ألفاظه وصوره، يصفها دونما أي توتّر أو اضطراب، ومما يؤكد ذلك، فهو يصف ناقته بملامحها الجسدية، ويكمّل بذلك تشكيل صورته ولوحته الإبداعية، الممتدة بوصف عنقها في طوله بذنب سفينة تمخر عباب نهر دجلة، جامعاً بين صور الصحراء وصور البحر والحَضر، منتقلاً إلى خدّيها الذي شبّهه بقرطاس الرّجب الشامي، لذلك فالشاعر كان يتمتع حين كتب هذه المقطوعة من معلقته في وصف ناقته، بنفسية هادئة وديعة، فهو حقّاً يؤكد من خلال هذا الوصف الدقيق على دقّة وظيفتها في الحياة، فعيون الناقة هي التي يرى بها، وآذانها هي التي يسمع بها، وأرجلها هي التي يسير عليها، وبهذا يكون الشاعر قد رسم لوحته وشكل الصورة المثالية للناقة التي يطوف الأرض فيها... لذلك كانت نفسه هادئة ووادعة، ومن هنا جاء هذا العدد الكبير من المقاطع الصوتية في هذه القطعة الشعرية، والذي يدلّل على الهدوء والاستقرار الذي تمتع به الشاعر لحظة الكتابة والذي نتج عنه هذا العدد الكبير من وجود المقاطع الصوتية.

وفي قطعة أخرى من معلّقته والتي يرسم فيها لوحة فنية أخرى تؤكد مذهبه في فلسفة الحياة والموت فيقدم لها بقوله:

وجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخَالَهُ

مُصَاباً وَلَوْ أمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنِي

عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْـــــسَلْ وَلَمْ أَتبَلَّدِ

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيْعِ فَأَجْذَمَـتْ

وَقَـدْ خـَبَّ آلُ الأمْـعَزِ المُتـوَقِّـدِ

وَذَالَـتْ كَمَا ذَالَـتْ ولِيْدَةُ مَجْلِـسٍ

تُـرِي رَبَّـهَا أَذْيَالَ سَــحْلٍ مُمَدَّدِ

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التـّلاعِ مَخَافـَةً

وَلَـكِن مَتـَى يَسْتـَرْفِدِ القـَوْمُ أرْفِدِ

فَإنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَـلـْقَنِي

وَإنْ تَقْتنِــصْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

مَتَى تَأتِنِي أَصْبَحْكَ كَأْسـاً رَوِيَّةً

وَإنْ كُـنْـتَ عَنْهَا غَانِياً فَاغْنِ وَازْدَدِ.[1]

وبالنظر إلى المقاطع الصوتيّة التي تألفت منها هذه القطعة الشعريّة، فإنّها جاءت على النحو التالي:

وجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخَالَهُ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع.

[1] – ينظر: ديوان طرفة، ص 24.

مُصَاباً وَلَوْ أمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أنَّنِي: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع.

عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيْعِ فَأَجْذَمَتْ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص.

وَقَدْ خَبَّ آلُ الأمْعَزِ المُتَوَقِّدِ: ص ع/ ص ع ص / ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

وَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ ولِيْدَةُ مَجْلِسٍ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص.

تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التّلاعِ مَخَافَةً: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص.

وَلَكِن مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أرْفِدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع.

وَإِنْ تَقْتِنِصْنِي فِي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/.

مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحْكَ كَأْساً رَوِيَّةً: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص.

وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِياً فَاغْنِ وَازْدَدِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

يلاحظ أن القطعة الشعرية السابقة تكونت من مائة وتسعة وثمانين مقطعاً، حيث تعتبر كثيرة المقاطع، ويرجع سبب كثرة المقاطع إلى الغرض الشعري الذي تناوله الشاعر فيها، حيث يمدح نفسه، فهو كريمٌ لا يبخل العطاء، وذو رأيٍ سديد يرجع إليه، فهو رجل حربٍ في أيام الحروب ورجل متعةٍ في أيام الرخاء والسلم، يقضي وقته في شرب الخمر وسماع الغناء ومداعبة النساء.

ومن المعلوم أنّ غرض المدح غرضٌ شعري لا ينفعل معه الشعراء، لذلك كان الشاعر هادئاً وغير متوتر حين كتب هذه القطعة، ومن هنا كان ذلك العدد الكبير في المقاطع الصّوتيّة، وبالتالي فإنّ المقاطع الصوتية كان لها دلالة في التعبير عن النفسية المطمئنة الهادئة التي كتب بها الشاعر هذه القطعة.

« إنّ المطّرد في شعر العرب، هو أن يزيد عدد المقاطع المتوسطة على المقاطع القصيرة، وفي الشطر الواحد يتراوح عدد المقاطع المتوسطة بين عشرة وخمسة مقاطع أما المقاطع القصيرة فلا يتجاوز تسعة مقاطع إلا نادراً، كما لا ينقص عن مقطعين، ويمكن تحديد متوسط البيت الشعري بين ثلاثين مقطعاً حدّاً أقصى، وأربعة عشر مقطعاً حدّاً أدنى»[1].

[1] – ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ص 154– 155.

فيكون البيت الشعري بهذا الكمّ خاضعاً للمقاييس البيولوجية، التي تسعى لأن يكون الملفوظ ملائما لوحدة التنفس العادية[1].

ومجموع المقاطع التي يتكون منها النموذج المدروس هو: مائة وتسعة وثمانين مقطعاً، موزعة على سبعة أبيات شعرية، بمعدل سبعة وعشرين مقطعاً لكل بيت، وهو عددٌ يعكس التوازن المشار إليه سابقاً، في توزيع المقاطع من حيث كميتها.

وينتقل الشاعر إلى بيت القصيد، وذروة المعلقة وغرضها الأساسي، وهو خلافه مع ابن عمه **مالك** فيقول:

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً

مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنّـِي ويَبْعُدِ

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي

كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ

كَأَنَّا وَضَعْـنَاهُ إِلَـى رَمْسِ مُلْحَدِ

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ، غَيْرَ أَنَّنِي

نَشَدْتُ فَـلَمْ أَغْفِلْ حَمولَـةَ مَعْبَدِ

وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى، وجَدِّكَ إِنَّنِي

مَتـَـى يَكُ أمْرٌ للنَّكِيْثَةِ أَشْـهَدِ.[2]

---

[1]- ينظر: خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث، ص 32.

[2] - ينظر: ديوان طرفة، ص ص 26- 27.

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص.

مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع.

كَمَا لاَمَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَد: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسِ مُلْحَدِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي: ص ع/ ص ع ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع.

نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ: ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى وجَدِّكَ إِنَّنِي: ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع.

مَتَى يَكُ أمْرٌ للنَّكِيْثَةِ أَشْهَدِ: ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع ع/ ص ع/ ص ع/ ص ع ص/ ص ع/ ص ع.

يوجد مائة وثمانية وثلاثين مقطعاً صوتيّاً في هذه القطعة الشّعريّة صغيراً إذا ما قيس بعدد المقاطع الصوتيّة في الأبيات السّابقة، ولعلّ القارئ لهذه الأبيات يلمس حالة التوتر والاضطراب التي سيطرت على الشاعر، كما يستشعر فيها بوضوح معاني التحدّي والإصرار، هذه المعاني التي لا يمكن أن تمرّ على فكر إنسان دون أن تصحب معها شعور التوتر والاضطراب، حيث استهل هذه المقطوعة بالاستفهام الاستنكاري الذي ينبئ عن غرابة الموقف وتداعياته، واستغرب منه (ابن عمّه) ومن قبيلته كيف يُهجى ويُطرد ويُشكى، ويُعامل بسوء، فهذا التوتر والاضطراب يؤدي إلى زيادة خفقان القلب، وسرعة ضرباته، وقد انعكس كل ذلك في اختزال الشاعر لعدد المقاطع الصوتية حتى تنسجم وحالته النفسية المضطربة.

هكذا وبالنظر إلى النماذج السّابقة يمكن القول بأنّ الشاعر قد استطاع أن يدلّل على حالته النفسية من خلال عدد المقاطع الصوتية، حيث كانت كثرة العدد في مقاطع معلّقته ذات الطابع الهادئ في فرض الوصف، في حين كانت أقل من ذلك في الأغراض التي تنمّ عن حالة نفسيّة مضطربة كالمواجهات والتحدّي.

وقد جاء ذلك – وقد سبق وأن أشرنا– متمشّياً مع نتائج الدّرس الأسلوبي الحديث، الذي يرى أن للشاعر قدرة على النطق بمقاطعه الكثيرة دون عناءٍ إذا كان هادئاً وادعاً، وعلى العكس من ذلك إذا سيطرت عليه الانفعالات[1].

[1]– ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 175.

5) المقاربة النّبرية.

يتأثر طول الصوت اللغوي في العربية، بعوامل فطرية تتعلق بفزيولوجية الصوت وفيزيائيته، وبعوامل مكتسبة، تطرأ على الصوت باعتباره وحدة مقطعية، يؤثر فيها النبر والتنغيم.

أما عن العوامل الفطرية، فأطول الأصوات اللغوية هي أصوات اللّين، ثم الأصوات الساكنة، وأطول الأصوات الساكنة نجد الأنفية منها، « فما الغنّة إلا إطالة في الميم والنون»[1]، وأقلّها طولا هي الأصوات الانفجارية، والتي لا يمتد معها الصوت.

وحين يخضع طول الصوت للعوامل المكتسبة، فإن الضغط على مقطع معين من الكلمة أثناء نطقها، قد يجعل هذا المقطع أوضح في السمع، من بقية المقاطع المجاورة له في السياق الكلامي، دون أن يعنينا إن كان هذا الضغط، سيغير في المعنى أم لا، وذلك لأن قيمة النبر في اللغة العربية أدائية[2]، وليست تمييزية، فلا يتغير المعنى بفعل النبر، إلا على المستوى اللهجي[3] أحيانا.

5-1 النبر عند القدماء والمحدثين:

« النبر وسيلة صوتية، يبرز بواسطته عنصر من السلسلة الصوتية، قد يكون مقطعاً، أو لفظاً، أو جملة، والنبر يكون بواسطة الشدة في النطق، أو ارتفاع النغمة أو المد»[4].

فلا تكاد تخلو من أي لغة، وإنما الفرق هو في كيفية تعامل هذه اللغات مع النبر، هل هو فونيم تمييزي، أم أنه مجرد اضطراب ومضاعفة للجهد، أثناء الأداء الكلامي.

---

[1]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 397.

[2]- ينظر: محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، ص 163.

[3]- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 357.

[4]- مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص 36.

«ولسنا نملك أي دليل مادي، يبين كيف كان العرب الأقدمون، ينبرون كلماتهم»[1]، لكن هذا لا ينفي وجود النبر في العربية، وأما انشغال القدماء عن تسجيل ظاهرة النبر، فربما كان لما رأوا فيه من عدم تغييره للمعنى، فهم طالما اهتموا بالأثر المكتوب، وانشغلوا عن دراسة الملفوظ، « والنبر يتميز مع بقية الفونيمات فوق مقطعية – التنغيم والوقف- بأنها لا وجود لها في النصوص المكتوبة، إنما هي وحدات وظيفية، قد تغيّر ارتفاع الفونيم، أو تواتره أو مدّته، وتغيّر كذلك ارتفاع المقطع أو الكلمة أو العبارة»[2].

فما وجد من دراسة للنبر عند القدماء، هو ما اعتبروه مكافئاً مصطلحيا للهمز، أما المحدثون فهم بين معارض ومؤيد، لخوض غمار هذا الموضوع، ويرى الباحثان مصطفى حركات، وصاحب المختصر في أصوات اللغة العربية - حسن حسن جبل-، أن النبر هو شكل من أشكال تأثر المستشرقين بنبر الكلمة اللاتينية، وهو شبه وهمي في العربية، لأن الناطق بها لا يشعر بهذا النبر[3]، وحجتهما في ذلك أن طبيعة اللغة العربية ليست مقطعية، بخلاف لغات أخرى كالانجليزية والصينية.

ودور النبر في غير العربية خطير، إذ يتوقف عليه تمييز بداية ونهاية بعض الكلمات، وكذلك تمييز نوع الكلمات ومعانيها[4].

لكن رأيا آخر، ذلك الذي يراه كل من إبراهيم أنيس وتمام حسان، « في أننا حين ننطق بلغتنا، نميل عادة إلى الضغط على مقطع معين من كل كلمة»[5]، وأن ما يحدثه النبر في المقطع اللغوي، من وضوح في السمع، وضبط لطول الصوت، هو الذي يتبعه انسجام في الكلام، ونغماته،

---

[1]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص358.

[2]- عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، ص 190.

[3]- ينظر: مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص 35؛ ومحمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص198.

[4]- محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 197.

[5]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 75؛ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة العربية، ص 194.

خاصة الشعر، بل ويسهم في تحقيق التكافؤ البيولوجي بين الكلام المنطوق والنفس المدفوع إلى الخارج لحظة التكلم؛ « وأن النطق في العربية لا يكون صحيحاً، إلا إذا روعي فيه موضع النبر»[1]، وتبعاً لنبر المقطع في الكلمة، فقد تنبر الكلمة كذلك، وتتضح صورتها السمعية في الجملة، مقارنة بما يجاورها من كلمات.

وقد أردف الباحثان دراستهما لظاهرة النبر، بإجراءات مستفيضة استخلصوا منها بعض القواعد، التي تضبط مواقعه في اللغة العربية.

5-2 تحديد مواضع النبر في مقاطع الكلمة العربية:

للنبر في العربية أربع مواضع، أشهرها وأكثرها شيوعا هو المقطع الذي قبل الأخير[2]، وحسب الدراسة التي أعدها إبراهيم أنيس على مجيدي القراءات القرآنية في القاهرة، فإن موضع النبر يتحدد في الكلمة، حسب طبيعة مقاطعها (طولا وقصرا)، وحسب رتبة المقطع في الكلمة، حين نبدأ العد من آخرها، ومواضعه هي:

- **المقطع الأخير من الكلمة:** وذلك في حالة الوقف، حينما يكون المقطع الأخير من الكلمة، من النوعين الرابع (لنستعِين) ولخامس (المستقِرْ)، فإذا لم تنته الكلمة بأحد هذين المقطعين انتقل النبر إلى:
- **المقطع ما قبل الأخير (وهو أشهرها):** أما إذا كان المقطع ما قبل الأخير من النوع الأول (بَ)، وكان ما قبله من نفس النوع كذلك، انتقل النبر إلى:
- **المقطع الثالث حين نبدأ العد من آخر الكلمة:** وإذا كانت المقاطع الثلاث التي قبل الأخير، كلُها من النوع الأول (بَ)، انتقل النبر إلى:

---

[1]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة العربية، ص 177.

[2]- المرجع نفسه، ص 173.

- **المقطع الرابع:** (حين نبدأ العد من آخر الكلمة).

إذا كان الأوروبيون قد قسموا شعرهم باعتبار موسيقاه إلى: شعر كمّي، وشعر ارتكازي (نَبْري)[1]، وشعر مقطعي، فإنّ الحقيقة التي اهتدى إليها الباحث إبراهيم أنيس – في ذات المجال- تربط موسيقى الشعر العربي بعنصرين مهمين[2] هما:

- توالي المقاطع في نظام خاص.

- مراعاة النغمة الموسيقية الخاصّة في إنشاده.

وقد درسنا فيما سبق، المقاطع الصوتيّة من جهة دلالية تكشف عن كمية المقاطع بالدّلالة الرمزية للنص الشعري، أما ما يعني بحثنا في هذا المقام، فهو استجلاء البنية الإيقاعية والموسيقية للخطاب الشعري، فكانت وسيلتنا لذلك، ليس اعتماد التقطيع النّبري لأبيات من المعلّقة من لوحته الفنية الأولى والتي يصوّر فيها الوقوف على الأطلال وبكاء الحبيب:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ

تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ

يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ

كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُـدْوَةً

خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِـفِ مِنْ دَدِ

---

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 150.

[2]- المرجع نفسه، ص 151.

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنَ يَامِنٍ

يَجُورُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي

يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا

كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ.[1]

وبالنظر إلى موقع النبر على مقاطع كلمات هذه الأبيات، يتضح أنه جاء على النحو التالي:

من خلال هذه المقاربة النبرية في الأبيات الخمس الأولى من المعلّقة، أمكننا تسجيل جملة من الملاحظات، نوردها بالشكل الآتي:

- يخضع النبر في الشعر لنفس القواعد التي يخضع لها النبر في النثر، غير أنّنا حين نُنشِد، نطيل زمن المقطع المنبور في الشعر أكثر منه في النثر، فنريد بذلك في طول زمن النطق بالبيت الشعري[2].

- في الكلمات المهموزة – التي تحتوي على همزة- يتموضع النبر فيها على المقطع الذي يشمل الهمزة، إلا في أحيان نادرة، فإنه يقع قريباً من الهمزة.

- موضع النّبر في المقاطع كما تحددها القاعدة، لا يتفق في كل الحالات مع المواضع التي يُثبتها الأداء الكلامي (أثناء الإنشاد)، وهو ما يوحي للأسماع أن الكلمة لا تحمل نبراً واحدا، وإنما هناك نبر رئيس، هو الذي تضبطه القاعدة، ونبر ثاني يفرضه السياق الكلامي، ونذكر مثلاً أن اللكمة (صَحْبِيّ) في الشطر الأول من البيت الثاني، يقع فيها النبر - نظرياً- على المقطع

[1]- ينظر: ديوان طرفة، ص 19.

[2]- ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 168.

الثاني (بَي) في حين أن الأداء النطقي للكلمة يكشف عن ضغط زائد، يتوهّمه السامع، يحدث على المقطع الأخير (يَ).

- إذا اجتمع في نفس الكلمة، حرف الهمزة مع الشدة (حرف مُضعّف)، فإن موضع النبر فيها يكون على المقطع الذي تتشارك فيه الهمزة والشدّة، فمثل الكلمة (كَأنَّ) في الشطر الأول من البيت الثالث من القطعة السّابقة، صورتها بعد التقطيع، هي (كَ. أنْ.نَ)، ويقع النبر فيها على مستوى المقطع ما قبل الأخير (أنْ).

ولقد ارتبطت نتائج هذه المقاربة النّبرية، بإحصاء المقاطع المنبورة، والتركيز على بعض المواضع دون غيرها، ثم ربطها بالمقاطع القصيرة والمتوسطة، وتسجيل بعض الملاحظات، لعل في ذلك إبانة للملمح الإيقاعي الحادث بفعل النّبر، والذي يسهم بشكل مباشر في استكمال الإيقاع الكلي للملفوظ الشعري، هذا الأخير هو أيضاً عنصرٌ من عناصر البنية الصوتية التي تساعد قراءتها، في استحضار الحالة النفسية التي تنتاب الشاعر.

ونحن بهذا الوصف، إنما نعتمد على ما يراه تمام حسان، من أنّ اللغة العربية تحتمل نوعين من موقعية النبر، في التشكيل الصوتي:

أوّلهما هو النّبر الصّرفي (متعلّق بالكلمة وهو مَوْقعي)، وثانيهما نبر دلالي (وهو الذي يكون في الأنساق الكبرى كالجملة وغيرها)، وهذا النوع الثاني إنما يكون من وظيفة المعنى العام[1].

ولكن من باب الصدق مع بحثنا، فإنّنا لا نريد الخوض في هذا الموضوع البكر، عسانا بهذه الإشارة السّريعة، أن نقف إلى جانب من يرون أنّ النّبر في اللغة العربيّة هو ظاهرة صوتية، تحكمها عوامل عدّة، « منها خصائص اللّسان، ومنها موقع المقطع من الكلمة، فموقع الكلمة من الجملة الواردة فيها، ومنها حال الباث إذ يتلفظ، والغاية التي يرمي إليها، ومنها أيضا المعنى البلاغي الذي

[1]- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة العربية، ص 180.

يحويه التركيب»[1]، ولم تجتمع كل هذه العوامل، إلاّ لتجعل من محاولة التحكم في ضبط هذه الظاهرة الصوتية، هي مجازفة علمية لا تؤمن نتائجها.

[1]- ينظر: خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث، ص 153.

6) المقاربة التنغيمية

6-1 ظاهرة التنغيم لدى القدماء والمحدثين:

عرف قدماؤنا اللغويون التنغيم كظاهرة لا كمصطلح، ارتبطت هذه الظاهرة بإلقاء الخطب وإنشاد الشعر، كما كان يستعمل بمعان مختلفة منها: التطريب، والترنيم، والتفخيم، والتعظيم، مما نجده عند ابن جنّي[1] وابن يعيش، ففي حديث ابن يعيش عن أسلوب الندبة يقول: « وأكثر ما يقع في كلام النساء، لضعف احتمالهن، وقلة صبرهن، ولما كان مدعوّا بحيث لا يسمع، أتوا في أوله بـ (أ) وَ(وا)، لمد الصوت، ولما كان يسلك في الندبة أو النوح مذهب التطريب، زادوا الألف آخراً للترنُّم»[2]. وفي رواية للجزري: « حسن الصوت يترنم بالقرآن، والترنّم هو التطريب والتغني وتحسين الصوت بالتلاوة»[3].

أما حديثاً، فقد ارتبط التنغيم في كل تعريفاته، بارتفاع درجة الصوت وانخفاضها، ويمكن اختصار هذه التعاريف، في أنّ التنغيم هو: « رفع الصوت وخفضه أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة»[4]. ولعلّ أشهر من نبّه من المحدثين على دراسة التنغيم، هو الباحث إبراهيم أنيس، الذي يعتبر التنغيم هو موسيقى الكلام: « ذلك لأنّ الإنسان حين ينطق لغته، لا يتبع درجة صوتية واحدة، في النطق لجميع النطق، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها. ومن اللغات، ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، إذ تختلف تبعاً لها معاني الكلمات»[5].

1- ابن جني، الخصائص، ج2/ 370.

2- ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص 13.

3- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، ج2، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، ص 271.

4- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج الحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص 106.

5- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 176.

ويذهب تمام حسان إلى النفي الجازم لظاهرة التنغيم في العربية، ومن ثمة فإن دراستنا إياه في الوقت الحاضر، تخضع إلى العادات النطقية في اللهجات العامة[1]، أما أحمد مختار عمر، فيرى أن التنغيم هو عادة نطقية عند الأفراد، لذا فإن تقعيده أمر يكاد مستحيلا، وإذ يفرّق بين النغمة والتنغيم، يجد أن النغمة تكون على مستوى الكلمة المفردة، في مثل (نَعَم، أجَل...)، أما التنغيم فيكون على مستوى الجملة، وهو الذي يعبّر الجملة من خبر إلى استفهام أو إلى توكيد[2].

2-6 الوظيفة الدلالية للتنغيم:

يمكن لدرجات الصوت أن تؤدي دوراً مهماً في توجيه نوع الدلالة، فتنغيم العبارة أو الكلمة يختلف في أثره السمعي اختلافا ملحوظا، حسب المعنى والخطاب، وفي كثير من الأمثلة العربية التي وردت للنداء والاستفهام، بدون أداتيهما، كانت تعتمد التنغيم للدلالة على هذين المعنيين – النداء والاستفهام–، ويكون وجود التنغيم هو المميز الوحيد[3].

ويرتبط التنغيم في القصيدة العربية بالإيقاع، وهذا الإيقاع التنغيمي إنما يتحدد من خلال العلاقة القائمة بين اللغة، بوصفها كلمات ومقاطع في القصيدة من جهة، وبين ما يوازيها من حركة النفس، داخل كيان المبدع[4]، وفي حديث الفارابي عن أحوال النغم الدالة على انفعالات النفس، يقول: « النغم الانفعالية هي بالجملة ثلاثة أصناف: منها ما تُكسِب الانفعالات التي تُنسَب إلى قوة النفس، مثل العداوة والقساوة، والغضب والتهور، وما جانس ذلك، ومنها ما تكسب الانفعالات التي

---

[1]- ينظر: تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ص 228.

[2]- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 366.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 376.

[4]- ينظر: محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2001، ص 29.

تنسب إلى ضعف النفس، مثل الخوف والرحمة، والجزع والجبن، وما أشبه ذلك، ومنها التي تكسب المخلوط من كل واحد من هذين الصنفين، وهو التوسط»[1].

ونحن بهذا الوصف، اكتفينا من وظائف التنغيم، فقط ما يلبي حاجة بحثنا، دون أن نشير إلى الوظيفة الأدائية، التي يقوم بها التنغيم، وما توجيه هذه الوظيفة على المتكلم، من ضرورة معرفته لطرق الأداء الصحيح للنطق المتعارف عليه بين أهل اللغة، لأنّ أيّ تنويع أو اضطراب في توزيع النغمات، على سلم الدرجات الصوتية، قد يظهر لَكْنَة غريبة[2] لدى السامع.

6-3 الإنشاد التنغيمي في القصيدة:

إن غرضنا من دراسة الإنشاد التنغيمي، هو تقديم محاولة عملية لإجراءات التنغيم في النص الشعري، فننظر في مضمونه، ونحاول أن تزيده فهماً، بإرهاف الاستماع إليه وتحليل عناصره الصوتية، وكمه الزمني وصفاته الموسيقية، كل ذلك مؤتلفاً في عنصر التنغيم، فننتقل – في هذه الإجراءات– بمدونتنا، من كونها نصا لغويا في ذاته، إلى اعتبارها إيقاعا، وإنشادا، لنكتشف مقدار ما تضيفه الفونيمات فوق المقطعية، إلى معالم الدلالة المركزية لنص الخطاب.

– المقاربة التنغيمية لعينات من أبيات المعلّقة:

جاءت معلّقة طرفة ابن العبد على البحر الطويل، الذي عكس الحالة الشعورية التي كانت تلمّ بالشاعر، فلم يكن الشاعر لينظّم قصيدة دون شعور بخصائصه وموسيقاه، بل كان يعمد إليه، ويقصد إليه قصداً.

---

[1]– أبو نصر محمد الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص 1179.

[2]– ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 155.

ولا تسمى القصيدة قصيدة إلا لأنّ الوزن داخل في تركيبها وتشكيلها وبنيتها، فموسيقى المعلّقة جزءٌ من الصورة التي تحمل تجربته ورؤيته وتعبيره عن موقفه، بل إنها مؤثرة في صوره المتشعّبة الحاملة لمعنى المعلّقة، والكاشفة عن اليأس والحزن والتشاؤم، الناتج من الموقف الفلسفي للشاعر، وهو يعالج فكرة الحياة والموت، وتعتمد المعلّقة في كثير من جوانبها على الترجيع الكثير النغمات والنبرات مثلما نجد في غناء قَيْنَتِهِ: (نَدَامَايَ بيضٌ كالنُّجومِ)[1].

وأنّى لطرفة أن يبدع ما أبدعه وأن يعبر ما عبّر عنه في معلّقته الرّائعة دون البحر الطويل، وعند قراءتنا لهذا البيت نكاد نسمع دقات قلبه وخلجات نفسه في قوله:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً

عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ.[2]

فضلاً عن رغبة الشاعر في ركوب الصّعاب، وإثبات المكانة والرّيادة، فمعلوم أن الشعراء الكبار كانوا يؤثرون البحر الطويل على غيره من البحور، كونه ميزانا لأشعارهم لا سيما في الأغراض الجليلة الشأن.

وقد تشكّلت موسيقى المعلّقة من مستويات متعددة ابتداءً من الحروف مروراً بالكلمات وانتهاء بالتراكيب، فمن التكرار الذي وظّفه في بعض الحروف، بما يخدم فكرة الشاعر، والتعبير عن مشاعره، قولُه:

وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى

لِهَجْسٍ خَفيٍّ أَوْ لِصوْتٍ مُنَدَّدِ .[3]

[1]- مَصْلحي صلاح، معلّقة طرفة ابن العبد، دراسات وأبحاث، ملتقى البحرين، ط1، 2000.
[2]- ديوان طرفة، ص 27.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

نلاحظ هنا تكرار خمس سينات وصاديْن في كلمات متتابعة، فيها غلبة لأصوات الصّفير المهموسة، والأصوات المرَقّقة، وكأنّها الموسيقى التصويرية المصاحبة لتشكيل الدلالة على نحو إيحائي، تتضافر فيه عناصر التشكيل الفنّي، وهي تُعبِّر عن خفّة السّمع التي يتحدث عنها الشاعر، وتكرار التنوين ثلاث مرات في عجز البيت، أضفى تقسيماً وتنغيماً موسيقيّاً إضافياً، ومن ملامح التكرار الذي انتظم على مستوى المفردة تكراره لكلمات تنتمي إلى الجذر نفسه، كما في الكلمات التالية: يَلُومُ/ لاَمَنِي- مَعْبَدٌ- غَيْرَ/ غَيْرَ- مَعْبَدُ/ يَبْعُد.

وشعر طرفة ابن العبد مفعمٌ بهذه الملامح الموسيقية، وقد شغلت حيّزاً كبيراً في معلّقته، ساهمت في زيادة التأثير الإيقاعي والتنغيمي في شعره.

وبهذه الإشارة الخفيفة، فإنّنا لا نزال نُذكِّر أنفسنا وقارئنا، أنّ مثل هذه القراءات والدراسات في الفونيمات فوق المقطعية، من نَبْرٍ وتنغيمٍ، إنّما هو من سبيل المقاربة، وليس مسموحاً لنا في هذا المبحث أن نتبنّى أحكاماً نهائية ترقى إلى مستوى النتائج والمسلّمات، لأنّ التنوع بين الأفراد في هذه الناحية يحول بين الباحث وبين تعميم النتائج[1].

[1]- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص 366.

الباب الثاني: البنية الصرفية

- **الفصل الأول: علم الصّرف.**

- **الفصل الثاني: البُنى الصّرفيّة في معلّقة طرفة.**

الفصل الأول: علم الصّرف.

1) تعريف علم الصّرف لغةً واصطلاحا.

2) علم الصّرف عند القدامى.

3) علم الصّرف عند المحدثين.

4) الميزان الصّرفي.

5) صلة الصّرف بالنّحو والاشتقاق.

6) علاقة علم الصّرف بعلم الدّلالة.

1) تعريف علم الصّرف لغةً واصطلاحا

1-1 تعريف علم الصّرف لغةً

الصّرف لغةً « هو التقليب والتغيير والتحويل، يُقال: «صَرَفْتُ الصّبيان» قلبتهم، وقالوا: وصَرَف الله عنك الأذى، أي حوّله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة، آية 64]، أي تغييرها وتحويلها من مكان إلى مكان وتصريف الأمور، وتصريف الآيات، أي تعيينها في أساليب مختلفة وصور متعددة»[1]. ومنه كان الصّرف في اللّغة التغيير والتقليب على وجوه كثيرة.

1-2 تعريف علم الصّرف اصطلاحاً

أمّا الصّرف اصطلاحاً، هو العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوّناتها، على وجوه وأشكال عِدّة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة، والزّيادة، والحذف، والصّحة والإعلال، والإدغام والإمالة، وبما يعرض لتواليها من التغيّرات ممّا يفيد معانٍ مختلفة[2].

ويعرّف علماء العربية علم الصّرف بأنّه: العلم الذي تُعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعراباً ولا بناءً[3].

وعليه، يمكن تعريف البنية الصّرفية في الدراسات اللّسانية بأنّها علم يدرس بنية الكلمات وأشكالها لا لذاتها، وإنما لغرض دلالي أو لغرض صرفي يفيد خدمة الجمل والعبارات[4].

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 189.

[2] - ينظر، عبد القادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، دار أزمنة، الأردن، ط1، 1998م، ص 37.

[3] - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصّرفي، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، 1979، ص 7.

[4] - ينظر: رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 83.

أو هي علم يدلّ على نظام تغيّر الكلمات تغييراً داخلياً أو خارجياً سوى التغيّر الإعرابي، إذ ينطوي استخدام نظام البنية الصّرفية على تغيّر في شكل الكلمة لتبيان وظيفتها في إطار مجموعة من الكلمات.

ويهتم علم الصّرف بالصّيغ، فيدرس الصّيغ المختلفة للصّيغ - القيم المختلفة بينها- وكذلك القيم المتوافقة، ووظيفة الصّيغ في التراكيب، فهو يُحدِّد شكل الأسماء وتقسيماتها، وكذلك شكل الأفعال وتقسيماتها من حيث الزمن أو التصرّف والجمود، أو الصّحة والاعتلال، أو النقصان والتّمام... وغير ذلك[1].

[1] - ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2006م، ص 100.

2) علم الصّرف عند القدامى

عرّف علماء العربية القدماء مصطلح (الصّرف) أو (علم الصّرف) بأنه: « العلم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب أو بناء، والمقصود بالأحوال هنا، التغيّرات التي تطرأ على الكلمة من حيث تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة»[1].

فالتغيير الذي يطرأ على الكلمة لغرض معنوي، هو كتغيّر المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل « والوصف المشتق منه، كاسم الفاعل واسم المفعول، وكتغيير الاسم بتصغيره أو النّسب إليه»[2].

أمّا التغيير في بنية الكلمة لغرض لفظي « فيكون بزيادة حرف أو أكثر عليها، أو بحذف حرف أو أكثر منها، أو بإبدال حرف من حرف آخر، أو بقلب حرف علّة إلى حرف علّة آخر، أو بنقل حرف أصلي من مكانه في الكلمة إلى مكان آخر منها، أو بإدغام حرف في حرف آخر، وتغيير الكلمة عن أصلها لغرض آخر غير اختلاف المعاني نحو تغيير الفعل قَوَلَ إلى (قَالَ)، فهذا التغيير لم يأت لغرض معنوي أو دلالي، وحين يهتم علم الصّرف بهذا التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها، يحاول إظهار ما في حروفها، من أصالة وزيادة وحذف»[3].

ولهذين الغرضين المعنوي واللفظي أحكام كالصّحة والإعلال.

وللتصريف تعريفات متعدّدة لكونه عِلماً وعَملاً، ففيما يتعلق بالجانب العملي ذكر ابن جنّي أنّ التصريف هو « أن تجيء إلى الكلمة الواحدة، فتصرّفها على وجوه شتى»[4]، لتوليد ألفاظ مختلفة، ومعانٍ متفاوتة.

---

[1] – ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 87.

[2] – ينظر: عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصّرف، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 7.

[3] – ينظر: محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 9.

[4] – ينظر: ابن جني، المنصف، شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النّحوي البصري، ج1، تح: لجنة من الأساتذة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط1، ص 4.

وقال ابن مالك في هذا الصدد: «التّصريف علم يتعلّق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك»، ويرى ابن هشام الأنصاري (ت 761)، « أنّه علم يهتم بالتغيير في بنية الكلمة» سواء أكان لغرض لفظي أو معنوي[1].

أما ما يتعلّق بالجانب العلمي، فالتصريف هو « علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب»[2] وهو التعريف الذي اختاره الشريف الجرجاني (ت 816) فيما بعد في تعريفاته.

وتعريف عبد الله بن إسحاق الصّميري (ت 542) الذي يقول: « اعلم أن الصّرف هو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والنقصان والقلب للحروف وإبدال بعضها من بعض»[3].

وقال ابن الحاجب أيضاً: « وأحوال الأبنية قد تكون للحاجة، كالماضي والمضارع، والأمر، واسم الفاعل واسم المفعول، والصّفة المشبّهة، وأفعال التفضيل، والمصدر، واسمي المكان والزمان والآلة، والمصغَر والمنسوب، والجمع، والتقاء السّاكنين، والابتداء، والوقف، أو للتوسّع كالمقصور، والممدود ذي الزّيادة وللمجانسة كالإمالة، وقد تكون للاستثقال كخفيف الهمزة، والإعلال، والإبدال، والإدغام، والحذف»[4].

فالصّرف أو التّصريف إذن هو العلم بأحكام الكلمة، بما لحروفها من أصالة وزيادة وصحّة وإعلال وشبه ذلك « وإذا كان علم النّحو هو العلم الذي يبحث في التغييرات التي تطرأ على أواخر

---

1 – ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، المطبعة الإعلامية، مصر، ط1، 1886، ص 302.

2 – رضيّ الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

3 – ينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 270

4– الرضيّ الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ، تح: محمد الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 4.

الكلمات وأحوالها المتنقلة، فإنّ علم الصّرف بمفهومه الاصطلاحي، هو العلم الذي يبحث في التغيرات التي تطرأ على أبنية الكلمات، وصورها المختلفة من الداخل»[1].

وقد أشار القدماء إلى أهمية علم الصّرف، لذلك نبّهوا على احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية إليه، فهو « ميزان العربية الذي نستطيع عن طريقه التعرّف على بنية الكلمة وحروفها الأصلية، وما أصابها من تغيير، وقد أشار بعض القدماء إلى أنّ الصّرف فيه الكثير من الغموض والصّعوبة حين التعرّف على موضوعاته وقضاياه»[2].

يتضح ممّا سبق ذكره أنّ علم الصّرف يتعامل مع الأسماء العربية المتمكنة والأفعال المتصرّفة «وهناك أسماء لا يدخلها التصريف هي:

- الأسماء الأعجمية مثل: إسماعيل، لأنّ تلك الأسماء نُقِلت من لغة قومٍ ليس حكمها كحكم اللغة العربية.
- الأسماء العربية المبنية كالضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة.
- الأفعال الجامدة، مثل نِعمَ، بئسَ، عَسَى، ليس.
- الحروف بأنواعها المختلفة»[3].

فهو لا يختصّ أو لا يتعلّق إلاّ « بالأفعال المتصرّفة، والأسماء المتمكّنة أي المعرّبة، أما الحروف وشبهها من الأسماء المبنية والأفعال الجامدة نحو (عسى وليس) فلا اختصاص أو تعّلق لعلم الصّرف بها، بمعنى أنها لا تشتق ولا تمثّل من الفعل أي لا تُوزن»[4].

---

[1] – عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصّرف، ص 08.

[2] – محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي، الصّرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص09.

[3] – محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي، ص 13.

[4] – عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصّرف، ص 08.

لأنّ ما عدا ذلك « قوالب ثابتة لا يدخلها تغير ولا تبديل، أما ما ورد من تثنية بعض الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وجمعها وتصغيرها، فهو صوري لا حقيقي، فلفظ (هذان) مثلا ليس فرعاً للفظ (هذا) بل وضع كلاهما وضعاً مستقلاً وكذلك (ذا وذَيَا وتا وتَيَا فإن التصغير في مثل هذه الكلمات لا ينقاس، ولذلك جاء على غير قياس التصغير، وكذلك الحروف لا يدخلها التصريف»[1].

[1] – خديجة الحُديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003، ص 21.

3) علم الصّرف عند المحدثين (علم التّصريف) Morphologie:

هو علمٌ مستقل يُعرف في الدّرس اللغوي الحديث بالمورفولوجيا، وقد عرّفه الباحثون المحدثون تعريفات متقاربة تكاد تجمع على أنه: « علم يتعلّق ببنية الكلمة لأنّه يدرس الأبنية اللغوية من خلال الوحدات الصرفية ووظائفها وقوانين تشكيلها»[1].

فهو إذاً الحقل اللغوي الذي يدرس بنية الكلمة، وقد أجمعوا على أنّ بنية الكلمة هي موضوع هذا العلم، فعرّفه نيدا (Nida) بأنّه: « دراسة المصرّفات وأنساقها arrangement في بناء الكلمات»، وعرّفه روبينز (Robins) بأنّه « دراسة البنية القواعدية للكلمات»، كما عرفه بعض اللغويين بأنه « دراسة الوحدات الصغرى الحاملة للمعنى والقواعد (Rules) التي تحكمها أي دراسة بنية الكلمة»[2].

ويُطلق على علم الصرف بالانجليزية اسم (Morphology) ويُعرَّف بأنّه: « يتعامل مع الكلمة وبنيتها عن طريق تحليلها إلى أصغر عناصرها الصّرفية، فالفعل الماضي (ذَهَبَ) مثلاً، نستطيع تحويله إلى المضارع بواسطة أربعة أحرف: أذهب، يَذهب، تَذهبُ، نذهبُ، فالهمزة والباء والتاء والنون كلّ واحد منها يُشكل الفعل (ذَهَبَ)، مما أدى إلى إنتاج أربعة أفعال مضارعة، لذلك يهتم علم الصّرف عند المحدثين بتلك الأحرف الأربعة على أساس أنّ لها وظيفة صرفية محدّدة هي تحويل الماضي إلى المضارع.

واسم الفاعل (ذاهِب) مثلاً، يهتم به المحدثون من حيث النّظر في الألف التي هي الأساس في إنتاج صيغة (فاعل) الدالة على اسم الفاعل نفسه»[3].

---

[1] – أشرف محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، دار دجلة، الأردن، ط1، 2007، ص 29.

[2] – محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 265.

[3] – محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي، ص ص 11- 12.

فالصّرف عند المحدثين يبحث في الوحدات الصرفية كالسّوابق واللّواحق... ويعرض الصرف كذلك للصيغ اللغوية فيه، ويصنّفها إلى أجناس وأنواع بحسب وظائفها كأن يقسّمها إلى أجناس الفعل والاسم والأداة، أو ينظر إليها من حيث التذكير والتأنيث، ومن حيث الإفراد والتثنية والجمع إلى غير ذلك من كلّ ما يتصلّ بالصّيغ المفردة[1]. وبهذا فهم يرون أن « كلّ دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة أو بعبارة بعضهم، تؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية كل دراسة من هذا القبيل هي صرف»[2].

وبناءً على ذلك، فلا يمكن استبعاد أي صيغة لغوية، «فالأسماء غير المتمكّنة بل إنّ بعض حروف الجرّ مثل: (على وإلى) يتغيّر ألفه إلى ياء عندما يلحقه ضمير وصل في نحو (عليك وإليك)، بل تتغيّر وظيفتها إلى معنى اسم الفعل، فالصّرف يعني بالصيغ كما يعني بالتغييرات فيها سواء كانت عن طريق السوابق أو اللواحق، أو التغييرات الداخلية فيها، التي تؤدي إلى تغير المعنى الأساسي للكلمة، ويعرف الوحدة الصّرفية بأنّها أصغر وحدة ذات معنى ومنه المورفين الحرّ المتصّل أو المقيّد»[3].

فالكلمات إذاً تتفاوت في استقلاليتها، فمنها كلمات مستقلة، ومنها الاعتمادية التي لا بد من اتصالها بغيرها، فهي جزء من الكلمة، كالتثنية والجمع والتأنيث والنسب.

وفي نظر أشرف النّجار أن المورفولوجيا يهتم بدراسة بنية الكلمة من حيث تصريفها للدلالة على الزمن والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع...، ويتحقق ذلك عن طريق اللواصق التصريفية كالألف والنون (ان) للدلالة على التثنية في (رجُلان)، والهمزة للتعدية، والسين للاستقبال...»[4].

---

[1] – كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، 1973، ص 12.

[2] – المرجع نفسه، ص 75.

[3] – ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973، ص 44.

[4] – أشرف محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفي في اللغة العربية، ص 28.

« ويبحث علم الصّرف (المورفولوجيا) في حقلين كبيرين وهما (التصريف والاشتقاق)، وهو ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بالمورفولوجيا التصريفية (inflectional morphology)، والمورفولوجيا الاشتقاقية (derivational morphology)، لأنّ من طبيعة المورفولوجيا تناول الناحية الشكلية التركيبية للأبنية، والموازين الصرفية وعلاقتها التصريفية من جهة، والاشتقاقية من جهة أخرى»[1].

والذي يهمنا في هذا المجال أنّ المراد بالتصريف ليس علم التصريف البحت، وإنّما المقصود به هو تصريف البنية من حالة إلى أخرى في الاستعمال.

والتصريف عند المحدثين أيضا «يتعلّق ببنية الكلمة ويهتم بدراسة التشكيلات الصرفية التي تُحدّد وتعيّن بشكل خاص الوظيفة النحوية لأشكال الكلم الناتجة منها، والتصريف في اللغة العربية هو الجانب المسئول عن العلاقة بين أشكال الكلمات مثل: (رجُل- رجُلان، يأكُل- يأكلان، تأكلان، يأكلون، تأكلون) بمعنى الكلمات التي يتوقف اختيار بعضها في التركيب اللغوي على وجود ما يتفق مع ما تشير إليه من دلالات توحي في ذهن المتكلّم بالعدد، والنّوع، والشخص، والزمن، والنسبة، والتوكيد...، وهكذا فإنّ الأشكال التصريفية هي تلك الأشكال التي تحدد الوظيفة النحوية الخاصة بما يتولّد من صور الكلمة ويمكن وصف التصريف بأنّه خطوة تمهيدية للنّظم»[2].

ويبدو من هذا العرض أن « مفهوم التصريف في الاستخدام الشائع عند لُغوِيّي العربية، لا يبعد عن مفهومه عند علماء اللغة المحدثين، وإن كان ثمة خلاف فمرجعه إلى اختلاف طريقة التناول والبحث في موضوعات هذا العلم»[3].

[1] - أشرف محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفي في اللغة العربية، ص 28.
[2] - المرجع نفسه، ص 29.
[3] - المرجع نفسه، ص 30.

فمفهوم علم الصرف عند العرب « يقترب إلى حدّ كبير من مفهوم المورفولوجيا (Morphology) عند علماء اللغة من حيث دراسة ما يطرأ على الكلمة من زيادات وكذلك التحوّلات التي تغيِّر دلالتها أو وظيفتها نتيجة لدخول عناصر لغوية معينة، غير أنّ الاختلاف بينهما يكمن في أنّ علم الصّرف كما وضعه علماء العربية القدماء يختص بتحليل النظام الصرفي للغة العربية وحدها أو اللغات التي تشبهها مثل بعض اللغات السامية، أما المورفولوجيا فهو أعمّ من ذلك، إذ يتصل بتحليل النظام الصّرفي في أيّ لغة، وقد يقترب كلّ منهما في منهج التحليل أحيانا وإن اختلفت المصطلحات»[1].

«والمصطلح الأساسي في المورفولوجيا كما سبقت الإشارة، والذي يتصل بصيغة الكلمة ووظيفتها كما في الصّرف العربي هو المورفيم (morpheme)، والواقع أن هناك تعريفات كثيرة للمورفيم في المدارس اللغوية الحديثة، غير أنها تتفق جميعا إلى النظر إلى المورفيم على أساس أنه أصغر وحدة لغوية تدلّ على معنى أو وظيفة صرفية أو نحوية»[2].

« وقد وصل علماء اللغة إلى هذا التحديد للمورفيم من خلال بحثهم في مفهوم الكلمة ومحاولة وضع تعريفاً عاماً لها...»[3].

وعرّف علماء الصّرف (المورفيم) في علم اللغة تعريفات متفاوتة نذكر منها:

1. إنّ المصرّفات هي الوحدات الصّغرى للبنية الإيقاعية.
2. إنّ المصرّف هو الوحدة الصغرى للتحليل القواعدي.
3. إنّ المصرّفات هي الوحدات القواعدية الصغرى.

---

1 - حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص 87.

2 - المرجع نفسه، ص 88.

3 - المرجع نفسه، ص 51.

4. إنّ المصرّف هو الوحدة اللغوية الصغرى الحاملة للمعنى.

5. إنّ المصرّف هو المبنى اللغوي الذي لا يحمل شبها جزئيا من الناحية الصوتية الدلالية بأي مبنى آخر.

6. إنّ المصرّف هو المبنى الأصغر الذي له معنى.

7. إنّ المصرّف هو السلسلة الصّغرى من الصيتات التي لها معنى أو هو بشكل سلبي... السلسلة المتوالية الصغرى من الصيتات التي لا تحمل شبها من الناحية الصوتية الدلالية بأية سلسلة أخرى»[1].

« وعلى الرغم من اختلافهم الشديد حول ذلك، إلاّ أنّهم وصلوا إلى أنّ المورفيم **كأصغر وحدة صرفية دالة على وظيفة الكلمة**»[2].

ونلخّص هذه التعريفات في هاتين النقطتين:

1. « إنّ المِصرّفات هي الوحدات الصغرى المفيدة.

2. إنّ بعضها يفيد بأن المِصرّفات ذات دلالة قواعدية»[3].

[1] – محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 269.

[2] – حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط2، 1998م، ص 51.

[3] – محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 270.

4) الميزان الصرفي

وهو عند علماء الصّرف: « معيار من الحروف يعرّف به عدة حروف الكلمة وترتيبها، وما فيها من أصول وزوائد، وحركات وسكنات.

وأصول الكلمة ثلاثة أحرف هي: الفاء، والعين، واللام، وإذا أردنا وزن كلمة من الكلمات نقابلها بتلك الحروف، فحين نطبّق ذلك على الفعل (فهم) نقول: الفاء ـ فاء الكلمة الهاء ـ عين الكلمة الميم ـ لام الكلمة، وتُضبط حروف الميزان بمثل حركات الكلمة الموزونة كما في الأمثلة الآتية:

كَتَبَ ـ فَعَلَ، كَرُمَ ـ فَعُلَ، حَسِبَ ـ فَعِلَ، شَمْسٌ ـ فَعْلٌ، قَمَرٌ ـ فَعَلٌ... وهكذا، وهناك تعليلات كثيرة من القدماء والمحدثين لاستخدام تلك الأحرف الثلاثة بدون غيرها»[1].

فلما كان « أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثياً، اعتبر علماء الصّرف أن أصول الكلمات العربية ثلاثة أحرف وعلى هذا الأساس إذا أردت أن تزن كلمة لتعلم الأصل منها والزائد فقابِل أصولها بأحرف (فَعَلَ): الأوّل منها يقابَل بالفاء والثاني بالعين، والثالث باللام مسويّا بين الميزان والموزون في الحركة والسكون، فتقول في وزن كلمة (وَقْت) مثلاً (فَعْل) بفتح الفاء وسكون العين، وفي (حِصْن) (فِعْل) بكسر الفاء وسكون العين، وفي (كَتَبَ) (فَعَلَ) بفتح الفاء والعين، وفي وزن (قام) و(شدَّ) (فَعَلَ) بفتح الفاء والعين كذلك لأنّ أصولها (قَوَمَ وشَدَدَ).

وتقول في وزن (فَرِحَ) و(عَلِمَ) (فَعِلَ) بفتح الفاء وكسر العين، وكذلك في (هَابَ) و(مَلَّ)، لأنّ أصلهما (هَيِبَ ومَلِلَ)، وتقول في وزن (شَرُفَ) و(كَرُمَ) (فَعُلَ) بفتح الفاء وضم العين وكذلك في (طَالَ) و(حَبَّ) لأنّ أصلهما (طَوُلَ) و(حَبُبَ)»[2].

[1] – محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي، ص 17.

[2] – عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصّرف، ص ص 10- 11.

وقد اختار الصرفيون العرب القدماء لفظة (ف ع ل) الثلاثي ميزاناً صرفياً « لكون الثلاثي أكثر من غيره أو لأنه لو كان رباعياً أو خماسياً لم يُمَكِّن وزن الثلاثي إلا بحذف حرف أو أكثر، إلا بزيادة (لام) مرة أو مرتين والزيادة عندهم أسهل من الحذف، غير أنّ تحديد الأصل والزيادة في الكلمات قد يختلف الصرفيون فيه»[1].

وكذلك الجدال الذي دار بين العلماء اللغويين حول أقل عدد للحروف الأصول للكلمة لا يزال مستمراً في عصرنا الحاضر والرأي الأرجح عند القدماء: « أنّ الثلاثي هو الأقل بين أبنية الكلمة، ولعلهم يرون أن الثلاثي له حرف يبدأ به وحرف يحشي به وحرف يوقف عليه، والعرب كما نعلم لا تبدأ كلامها إلا بالمتحرك، ولا تقف إلا عند الساكن»، والثنائي حرفان: حرفٌ يبدأ به وهو المتحرّك، وحرف يوقف عليه وهو الساكن، فاستثقل العرب مثل هذه المفاجأة النطقية، وكذلك استثقلوا تحريك الأحادي وتسكينه في آن معاً خوفاً من إثارة التناقض النطقي»[2]. لهذا قُدِّر الميزان الصرفي كمقياس وضعه المتقدمون من علماء العربية لتُعرَف به أحوال أبنية الكلم « في ثمانية أمور: الحركات والسكنات، والأصول في الزّوائد، والتقديم، والتأخير، والحذف، وعدمه، أي أنه المقياس الذي تعرف به هيئة مبنى الكلمة من حيث عدد الصوامت والصوائت وترتيبها، ومن حيث الحالة التي اعترت أصواتها من جهة كونها أصولاً أو زوائد، وكونها ثابتة أو محذوفة، وكونها مستقرة في مواضعها، أو منقولة عنها، والغرض من هذا الميزان كما هو واضح في تعريفه هو استخدام معيار دقيق ذي طابع مجرّد صالح لقياس جميع الأحوال التي تعتري الكلمة القابلة للتصريف.

[1] - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 218.
[2] - المصدر نفسه، ص 219.

5) صلة علم الصرف بالنحو والاشتقاق

5-1 صلة علم الصرف بالنحو:

رأينا سابقاً أنّ علم الصرف يبحث في بنية الكلمة مفردة، لكن صياغة هذه البنية لا بدّ أن تكون خاضعة لطبيعة اللغة العربية وخصائصها، ولعلّ علم أصول النحو الذي هو أسلوب في التفكير النحوي واللغوي للعرب، وطريقتهم لاستنباط الأحكام والقواعد، يساعد كثيراً في معرفة هذه الصيغ الصرفية، بل إنّه الميزان الذي يُعرَف به صحة اللفظ من فساده.

والمتأمّل لقضايا هذا العلم ومسائله، يدرك سلامة المنهج الذي اعتمده الباحثون القدامى في نقل اللغة العربية نقلاً صحيحاً، واستنباط الأحكام والقواعد المطرّدة، فهم يعتمدون السماع أولاً، وقد اتفقوا على الاحتجاج بالقرآن الكريم، وكلام العرب الفصحاء، إلى غاية منتصف القرن الثاني الهجري بالحواضر، وإلى منتصف القرن الرابع بالبوادي، لكنهم اختلفوا حول الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف – رغم إقرارهم بفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم- لكون كثير من الأحاديث رُوي بالمعنى، ونقله أعاجم غير فصحاء. وكانوا حين لا يجدون الدليل في السماع يلجئون إلى الإجماع أي ما أجمع عليه علماء البصرة والكوفة، ثم بعد ذلك يفكرون في القياس الذي قال عنه السّيوطي: « وهو معظم أدلّة النّحو، والمعوّل في غالب مسائله عليه»[1].

لأنّه يستحيل أن تنقل كل العبارات والصيغ، بل يكتفي بقياس ما يُسمع على ما سُمِع، سواء على مستوى الصيغ (الصّرف)، أو الجمل (النّحو)، بل إنّ العرب وقفوا طويلا حول أنواع العلل التي تسمح بحمل الفرع على الأصل ومنها: علّة الاستثقال، علة السّماع، وعلّة التشبيه[2].

[1] – جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تح: أحمد سليم الحِمْصي، ومحمد أحمد قاسم، ط1، 1988، ص 18.
[2] – المصدر نفسه، ص 84.

وعلى هذا الأساس، كان القدماء يربطون الصّرف بالنّحو، بل إنّهما علم واحد عند بعضهم، يقول أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 391هـ): « إنّك لا تكاد تجد كتاباً في النّحو إلا والتصريف في آخره... فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنّك إذا قلتَ: قَامَ بِكْرٌ، رأيت بكراً، مررتَ بِبكرٍ، فإنّك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النّحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأنّ معرفة حالة الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالته المتنقلة»[1].

«وتتضح تلك الصّلة في معالجة بعض الظواهر اللغوية التي يأتي على رأسها تلك الفائدة الجليلة التي يؤديها علم الصّرف حين الإعراب، وحين تريد التعرّف على أصل كلمة من الكلمات من حيث التذكير والتأنيث يساعدك التصغير الذي هو أحد أبواب الصّرف في هذا المجال، فكلمة (أُذن) مؤنث والدليل على ذلك تصغيرها، وأن هناك قاعدة صرفية تقول إنّ التصغير يرد الأسماء إلى أصولها، وحين تريد التعرّف على الميم في كلمة (فم) وهل هي من أصل بنية الكلمة أم لا يساعدك باب التكسير الذي هو أحد أبواب الصرف في هذا المجال فإن كلمة (فم) تكسيرها (أفواه)، فالميم فيها ليست أصلية إذ أن أصلها الواو لذلك يقول الصرفيون إنّ جمع التكسير يرد الأشياء إلى أصولها»[2].

وهناك جوانب أخرى كثيرة تدل على الصلة بين الصرف والنحو وهي تحتاج إلى دراسة مستقلة.

وقد فطِن ابن جنّي (ت 392هـ) إلى الرّبط بين التصريف والنحو إذ قال: « من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف»[3]، وذلك لوجود علاقة بينهما، لذا فإنّ الأبواب النحويّة تعتمد على الأبواب الصرفيّة.

---

[1] – ابن جني، المنصف، ج1، ص 4.

[2] – محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي، ص ص 12– 13.

[3] – ابن جني، المنصف، ج1، ص 4.

ولعل ابن جنّي هو خير من أوضح الصلة التي تجمع بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة، فقد عقد لذلك فصلاً في كتابه (المنصف) ننقله هنا، حيث قال: « وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً واتصالاً شديداً، لأنّ التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة، فتصرّفها على وجوه شتى، مثال ذلك أن تأتي إلى (ضَرَبَ) فتبني منه مثل (جَعْفَر) فتقول (ضَريب) ومثل (قمطر): (ضَرَّب)، ومثل (درهم) (ضَريب) ومثل (علم): (ضرب) ومثل (ظَرُف) (ضَرُبَ)، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة»[1].

« إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة بتجاذباته والاشتقاق أقرب في اللغة من التصريف، كما أنّ التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنّك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمرّ بك في كتب النحو منه ألفاظاً مشرّدة لا يكاد يُعقد لها باب»[2].

« فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنّك إذا قلتَ: (قَامَ بِكْرٌ)، و(رأيت بكراً)، و(مررتَ بِبكرٍ)، فإنّك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة؟ وإذا كان ذلك كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النّحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأنّ معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالته المتنقلة، إلاّ أنّ هذا الضّرب من العلم لما كان عويصاً صعباً، بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به، بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرّف الحال...»[3].

---

[1] - ابن جني، المنصف، ج1، ص 3.

[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 04.

وتدلّ هذه النصوص التي جاءت في هذه الدراسة نقلاً عن ابن جنّي على ما يأتي:

- النّحو والصّرف يكونان جزءًا لا يتجزأ، فكلّ منهما يكمل الآخر وكلاهما ليس في غنى عن الآخر، وصدق ابن جنّي كما قال: لا نكاد نقرأ كتابا في النحو إلا وفي آخره التصريف.

- علم الصّرف يدرس بنية الكلمة أما علم النحو فيهتم بأواخر الكلمات أي الإعراب، ففي المثال الذي نقلناه عن ابن جنّي من المنصف والذي يتعلق بكلمة (بكر)، فقد تغيرت حركاتها الأخيرة وبالتالي تغيّر موقعها من الإعراب، وهذا التغيير في الحركات الإعرابية من موضوعات علم النّحو.

- حين دراسة اللغة، يجب أن نبدأ بالصّرف، لأنّه تمهيد لمعرفة النّحو، والإلمام بموضوعاته، ولكن ابن جنّي يرى أنّ القدماء – منذ سيبويه– استهلوا أعمالهم العلمية بالنّحو، لأنّ الصّرف لما كان عويصاً صعباً بُدئ قبله بمعرفة النّحو، ثم جيء به (أي الصّرف) بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه.

- وقد أشار أيضاً إلى تقديم النّحو على الصّرف في كتب القدماء، ابن عصفور الإشبيلي (ت 669).

وعلّل ذلك بالصعوبة فقال: « وقد كان ينبغي أن يُقدَّم علم الصّرف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسها قبل أن يتركّب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي له بعد التركيب إلا أنه آخر للفظة ودقته، فجعل ما قُدِّم عليه من ذكر العوامل توطئة، حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرّب وارتاض للقياس»[1].

[1] – ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، ج1، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ص ص 30- 31.

2-5 صلة الصّرف بالاشتقاق:

« الصيغة والجمود والاشتقاق ثلاثة جوانب ترجع إلى الشكل واللفظ في المقام الأول، ويقال أن لها تأثيراً ملحوظاً في الدلالة على المعاني والأبواب النحوية»[1]، وتوجيه بنية الكلمة والتركيب عموما، وقبل أن نبيّن ذلك، ينبغي أولا أن نفرّق بينهما ونوضّح المقصود منهما:

فأما الصيغة فقد عرّفها الرضيّ جاعلاً إيّاها مثل بناء الكلمة ووزنها وصيغتها وهيئتها التي لا يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفه المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كلّ في موضعه ف (رَجُلٌ) مثلاً على هيئة وصفه يشاركه فيها (عَضُدٌ) وهي كونه على ثلاثة أوّلها مفتوح وثانيهما مضموم، وأمّا الحرف الأخير فلا تعتبر حركته وسكونه في البناء وكذا (جَمَل) على بناء (ضَرَب)»[2].

وفي ضوء ما ذكره تمام حسان عن الصيغة يمكن أيضاً أن تُعرَّف بأنّها: « القالب الصّرفي التي تصاغ على قياسه الكلمات التي ترجع إلى أصول اشتقاقية، وهي الاسم والصّفة والفعل ومعنى هذا أن الصّيغة تخصّ الكلمات المتصرّفة والمشتق، لذا فالضمير بأنواعه المختلفة وأكثر الخوالف والظروف والأدوات لا صيغ لها»[3].

وأمّا « الاشتقاق وعكسه الجمود، فمصطلح يختلف مدلوله باختلاف المجال المستخدم فيه بين النّحو والصّرف واللّغة»[4].

وقد أخذ مصطلح التصريف عند ابن جنّي مفهوماً خاصّاً حيث ذكر في إطار حديثه عن الصّلة بين التصريف والاشتقاق كما سبقت الإشارة: « إنّ التصريف هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة

[1] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 210.

[2] - الرضيّ الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 02.

[3] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 133.

[4] - ينظر: عبد الله درويش، دراسات في علم الصّرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1962، ص 32.

فتصرّفها على وجوه شتى مثال ذلك أن تأتي إلى (ضَرب) فتبني منه مثل (جَعفر) فتقول (ضريب)... أما الاشتقاق فهو كأن تجيء إلى الضّرب الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فتقول (ضَرَبَ) ثم تشتق منه المضارع فتقول (يضربُ) ثم تقول في اسم الفاعل (ضَارِب) وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة... فمن هنا تقارباً واشتباكا»[1].

وهكذا نجد علم التصريف عند ابن جني ومن تبعه يتناول أحوال بنية الكلمة من حيث الحاجة إليها في فهم المعنى، أو في التلفّظ، ويسمى الأول بالاحتياج المعنوي كالماضي والمضارع والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصّفة المشبّهة، وأفعال التفضيل، والمصدر، وأسماء الزمان والمكان، والآلة، والمصغَّر، والمنسوب والجمع، ويسمى الثاني بالاحتياج اللفظي نحو التقاء الساكنين والابتداء والوقف.

« والاشتقاق على إطلاقه ينقسم إلى عدة أقسام، سماها كل باحث حسبما رآه مناسباً به، لأنهم رأوا أن التناسب بين المأخوذ عنه إما أن يكون في اللفظ والمعنى جميعاً، مع ترتيب الحروف فيهما، وإما أن يكون ذلك في المعنى وحده، ويكون مع ذلك أكثر حروفهما من نوع واحد وباقيها من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين»[2]. « وصيغة الكلمة أو وزنها عنصرٌ من العناصر الأساسية التي تحدد معناها، ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة، فالصّيغة هي التي تقيم الفروق بين (كاتب ومكتوب وكتابة) وبين (شريك، واشتراك، وشركة) فهي التي تخصّص المعنى وتحدّده، لتحديد معنى الفاعلية فيما كان على وزن (فاعل) من الثلاثي أو (مفعل) من (أفعل)، أو (مُفتعل) من (افتعل)...الخ، ومعنى المفعولية في أوزان اسم المفعول، أو معنى الطلب في (استفعل) كاستغفر واسترحم...»[3].

[1] – ابن جنّي، المنصف، ج1، ص 03.

[2] – خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، ص 247.

[3] – زبيدة بن عزوز، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشر الجاهلية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 35.

ويوضح أحد الباحثين المحدثين طبيعة هذه العلاقة وأهميتها فيقول: « لا نستطيع الحديث عن الاشتقاق في العربيّة وخاصة الاشتقاق العام أو الصّرفي دون التعرض لعلاقته بالصّيغ والأوزان، لأنّ الاشتقاق لا يتم دون قوالب تصاغ من الجذور»[1]، فالكلمة العربية في الحقيقة إذا ما حلّلناها من ناحية البنية تشتمل على ثلاثة عناصر رئيسية هي:

- « الجذر أو المادة الأصلية وهو يتكوّن من ثلاثة أحرف صامتة، وترمز في نفس الوقت للدلالة الأصلية للمادة.
- الصّيغة أو الوزن وهو القالب الذي تصبّ فيه الكلمة والذي يعطي الدلالة الوظيفية لها.
- من وجود هذين العنصرين السابقين نصل إلى العنصر الأخير وهو دلالة الكلمة»[2].

ومن المتعارف عليه لدى علماء العربية أنّ « الألفاظ منها ما يقبل التشقيق والتنويع بالزيادة والنقصان ومنها ما هو جامد لا يتحلّل، ولا يتحول عن بنيته، تبعا للدلالات المتوخاة منه، وقد تنبّه العلماء العرب إلى هذه الديناميكية واستغلوها لمعرفة الأصل والفرع والجوهر والهيأة، فكان أن حصل بين التصريف والاشتقاق تداخل لما بينهما من نسب متين، فكثر التأليف في التّصريف، الذي هو قسم النحو وقلّ في الاشتقاق الذي هو أقعد في اللغة»[3].

فيقول ابن جنّي: «إنّ التصريف وسيطة بين النّحو واللّغة، والاشتقاق أقعد في اللغة، كما أنّ التصريف أقرب إلى النّحو من الاشتقاق»[4].

---

[1] – عبد المقصود محمد عبد المقصود، الاشتقاق الصّرفي وتطوّره عند النحويين والأصوليين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 50.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – سالم علوي، شجاعة العربية، أبحاث ودروس في فقه اللغة، دار الآفاق، الجزائر، 2006، ص ص 43- 44.

[4] – ابن جنّي، المنصف، ج1، ص 3.

ويقول ابن جنّي أيضاً: « وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نَسَباً قريباً واتصالاً شديداً، وما يفرّق بينهما أنّ الصّرف عام لما فعلته العرب ولما يحدثه الناس بالقياس، والاشتقاق يختصّ بما فعلته العرب من ذلك»[1].

5-3 أقسام الاشتقاق:

و«هذه الوسيلة في خلق الألفاظ وتجديد الدلالات ونموّها نجدها في أنواع من الاشتقاق ذكرها القدماء والمحدثون من علماء العربية وهي: الاشتقاق الأصغر أو الاشتقاق العام، وهو أكثر أنواع الاشتقاق دوراناً في اللغة العربية، ويُحتج به لدى أكثر علماء اللغة القدماء»[2].

« ثم الاشتقاق الكبير والأكبر، وهذان نوعان يقومان أساساً على تقليب الحروف وإبدالها، وهما متداخلان إلى حدٍّ كبير»[3].

5-4 أهميّة الاشتقاق:

إذا كان الاشتقاق هو أخذ كلمة من كلمة أو توكيد لفظ من لفظ، فإنّ التصريف هو ميزان لهذه الكلمات المشتقة ودليل الباحث في موضوع الاشتقاق، ذلك أنّ صيغة الكلمة أو وزنها عنصر من عناصرها الأساسية التي تحدد معناها، ومدلولها، كما ذكرنا، وبفضل صيغة الكلمة نستطيع أن نزيل الالتباس والغموض بين معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة، فالصّيغة إذاً هي تقيم الفروق بين كاتب ومكتوب ومكاتبة...

[1] - ابن جنّي، المنصف، ج1، ص 4.

[2] - جلال الدين السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3، ص ص 346-347.

[3] - حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص 134.

«فهي التي تخصّص المعنى وتحدِّده كتحديد معنى الفاعلية والمفعولية، كما أنّه بالتصريف يُعرف الاشتقاق. قال ابن جنّي: « وهذا القبيل من العلم أعني التصريف، يحتاج إليه جميع أهل اللغة العربية، لأنه ميزان العربية، وبه تُعرف الأصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به»[1].

وقد « تكون معرفة الأصل الاشتقاقي طريقاً إلى معرفة الوزن والبناء، وسبيلاً للتفريق بين الأوزان المتشابهة مع أنّها في الحقيقة مختلفة مثل: (المناعة، المجاعة)، فهما من (مَنَعَ، وجَاعَ)، فوزنهما إذن (فعالة، مفعلة) و(المدائح، والمصائب) من (مَدَح، وصَوب) وزنهما (فعائل، ومفاعل)»[2].

ومما ذكرنا يتجلى لنا أن لكل كلمة أصلاً أو مادة اشتقاقية ووزناً وبناءً، وتوليد الكلمة من أصلها، وأخذها من مادتها يسمى اشتقاقاً، وتقليبها في أوزان مختلفة يسمى تصريفاً، وبين الاشتقاق والتصريف علاقة وثيقة وتشابك وتلاحم، ولا يستطيع الدارس أن يفهم الاشتقاق بعيدا عن التصريف، والتصريف بعيداً عن الاشتقاق»[3].

والعربية في ذلك تسير على نهج مطرد في توليد وخلق الكلمات الجديدة وهو ما يُعرف عند علماء العربية باسم الاشتقاق وقد عرّفوه بقولهم: « هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة»[4].

ونلاحظ أن في جميع الكلمات المشتقة معنى مشتركا هو عادة المدلول الأصلي للجذر والذي تعود إليه المشتقات.

[1] – ابن جنّي، المنصف، ج1، ص ص 2- 3.

[2] – فرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نمو اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 134.

[3] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[4] – جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 346.

ولا بدّ لصحة الاشتقاق « من وجود ثلاثة عناصر رئيسية تتوافر في المشتقات وهي:

- الاشتقاق في عدد الحروف وهو في الكلمات العربية ثلاثة حروف غالباً.
- أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في بنية الكلمات المشتقة.
- أن يكون بين هذه الكلمات قدرٌ مشترك من الدلالة»[1].

وممّا لا شك فيه أنّ هذه الطريقة في تخليق الكلمات وتولّدها بعضها من بعض بأواصر قوية واضحة تغني عن عدد ضخم من الكلمات المفككة المنعزلة لو لم يكن الاشتقاق على هذه الصورة يربط بينها.

على هذه الصورة « شأن كبير في تحديد أصالة الكلمات فيها وسبيلاً لمعرفة الأصيل من الدخيل لأنّ الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالباً في معزلٍ عن سلسلة المشتقات المتجانسة المترابطة حيث لا نجد لها أصلاً لا من ناحية البنية، ولا من ناحية الدلالة يمكن أن يلحقه بها»[2].

وفي ذلك يقول السيوطي (ت 911 هـ): « إنّ منفعة الاشتقاق لصاحبه، أن يسمع الرجل اللفظة، فيشك فيها، فإذا رأى الاشتقاق قابلاً لها أنِس بها وزال اسْتيحاشه منها، وهذا تثبيتٌ للغة»[3].

ومن ثمة، يُعد الاشتقاق بهذه الصورة هو الطريقة الأساسية التي لا تزال حية ومستمرة حتى اليوم في خلق كلمات جديدة في العربية، منذ العصور التي اكتملت فيها تلك الوسيلة للغة العربية، وهو الهدف حين تطلق كلمة الاشتقاق تمييزاً له عن أنواع أخرى مثل الاشتقاق الأكبر وغيره.

[1] - حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص 68.
[2] - المرجع نفسه، ص 69.
[3] - جلال الدين السيوطي، المزهر، ج1، ص 346.

فكان الاشتقاق من « العوامل اللغوية التي تمت بها اللغة العربية وتكاثرت مفرداتها، وذلك لأنّ الكلمة الواحدة قد يتولد منها في بعض الأحيان نحو عشر كلمات. ولنأخذ مثلاً كلمة (فهم) وهي اسم يدلّ على الحدث وحده أعني أنها مصدر، ثُم ننظر إلى ما تولّد منها حين أريد بيان الزمن الذي وقع أو يقع فيه هذا الحدث وأنّ الأسماء فاهم، ومفهوم، متولدة منها أيضا أريد الدلالة بيان الزمن على من وقع منه أو عليه هذا الحدث، والذي يدلّ على أنّ هذه الأسماء وتلك الأفعال متولدة من كلمة (فهم) وجود معناها في جميعها ووجود أحرفها الأصلية في جميعها أيضاً.

إذن لا بد أن تكون بين المشتق والمشتق منه مناسبة في المعنى ومناسبة في المبنى (اللفظ)، وبهذه المناسبة يمكن معرفة الأصل الذي أخذت منه الفروع»[1].

فالاشتقاق هو « أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى واتحاد في الحروف الأصلية، والمشتق منه هو الاسم الدال على معنى لا غير، وهو المصدر، ويشتق منه الأفعال الثلاثة وسبعة أسماء، وهي: اسم الفاعل، واسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان واسم الآلة»[2]. «وإن كان هناك ارتباط عضوي بين الصّرف والاشتقاق، إلاّ أنّه يوجد فرق ظاهر حيث أنّ الاشتقاق كما عرّفه القدماء هو أخذ كلمة من أخرى مع الاشتراك في المواد الأساسية وهي الأصول الثلاثة، أما الصّرف فهو يحدّد بنيتها وهيأتها»[3].

إذاً « فالاشتقاق يحدد الكلمة أو (مادتها) الأساسية و(معناها) الأصلي، وبحث الأبنية والصرف يحدد شكلها أو بناءها الذي يكسبها معنى زائداً، ولذلك كان الاشتقاق كاشفاً عن الأصل القديم دالاً على الصلة والنسب، وكان الاشتراك في المادة دليلاً على وحدة الأصل، ولو تفرّقت المعاني واختلفت الأشكال»[4].

[1] – زبيدة بن عزوز، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية، ص 174.
[2] – المرجع نفسه، ص ص 17- 18.
[3] – المرجع نفسه، ص 18.
[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وممّا سبق ذكره، نلاحظ أن في اللغة صيغاً صرفية متنوّعة تمكن من التعبير عن مختلف المعاني تعبيراً دقيقا أو موجزاً، فينبغي للمتكلم أن ينتبه إلى هذه الصيغ ومعرفة المستعمل منها، وإدراك ما تفيد من دقائق مختلفة باختلاف السياق أو المقام، والصيغة الواحدة قد يتغيّر معناها أيضاً بتغيّر السياق أو المقام.

« وهذه الصّيغ والأوزان بالنسبة للمفاهيم العامة المعبَّر عنها في العربية بالمواد، بمثابة قوالب تُصاغ فيها الألفاظ وتُحدَّد بها المعاني كليّة، والمفاهيم العامّة، فإذا وُضعت مادة (ق ط ع) في قالب من قوالب الأبنية وصُغتها على مقداره كأن جعلتها على بناء (مفعل) فقلت (مقطع)، فقد أخرجت منها لفظا على آلة القطع، وإن قلت (مقطع) على وزن (مفعل)، فقد دللتَ على مكان القطع وإن قلت (مقاطعة) على وزن (مُفاعلة) فقد دللت على قطع الصلة بين اثنين أو جماعتين»[1].

« ووجود هذه القوالب الفكرية العامة في اللغة العربية، توفر على المتكلم والمتعلم كثيراً من الجهد، ذلك أن في عالم الفكر معاني كليّة عامة كالفاعلية والمفعولية والمكانية والزمانية والحدث أو الفعل والآلية، ويمكن أن تزداد هذه المعاني الكلية أو القوالب الفكرية، وأن ترد إليها جميع المعاني الجزئية والتفصيلية»[2].

فهذه المعاني كالفاعلية والمفعولية والزمانية والمكانية وغيرها، مما تدلّ عليها الصّيغ « ظاهرة لغوية تُسهّل اختصار القول مع الإفصاح عن المراد، وهذا المفهوم للاقتصاد اللغوي هو الذي جعل العرب يُقللون في كلامهم ما يستثقلون ويُكثرون ما يستخفون»[3].

وأمّا في الصّرف فيتسع مفهوم الاشتقاق ليشمل مشتقات أخرى وهي أسماء الزمان والمكان والآلة والمرّة والهيئة وما شابهها وذلك لأنّ في الصّرف« يعني اشتراك كلمة مع أخرى في معناها العام

[1] – زبيدة بن عزوز، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية ، ص 35.

[2] – المرجع نفسه، ص35.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفي نوع حروفها الأصلية وعددها ورتبتها مع زيادة إفادة على المعنى الأصلي، وهذا هو ما يسمى بالاشتقاق الصّغير والأصغر، وربّما يكون أكثر المعاني المناسبة للاشتقاق في الصّرف والنّحو أن نجعله بمعنى عام يجمع بين مفهومه فيهما معاً، فنقول أخذ كلمة من أصل معين وتصرّف هذا الأصل على أبنية مختلفة للدلالة على الذات والحدث، أو الحدث والزمن، ونقصد بهذا القيد الأخير الفعل، وبناء على هذا تكون المشتقات نوعين صفات وغير صفات»[1].

وأمّا الجمود فهو إمّا متعلّق بالاسم وإمّا متعلّق بالفعل، ونستطيع أن نُعرّف الجمود في الاسم من وجهة نظر القدماء خاصّة بأنّه « عدم مجيء الاسم على صيغة من صيغ المشتقات، واقتصاره على دلالة واحدة، هي الذات أو الحدث، وتُجرّده من الدلالة على الصّفة، وهذا يعني أن الجمود يوجد في أنواع الكلم التالية: الكلمات التي تنصرف اشتقاقياً مُطلقاً كالضمائر، والكلمات القابلة للتصرّف الاشتقاقي ولكن في معان أخرى مثل (رجل وحجر) كما يوجد أيضا في الكلمات التي يُفترض أنها من وجهة نظر خاصّة أصل المشتقات، ونعني بذلك المصادر نحو (ضرْب وخُروج)، وإما الجمود في الفعل فهو عدم تغيّر بناء الفعل ولزومه شكلاً واحداً»[2].

---

[1] – ينظر: الرضيّ الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص 334.

[2] – عبد السلام السيّد حامد، الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002، ص ص114– 115.

6) علاقة علم الصّرف بعلم الدّلالة

6-1 مفهوم علم الدّلالة:

إنّ علم الدلالة هو مستوى من مستويات الدرس اللغوي، يقوم بدراسة المعنى أو كما يقول جورج مونان (George Mounin): «الدلالة تُعرّف بأنها علم أو نظرية المعاني وهذا منذ بريال (Brial)،

وإذا كان علم الدلالة هو قمة الدراسات اللّغويّة، فهو يعدّ مستوى من مستويات الدرس اللساني الحديث الذي لم يظهر إلا مؤخراً شأنه في ذلك شأن الأصوات والتراكيب»[1].

ويُطلق « علم الدلالة على بيان معنى الكلمة، ويطلق كذلك على دلالة الجملة أو التعبير، وتجاوز العلماء به الجملة إلى معنى النص كلّه شرحاً وتفسيراً، ويصف العلاقات المتشابهة بين التعبير والمحتوى فيما عُرِف بعلم الدلالة النصّي أو علم دلالة النّص، لقد توسّع مجال اهتمام علم الدلالة فشمل دراسة أصغر وحدة دلالية حاملة المعنى، ودراسة دلالة الجمل، ودلالة النّصوص»[2].

6-2 موضوع علم الدّلالة:

إنّه « علم يقوم بدراسة الرّموز بصفة عامة دراسة قائمة على أسس علمية، وذلك بوصفها أدوات اتصال يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، وإذا كانت هذه الأمور حاملة للمعاني فإنّ موضوع علم الدلالة هو كل ما يقوم بدور العلامة أو الرمز، سواء كان لغوياً أم غير لغوي»[3]. والهدف من الدراسة اللغوية هو الوقوف على المعنى في جميع المستويات اللغوية من الأصوات إلى الصّرف إلى

---

[1] – بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985، ص 8.

[2] – محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، ط1، 2005، ص 61.

[3] – صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصّيغة الإفرادية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص 29.

التركيب، بالإضافة إلى ملابسات المقام الاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال ما ينتجه المتكلم من كلام.

3-6 مستويات التحليل الدّلالي:

من المعروف أنّ اللغة تتكوّن من أصوات، ومن تلك الأصوات تتكوّن الكلمات، ومن تلك الكلمات تتكوّن الجمل التي لا بدّ أن تدلّ على معنى مفيد، لذلك يفرّع علم اللغة إلى فروع يهتم كلّ منها بدراسة جانب من اللغة، فهناك (علم الأصوات) و(علم الصرف) و(علم النّحو)، و(علم الدّلالة).

ويمكن تحليل اللغات وفق تقسيمها إلى مستويات « وهناك أربعة مستويات للتحليل اللّغوي وهي على النّحو الآتي:

- المستوى الدلالي semantic.
- المستوى النّحوي syntaxe.
- المستوى الصّرفي المورفيمات (الوحدات الصّرفية) morphèmes.
- المستوى الصوتي (الفونيمات الوحدات الصوتية) phonèmes»[1].

وكل مستوى من هذه المستويات له وحدات لغوية خاصة به كما يتبين.

« فقد أجمع الباحثون المحدثون على أنّ دراسة اللغة كما جرى عليه العرف تندرج تحت أربعة مستويات: المستوى الصوتي phonology والمستوى الصرفي morphology والمستوى التركيبي syntaxe، والمستوى الدلالي semantic»[2].

---

[1] – أشرف محمد النّجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، ص ص 22- 23.

[2] – المرجع نفسه، ص 24.

« وهذه المستويات الأربعة يرتبط بعضها ببعض، وقد رأى العلماء أنّه لا توجد حدود فاصلة بين هذه المستويات، فلا يمكن استبعاد مستوى منها، فأصوات اللغة تتأثر بالصيغ، والصّيغ تتأثر هي الأخرى بالأصوات، فالتغيرات الصرفية تقوم على عناصر صوتية، وليست الوحدات الصرفية إلا أصواتا، والصوت والصيغة كلاهما يتأثر بالمعنى»[1].

ولكل مستوى من هذه المستويات أهميته الخاصة في بنية اللغة ولا سيما الدلالة، «لأنّ المستويات اللغوية تتآزر فيما بينها لتأدية (الفهم) الذي هو نتيجة طبيعية لعملية التناسق الشكلي المنضوية تحت نظام يعرف بالتركيب، وبعبارة أخرى، يمكن دراسة وصف اللغة انطلاقاً من الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية بواسطة وحدات لغوية خاصة، إذ تُعرف هذه الدلالات بالدلالة التعبيرية أو الدلالة المركزية التي تنقسم على قسمين: تعرف الأولى بالدلالة القواعدية (grammatical) وهي تشمل الدلالتين الصرفية والنحوية، فالأولى منهما: تتعلّق ببنية الكلام والتي تفهم من اللواصق، والأبنية الصرفية وتسمى هذه الدلالة بالدلالة التصريفية، والثانية تتعلق ببنية الجملة، والتي تفهم من المكوّنات اللغوية عن طريق القرائن النّحويّة، وتسمى هذه الدّلالة بالدلالة التركيبية»[2].

فتحتاج عملية التحليل اللغوي إلى هذه المستويات اللغوية، « وبما أنّ اللغة نظام معقّد جداً، فالمحلل اللغوي يبدأ بالمستوى الفونيمي، الذي يتضمن قوانين لا تخلو من الصعوبة... ثمّ المورفيمي وهذا يعني أن المحلل بموجب التحليل المورفيمي يستطيع كشف الأنظمة الصرفية وبذلك يمكنه التوطئة للدخول إلى النظام النحوي التركيبي للغة التي يُحلِّل، فبحث المعنى في كل فروع علم اللغة، ولهذا نجد في تصانيف بعض علماء علوم اللغة فروعاً ترتبط بعلم الدلالة مثل: علم الصّرف القاموسي (lexical morphology)، وهو الذي يبحث صيغ الكلمات ومعانيها، وطرق اشتقاقها وتوظيفها في التراكيب، وتبحث الدلالة في معاني صيغ الكلمات، ووظيفة السوابق واللواحق والدواخل

[1] - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 15.

[2] - أشرف محمد النّجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، ص ص 22- 23.

وأثرها في دلالة الكلمة، ويقوم علم الدلالة القاموسي (lexical semantics) بالتمييز بين معنى التركيب، ومعنى أجزاء هذا التركيب لها دلالة سياقية ونحوية، ولها كذلك معنى معجمي مستقل عن التركيب يرتبط بأصل المعنى الذي وضع له اللفظ والمعاني المجازية التي دخلت عليه»[1]. وهذه التداخلات بين هذه الفروع في الدرس اللغوي تؤكد أن مستويات اللغة تخضع لكيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته، وأنّ هذه التقسيمات ثمرة لجهود العلماء، وليست من صنع اللغة التي تعدّ بناءً واحداً متماسكاً، وقد اشتهر من بين هذه المناهج التحليلية، التقسيم الذي وضعه (ماريو باي) لمستويات التحليل اللغوي، فقد رأى أنّ دراسة اللغة على ما جرى عليه الحرف سواء كان المنهج وصفيّاً أو تاريخياً، تندرج في أربعة مستويات وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماماً على نحو دقيق- وهذه المستويات تشكل بناء اللغة العام وتحصل على:

أ) الدلالة الصّوتية:

إذ أنّ للجانب الصّوتي تأثير بالغ في تحديد المعنى وذلك مثل وضع صوت مكان صوت آخر (كقَطَفَ وقَطَشَ)، فالقطف يكون للأزهار بينما يكون القطش للحشائش، ولهذا نلمس تحديداً للدلالة الصوتية من خلال صوتي الفاء والشين فكلا الفعلين يدلان على القطع غير أنّ الفاء والشين ومثله التنغيم الذي يحدد درجة الصوت وفق عدد الذبذبات الناتجة عن الوترين الصوتيين التي تُحدِث نغمة موسيقية في الكلام تحدد معاني مختلفة ومتنوعة بتنوّعها، منها الاستفهام مثلاً[2].

« وينقسم التأثير الصوتي إلى قسمين: (أ) تأثير مباشر، وهو ما تدل به الكلمة على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم، ويسمى (primary onomatoperia) مثل: صليل السّيوف ومواء القط وخرير المياه.

[1] - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 15.

[2] - المرجع نفسه، ص 15.

(ب) وتأثير غير مباشر وسُمّيّ بـ (secondary onomotoperia) مثل القيمة الرمزية المكسرة ويقابلها في الانجليزية (i) التي ترتبط في أذهان الناس بالصّغر أو الأشياء الصّغيرة»[1].

ب) الدلالة الصّرفيّة:

إنّ هذه الدلالة مرتبطة ببنية الكلمة وصيغتها التي تحدد معناها، وذلك مثل صيغة (أفعل) كأكرم، فإن معنى (أكرم) يتحدد من خلال صيغتها (أفعل) التي تدلّ على تغيير الدلالة الأصلية في الصيغة الإفرادية، ومثل كثير في اللغة العربية. «فالدلالة الصّرفية تطلق غالباً على الصيغة، لكن البناء الإفرادي له ثلاث موقعيات، بداية، وسط، منتهى، والصيغة الإفرادية أنواع: حديثة، ذاتية، وصفية. والدلالة الحديثة تكمن في وسطها غالباً (فعُل، فعِل، فعَل)، فالضمّ يدلّ على الثبات مثل (كَرُم وشَرُف) والكسر يدلّ على الزوال مثل (فَرِح، غَضِب)ن والفتح حياد، ومثله كذلك في المشتقات في اسمي المرّة والهيئة (فَعْلة وفِعْلة) وفي وسط المشتقات في مثل: (مُكرِم ومُكرَم، ومُخبِر ومُخبَر)، ومنها المنقلبات في الاشتقاق وهي صرفية أيضاً مثل: (كمل، كلم، ملك، مكل، لكم، لمك)، وهو ما يسمى بنظام الترتيب، كما أنّ التأثير الصرفي وهو خاص بالكلمات المركبة مثل: (hotplat, hand, full) في الانجليزية والكلمات المنحوتة مثل المنحوتة من (صَهَل وصَلق) و(بحْتَرَ من بتَرَ وحَتَى)»[2]. وتنقسم الوحدات الصّرفية ذات الدلالة على نوعين:

« النوع الأوّل: الأوزان الصّرفية مثل أوزان الأفعال والمصادر والمشتقات، اسم الفاعل، اسم المفعول والصفّة المشبهة واسم الزمان والمكان واسم الآلة وأوزان جمع التكسير والتصغير»[3].

---

[1] – صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص 14.

[2] – محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 13.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 13- 14.

«النوع الثاني: اللّواصق وهي السوابق (prefixes) واللواحق (suffixes) والدواخل (infixes) و هي التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة»[1].

قال ابن جنّي في باب الردّ: « من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني وبذلك على تمكن المعنى في أنفسهم، وتقدمه اللفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أوّل الكلمة، وكذلك لقوة العناية به فقدّموا دليله ليكون ذلك إمارة لتمكنه عندهم على ذلك تقدمت حروف المضارعة في أوّل الفعل إذ كُنّ دلائل على الفاعلين: من هم، وما هم، وكم عدّتهم، نحو أفعل، وتفعل، وتفعَل، ويفعل...»[2].

ج) الدلالة النحوية:

إنّ عناصر الجملة العربية مرتبة ترتيباً هندسيا خاصاً يوحي بدلالة الجملة الناتجة عن نوع من التفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية « فكما يمد العنصر النحوي الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تميّزه وتحديده، يمد العنصر الدلالي العنصر النّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، إذ يوجد بين العنصرين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري دائم»[3]، وكمثال على ذلك قولك: أكْرَمَ محمدٌ عَليّاً، وأكرَمَ عليٌّ مُحمداَ، فتغير مكان الكلمات في الجملة أدى إلى تغيير في الوظيفة النحويّة الذي أدى بدوره إلى تغيير في الدلالة.

د) الدلالة السياقية:

« إنّ السياق يعد مستوى من مستويات التحليل اللغوي، وفيه تتحدد دلالة الكلمة وفق ما تحمله من دلالات، ولذلك لا يمكن معرفة معنى الكلمة ووظيفتها إلا بوجودها في سياق لغوي معيّن»

---

[1] - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 61.

[2] - ابن جني، الخصائص، ج1، ص 198.

[3] - المصدر نفسه، ج2، ص145.

فقول الشاعر: أيُما الفتى؟ إنّما هو استفهام ضمن معنى التعجب، وهذه الدلالة أوجبها السياق الذي جاءت فيه كلمة (أيّما)، وبالتالي فقد تحددت دلالتها وفق ما طرأ عليها من تطوّر دلالي بحسب المجالات المختلفة التي ترصد حركتها حيث تكتسب الكلمة أبعاداً دلالية تحصرها في إطار خاص لا تحيد عنه، ومن هنا يحدّد اللفظ المعنى»[1].

فدلالة الكلمة مرتبطة بسياقها الذي يوحي بمعناها إذ تتحدد تلويناتها الدلالية «عبر تداعيات مفهومية متميزة كما في عبارة، عملية عسكرية، مصرفية، حسابية، جراحية...الخ، ويمكن لهذه الاختلافات السّياقية أن تؤدي إلى انقسام بين المعاني الأساسية، السلك الكهربائي والسلك الدبلوماسي، كلمتان تحسبهما مختلفتين وغير متماسكتين»[2].

هـ) الدلالة الإيحائية:

إنّ للمعنى الإيحائي أهمية بالغة « وذلك كونه يحمل استنباط الدلالة الكامنة في المفردة اللغوية، لما تؤديه هذه الأخيرة من وظائف، بحيث يستشف قدرتها على الإيحاء بناء على ما تتميز به من شفافية معينة، ونجد بأن تأثيرات هذا المعنى مرتبطة بالمستويات اللغوية السابقة والتي حصرها (أولمان) (Ullmann) في ثلاث مستويات»[3]. وينبثق عنها التأثير الدلالي وهو ما تعلق بالمعنى المجازي للكلمة، وهو غالبا ما يترك المعنى الأكثر شيوعاً فيه أثره الإيحائي على المعنى الآخر، ويصبح بمجازيته متداولاً أكثر من غيره.

---

[1] – صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص 221.

[2] – بيير جيرو، علم الدلالة، تر: أنطوان أبو زيد، ص 43.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988، ص 40، عن:

– Ullmann, Meaning and still, pp 13- 170.

وسيبويه تناول الجوانب الدلالية للصيغة الإفرادية التي لا تتحدد دلالتها إلا بالنظر إلى بنيتها المورفولوجية وما تضمنه هذه البنية على هذه اللفظة من دلالات وبالتالي تصبح أمراً مكتسباً من الوزن ذاته، ومثله الأفعال التي تحدد بسبب أوزانها، الحدث مقروناً بالدلالة الزمنية»[1].

وسيفرد البحث مباحث خاصّة بمستويات البنية اللسانية لأنها محور الدراسة.

فيما تقدّم جملة من المبادئ والنظريات التي جُعلت تمهيداً للدراسة التطبيقية المرتقبة، فيما تبقى من الفصل، التي تصبّ مباشرة في الدراسة اللغوية، منها ما يتعلق بمنهج الدراسة ومنها ما يتعلق بالنص المدروس.

إنّ المنهج البنيوي المتبع في الدراسة لا يفرض رؤية أحادية في التحليل، وإنّما يعتمد على مبدأ التداخل والتخارج بين المناهج بما يحقق نجاعة التحليل. وتقوم هذه الدراسة على أساس الجمع بين معطيات التراث والدرس اللساني الحديث، وتنأى الدراسة عن النزعة التشريحية، وتجمع بين البعدين اللغوي والأدبي في تأويل المعاني.

كما تعتبر هذه الدراسة مقاربة نقدية ألسُنية، تقدم قراءة جديدة للنّص، لا تتنافى مع باقي المقاربات اللغوية الأخرى.

[1] – صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص 21.

الفصل الثاني: البُنى الصّرفيّة في معلّقة طرفة.

1- أبنية الأسماء.

2- أبنية الأفعال.

1- أبنية الأسماء.

توطئة:

يعد الجانب الصرفي في اللغة من أهم المستويات اللسانية التي تستوقف كل عملية تحليلية وصفية، فهو المستوى الذي يقدم الأبنية والقوالب الجاهزة للدخول في البنية اللغوية وهو مادة التركيب من حيث كان "النحو لا يتخذ لمعانيه مباني إلا ما يقدمه له الصرف من مباني"[1] تنتظم في علاقات خطية ذات طابع نمطي في اللغة، فدراسة الصرف بهذا المعنى تقودنا مباشرة إلى معرفة أبنية الكلمات وأقسام الكلمة وما يتفرع عن ذلك من أبنية صرفية مختلفة لها دلالاتها المعروفة.

وأول الأبنية الصرفية في أقسام الكلم هو الاسم بإجماع النحاة قديما وحديثا، كما ينقل عن ابن مالك:

"كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم"[2]

« ما دلّ على ذات أو مسمى، وليس الزمن جزءٌ منه، ويفيد الثبوت لا التجدّد والحدوث، مثل: حافظ ويحفظ، وثابت ويثبت، وقائم ويقوم، فالأوّل يفيد الثبوت، والثاني يفيد التجدد والحدوث»[3].

وينقسم وفقاً لعدة اعتبارات وهي: « انقسامه من حيث التجرد والزيادة، ومن حيث الجمود والاشتقاق، ومن حيث نوع المشتق (مصدر عادي، مصدر الهيئة، مصدر المرّة، المصدر الصناعي)، و(اسم فاعل، واسم مفعول، والصفة المشبهة، وصيغة مبالغة، واسم تفضيل، واسم الزمان والمكان واسم الآلة). كما ينقسم من حيث تذكيره وتأنيثه، ومن حيث منقوصاً أو مقصوراً أو ممدوداً أو

[1] – تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178.

[2] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 8.

[3] – محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 63.

صحيحاً، ومن حيث كونه مفرداً أو مثنى أو جمعاً، كذلك ينقسم من حيث تصغيره، ومن حيث النسب إليه، ومن حيث تعريفه أو تنكيره»[1].

1- الاسم:

فالاسم ينقسم إلى «اسم مجرّد غير مشتق يدلّ على الذات دون الحدوث مثل: رجل، فرس، حمار، ذئبٌ، فهذا النوع يدلّ على ذوات أو مسميات وليس فيه دلالة الحدث، واسم يدلّ على ذوات وأحداث مثل: أبنية المصادر والمشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم الزمان، اسم المكان، اسم التفضيل، الصفة المشبهة، اسم المرّة، اسم الهيئة»[2]، وهذا الأخير سيعرض لها البحث في هذا المبحث.

«والاسم جزءٌ من الكلام تدخله علامات وتتعلق به لتميّزه عن غيره من أجزاء الكلام، هذه العلامات تُسمّى بـ (علامات التّصريف)[3] المتعلقة بالحالة التي يكون عليها، وهي عبارة عن مميزات ينفرد بها الاسم في اللغة العربية وقد جمعها ابن مالك في قوله:

« بالجر والتنوين والتداول ومسند الاسم تمييز حصَلْ»[4].

وقد قسّم اللغويون العرب القدماء الاسم تقسيماً خماسياً فجعلوه إما إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً أو شيئاً، وبقي هذا التقسيم سائداً والعمل به جارياً، وقد لا يحصل الاختلاف في الأربعة بقدر ما يكون في التقسيم الخامس الذي هو الشيء لأن الشيء نكرة بل هو أنكر النكرات»[5].

---

[1] – رمضان عبد الله، الصيغ الصّرفية في اللغة العربية في علم اللغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفية، ط1، ص 75.

[2] – محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 66.

[3] – عدنان بن ذريل، اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 1981، ص 86.

[4] – ابن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل، ج1، ص 14.

[5] – صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص 27.

وقد وضع تمام حسان تخطيطاً يوضح فيه علاقة كل من الأقسام بالآخر[1]:

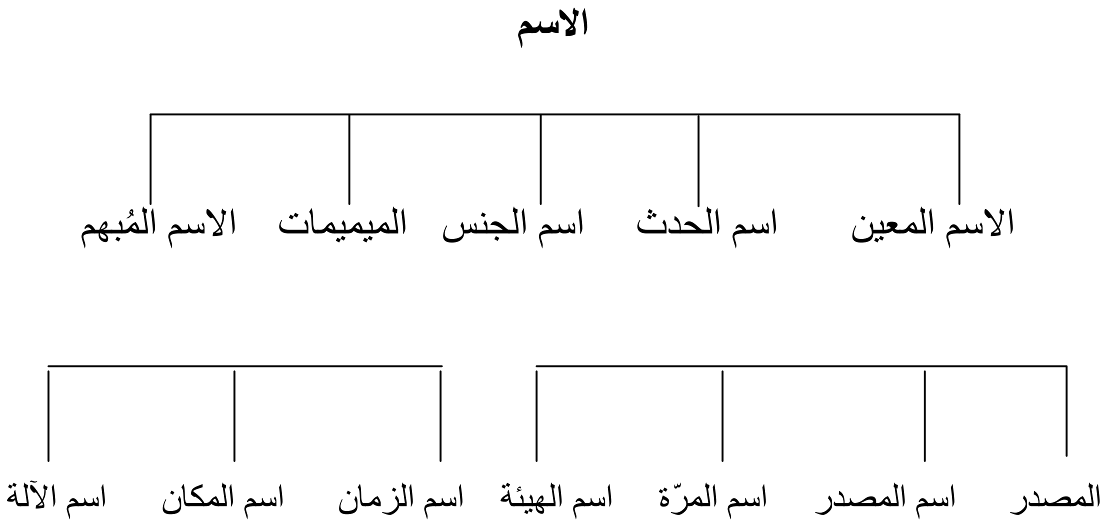

وإذا رجعنا إلى تطبيق هذه البنى الصّرفية على المدوّنة (المعلّقة)، فنجد أنّ الأسماء احتلت النسبة الأكبر في سلسلة النسب الخاصّة بأقسام الكلام الثلاثة، بحيث بلغت عدد الكلمات أكثر من ثلاثمائة وألف كانت هي مجموع العناصر الشكلية التي تؤلف البنية الكلية للمعلّقة، وقد بلغت نسبة مبنى الاسم ذروتها مقارنة بالعناصر الأخرى كالفعل والحرف ومبان أخرى متمثلة في الضمائر والأفعال الناقصة سوف نعرّضها في قائمة مستقلة.

وهذه بعض النماذج الإحصائية من الأسماء الواردة في المعلّقة:

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 91.

1.1 الأسماء الجامدة:

خولة	طي	قرطاس	سيد	أمري
أطلال	بنائق	صوتها	الشكر	كشحي
غدوة	سكان	الماء	امرؤ	السّديف
خلايا	العلاة	سبت	القوم	كنز
سمع	وعي	قدّة	الرّجال	العيش
أم فرقد	حرف	قنطرة	الخنا	القذع
التوجّس	القدّ	سبْق	الدجن	البطالة
علوب	الحيب	شربة	خير	خلقي
برجد	قطاب	أطر	ظلم	واديها
الشمس	الفتى	ضالة	بيتي	أهله
التوجّس	يدي	دأي	خدّك	بطانة
حلقة	رفع	جمجمة	عمرك	التهدّد
هجس	الطّراف	العلاة	قبر	وقت
صوت	بني غبراء	قينة	غدا	الأخبار
القوم	ثلاث	الطّراف	كربي	حسام
البعير	برد	الدّماليج	ثقة	الحبيب
خفافي	صخر	ابن معبد	كنّتي	يداها
ظهر	دروة	الشكر	ماله	همه

1 .2 الأسماء المشتقة:

الرّومي	جنوح	الأصحاب	مضاضة	لاحب
الشآمي	صادقتا	مولاي	المهنّد	ممرّد
موارد	مصابا	مطردي	يلندد	مخروت
سامعتي	كرام	قائمة	الوظيف	مارن
أتلع	المرخى	المعمد	معمد	نباض
مفرد	دقاق	الِّفيع	قاصي	شاه
أعلم	المعبد	حاجزه	جاهلا	خلقاء
الملتقى	العشيرة	محدث	مجد	أتلع
ململم	الزميل	وغلا	موعد	دالج
وليدة	ملبد	أجماع	صفائح	مؤللتان
حلاّل	المهيب	بطيء	الكرام	أحد
المتوقّد	بعيدة	محسد	كثير	مرداة
ممدد	عتيق	مفسد	عقيلة	موجدة
مهتد	المتشدد	أشد	بضة	اليماني
ضريبة	القطيع	القربى	طريفي	خذول
الأعداء	مرصد	شيخ	صم	المِلاح
المضاف	منور	أصفر	الندامى	متتصراً
أجماع	ألمي	موطن	مطروفة	وقوفا
المسرد	حر	مضبوح	ردي	عوجاء
رقيق	خميلة	محتدى	نائيا	سقيف

وما يمكن ملاحظته من خلال الجداول الإحصائية السابقة هو ارتفاع نسبة الاسم الجامد في مقابل نسبة الاسم المشتق، مع تسجيل فرق كبير بينهما، من خلال هذه النماذج المستقاة من معلقة طرفة، وهذه النسبة المرتفعة تحدث نوعا من الثبات والبساطة في البنية الاسمية لنص المدونة المدروسة.

1. 3 فروع المشتق:

بعد الدراسة والإحصاء على مستوى الأسماء ذات الصفة الاشتقاقية التي تكوّن بنية النص، لاحظنا تمايزاً ملحوظاً في قائمة النَسب، حيث كانت الصدارة للصفة المشبهة واسم الفاعل، متبوعين باسم المفعول وصيغ المبالغة، ثم تلتها مجموعة المباني الأخرى، بينما عادت النسبة الأضعف لاسم الآلة وهذه بعض النماذج الإحصائية لهذه الأسماء:

أ- اسم الفاعل:

محدث	المهيب	اللائمي	المتشدّد	مؤبد
مندّد	لاحب	معجب	معضد	قاصي
ساه	قائمة	مفسد	مالكاً	المتوحّد
مارن	واسط	الفاحش	نائبا	هاهلأ

ب- اسم المفعول:

مكحولة	مصمد	مذعورة	ملحّد	مجنّبا
ممدد	المعبد	مطروفة	مهنّد	منضّد
مقدد	الممدد	المصمّد	مجرّد	ممرّد

ت- الصفة المشبّهة:

وجناء	وظيفا	أكلف	جُر	غوي
عقيلة	أعلم	أجماع	ألمي	صفائح
الكرام	صفيح	كثير	الحيّ	ربّها
الأعداء	عتيق	سادة	سقيف	الجميع
بضّة	الصدي	رقيق	الزّميل	خميلة
طريفي	كريم	بخيل	عتاق	ندى
العشيرة	خلقاء	ضريبة	أزعر	خفي
كميت	القطيع	وليدة	دعص	الرّفيع

ث- صيغة المبالغة:

نحاق	طحوران	نحام	الملاح	جنوح
عندل	جلال	خشاش	خذول	موارة
نهاض	نباض	هجود	مرقال	أمون

وما يمكن رصده من ملاحظات حول توزيع أبنية الأسماء المشتقة في نص المعلقة هو انخفاض نسبة أسماء المفعولينé أمام نسبة أسماء الفاعلين هذا إذا علمنا أن اسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة تشترك في الدلالة على موصوف بالبحث على سبيل الفاعلية وان اختلفت في بعض

المعاني الفرعية كالمبالغة والتكثير، ولهذا يمكن اعتبارها نسبة واحدة بهذا الاعتبار الأخير لرصد الاختلاف الكبير بين نسبة الفاعلين ونسبة المفعولين في المدونة وهو ما يجعل البنية الاشتقاقية في النص تتميز بالحداثية لتعاظم نسبة الفاعل فيها وسطرته على نسب أخرى.

1. 4 التعريف والتنكير:

تنحصر دلالة التعريف والتنكير في عرف اللغة عموماً في معنى تقييد الأولى وإطلاق الثانية، وأفصح هذه المعاني ما كان معبّرًا عنه بأل التعريف وعدمها، وهو الشكل الذي ركزنا عليه، حيث اكتفينا في هذه النماذج باقتناء بعض الأسماء المعرّفة دون أنواع المعارف الأخرى.

وقد نافست نسبة المعرف نسبة التنكير في النّص إلى حدّ كبير، إلاّ أنّ الفرق بينهما في الاستعمال بقي شاسعاً، ونقدم نموذجين للمعرّف والمنكّر في القائمتين التاليتين.

أ- الاسم المعرّف:

الرّجل	المعبد	القوم	المتورد	التّلاع
الند	الخفيدد	الحي	المضاف	الملتقى
التّسع	البعير	الماء	الدّماليج	
الشمس	الأرض	الندامى	الكرام	
العلاة	العتق	المتجرّد	المتشدد	

ب- الاسم المنكّر:

طحوران	مبرد	بعيدة	طي	ندامى
عتيق	نباض	موجدة	خلوف	مجلس
محصد	عينان	حشيف	خطافي	ذنب
واسط	مرادة	مجدّد	مثل	فتى
مذعورة	مخروت	مَسند	نجاء	بيت
صُهابية	صخر	مصرحي	شزر	وقع
غُر	خصل	ضالة	حياة	
بنائق	صوت	كناسي	مخافة	
علوب	مولى	عوار	نحام	
قرطاس	معبد	رأس	نفس	

ومن خلال هذا العرض لهذين النموذجين بهذه النّسب المتفاوتة، أردنا أن نبيّن أنّ نسبة الاسم المنكّر في نصّ المعلّقة كان أكثر شيوعاً من الاسم المعرّف، بحيث عبّرت نسبة التنكير فيه عن الجانب اللايقيني والعالم الشكي في فلسفة (طرفة)، واحتفظت نسبة التعريف المنخفضة بالتعبير عن الجانب المعلوم من هذه الفلسفة، ويتألف هذا المعنى أدبياً من جهته مع المعاني الثورية الأخرى التي حفل بها نص المعلّقة.

1. 5 المفرد والجمع:

المفرد في اللغة، « ما دلّ على واحد، كرجُل وامرأة، وقلم وكتاب، أو ما ليس مجموعاً ولا مثنى ولا ملحقا بهما، ولا من الأسماء الخمسة المبنية في النّحو»[1].

وانطلاقاً من العملية الإحصائية والعددية لكلّ من الاسم المفرد والجمع في نصّ المعلّقة، نجد أنّ نسبة المفرد باتت تحتل المساحة البنيوية للنص في بعدها الأسمى، محقّقة الرقم القياسي في نسب المباني كُلّها، بينما تأرجحت نسبة المجموع في أدنى مستوى لها بالمقارنة مع المفرد كما هو مبين في هاتين القائمتين.

أ- الاسم المفرد:

خولة	إيّاه	جنوح	عندل	المرء
ثهمد	لتّاته	الحنى	رأي	الحي
اليد	معبد	سقيف	ابن يامن	الدشن
المالكية	منضد	مسند	اللون	القرى
خلوفه	التسول	لحاق	الهمّ	دجلة
اليماني	وعى	سمع	مخلدي	لميت
مشفر	جمجمة	أم فرقد	الرّفيع	الماء
أحد	صوتها	مورد	إفراد	المتورد
اليد	شربة	القذى	متلدي	الدّجن
حرف	صخرة	عوار	تشرابي	المعبد
مبرد	مذعورة	هجس	ردي	...
حد	التوجس	السّرى	تجاوب	...

[1] – أحمد بن محمد الحمْلاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، دار الكتب العلمية، د.ط، 2000، ص 122.

ب- الاسم الجمع:

أطلال	الترب	الأصحاب	الأخبار	القربى
الحوانيت	مطيهم	الرّجال	هجود	حياض
النجوم	حدوج	بنائق	البرك	أذيال
بيض	علوب	كرام	ناجيات	...
الندامى	أطراف	سادة	أجماع	...
الخمور	البربر	الأيام	ثلاث	...

وأمام هذه النسبة الباهرة للاسم المفرد مقارنة مع نسبة الجموع المبثوثة في نصّ المعلّقة، يتضح لنا أنّ المعادلة واضحة ودقيقة تكشف لنا عن نظرتين مختلفتين في فلسفة الشاعر مرة أخرى، فإذا كان المفرد يدلّ على الواحد والجمع خلافه، فإنّ نسبة المفرد في نصّ المعلّقة قد كرّست النزعة الفردية والنظرة الأحادية للأشياء، وبات الحديث عن المجموع الذي يكرّس نزعة الانتماء شيئاً لا يكاد يُذكر. والجدير بالثنية عليه في هذا السياق، أن شيوع المفرد ليس حكراً على هذا النص المدروس ولكنه ملمح أسلوبي سيطر على النّصوص الجاهلية بشكل عام، أما فيما يتعلق بالشاعر نفسه، فإن شيوع نسبة المفرد تعكس بوضوح علاقته المتأزمة بالقبيلة، والتي يصرح عنها في أكثر من موضع في المعلقة.

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْـــــهُ يَنْأَ عَنِّي وِيَبْعُدِ

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى القَلْبِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ.[1]

[1] - ديوان طرفة، ص 26.

1. 6 المذكر والمؤنث:

تختلف أنواع المذكر والمؤنث تبعاً لمعايير ثابتة تميز كل نوع عن الآخر، وقد أشارت المراجع إلى معيارين لتمييز أنواع وحالات التذكير والتأنيث، المعيار الأول هو المجازي والحقيقي، أما المعيار الثاني هو في اللفظ والمعنى، ولكل معيار عدة حالات، علماً أنّ هذين المعيارين متقاطعان، حيث يتم اختبارهما معاً لتحديد نوع الاسم إن كان مذكراً أم مؤنثاً.

وأما دلالته في اللغة العربية، فقد جرت على الحقيقة تبعاً للوضع الفلسفي للذكر والأنثى، إلاّ أنّه في المؤنث ينقسم إلى قسمين، حقيقي، « وهو ما دلّ على ذات كفاطمة وهند، ومجازي وهو ما ليس كذلك كأذن ونار، ويستدل على تأنيثه بضمير المؤنث، أو إشارة أو لحوق تاء الفعل»[1]. ومعنى ذلك أنّ اللغة تُفرّق بين المؤنث والتأنيث، فالمؤنث ما دلّ على أنوثة حقيقية، أمّا التأنيث فسلوك اجتماعي في اللغة، يُلحق مجموعة من المسميات بالمؤنث من غير تبرير عقلي لذلك، ولهذا سُمي مؤنثاً مجازياً أو معنوياً، وهو السّبب في اختلاف المسمى الواحد من حيث التذكير والتأنيث من لغة إلى أخرى. وعلاماته في اللغة العربية التاء الساكنة المتصلة بالفعل، وضمير المؤنث، الألف والتاء والياء، ولكون المذكر هو الأصل، لم يُحتج فيه إلى علامة، وليس تنفك لغة في الوجود من مظاهر التعبير بالمذكر والمؤنث في التواصل اللغوي، إلاّ أنّ التعبير بهما أو عنهما، يختلف كما أشرت سابقاً من لغة إلى أخرى، ولما كان التأنيث في اللغة إنّما هو سلوك اجتماعي، فإنّه لا محالة يحمل دلالات اجتماعية نفسية على المجموعة الناطقة بتلك اللغة، التي تجعل للمذكر والمؤنث وضعاً متميزا قد يعبر في كثير من الأحيان عن طبيعة حضور كلّ منهما في الذاكرة الجماعية أو الواقع الاجتماعي للمجموعة... إذا، فكيف كان وضع المذكر والمؤنث في النص الذي بين أيدينا؟

[1] – الزمخشري، الكشاف ج1، ص 77.

وفيما يتعلق بدراسة نص المعلقة قمت بإدراج بعض الأنواع المتعلقة بكل صنف دون اعتبار الأفراد والجمع وغيرها، فظل الفرق شاسعا بين نسبة المذكر العالية ونسبة المؤنث المنخفضة بصورة تطرح مجموعة من التساؤلات حول طبيعة هذا الوضع الذي هيمن فيه المذكر بصورة ملحوظة كما هو مبين في هذين ا لنموذجين:

أ- الاسم المذكّر:

أطلال	أزعر	صوت	شزر	معالي
ثهمد	أربد	المهيب	فتل	دأي
صحي	إثمد	جناحي	مسند	مصعد
سفين	أكلف	ندي	خلوفه	علوب
طرور	سلمي	الترب	حرف	برد
الزّميل	ظهر	الهمّ	مبرد	مجسّد
حشف	اللّون	أحوى	أغلم	اللائمي
سقيف	نقي	الحي	حلاّل	دفع
القرى	الماء	حباب	القوم	الممدّد
الرّومي	النّواصف	العسيب	ربع	...
متشدّد	أطر	خفافي	ردي	...
العثنون	جناحي	قردد	تجاوب	...
داجل	برجد	مرفقان	كري	...

ب- الاسم المؤنث:

برقة	أطراف	تارة	كتفاها	مذعورة
خولة	عتاق	روعات	عندل	مكحولتين
اليد	سفنجة	ضالة	دفاق	الشمس
المالكية	وجناء	خلقاء	جمجمة	...
مطيّهم	أمون	بنائق	صخرة	...
خذول	مرقال	دجلة	الأنف	...

وبناء على هاتين القائمتين المختلفتين لكلّ من المذكّر والمؤنث، نستطيع القول أنّ المؤنث لم يصمد أمام نسبة المذكر المتنامية في النّص، إلى حدٍّ كاد المؤنث أن يكون عنصراً مغيَّباً في بنية النّص الاسمية.

ولما كانت دلالة المذكر والمؤنث في اللغة تتأسس أصلاً على الوضع الفلسفي لثنائية (ذكر + أنثى)، فإنّ النسبة العالية للمذكر في بنية النص اللغوية، تعكس بوضوح مكانة الذكر في البنية الذهنية للغة، ومن ثمة، مكانة الرّجل في البنية الاجتماعية للمجتمع العربي، الموصوف بالمجتمع الذكوري، بما يحمله هذا التركيب الوصفي من معاني القهر والاضطهاد. فصدارة نسبة المذكر للمشهد اللغوي وتغييب المؤنث في البنية الذهنية للغة النص، هو في الحقيقة نقلة منطقية لتصدّر الرجل للمشهد الاجتماعي وتغييب المرأة عن المشاركة في النشاط الاجتماعي.

والملاحظ أن هيمنة المذكر على البنية الاسمية في لغة النص بما حملته من دلالات تنسجم مع هيمنة المفرد في التحليل السابق بما حملته من دلالات التفرّد والاعتداد بالذات، وهو المنطق الذي يقوم على فكرة إلغاء الآخر.

2- بنية الأفعال.

الفعل مبنى تقسيمي ثانٍ من مباني التقسيم المعروفة، وهو كل كلمة دلّت على حدث أو زمن، «ودلالته على الحدث تأتي من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة، وأما معنى الزمن فإنّه يأتي على المستوى الصرفي في شكل الصّيغة، وعلى المستوى النّحوي من مجرى السّياق»[1]، أي أنّ للفعل دلالتين أساسيتين هما: دلالة على الحدث مفهومة من اللّفظ، ودلالة على الزمن مفهومة من الصّيغة. وبالنّظر إليه كعنصر اشتقاقي فإنّه يتحيّن لدلالات أخرى باعتبار الشكل، وقد تجاوزت هذا الأخير ودرست الفعل من زاويتين هما الدلالة على الحدث والدلالة على الزّمن.

2. 1 من حيث الدلالة على الحدث:

فالفعل هو ما دل على حدث أو زمن، وهو ثلاثة أنواع: ماض ومضارع وأمر، وهو بالنسبة إلى فاعله معلوم الفاعل أو مجهوله، وبالنسبة إلى عمله لازم ومتعدٍّ، وبالنسبة إلى أبنيته، مجرّد ومزيد، قال سيبويه: « أمّا الفعل فأمثلة أخِذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»[2]. «فالماضي هو ما دلّ على حدوث شيء قبل زمن التكلم نحو، قام وقعد، وأكل وشرب، وعلامته أن يقبل تاء الفاعل نحو: قرأت هند، والمضارع ما دلّ على حدوث شيء في زمن المتكلم أو بعده: يقرأ، يكتُب»[3].

وكلّ هذه الأنواع تحددها البنية الصوتية والصرفية وتميز الواحدة فيها عن غيرها.

وفي هذه العملية الإحصائية ركّزنا على معنى الحدث المستخلص من لفظ الكلمة وهذا نموذج من هذه الأفعال:

[1] - تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، ص 104.

[2] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 2.

[3] - أحمد الحملاوي، شذا العُرف في فنّ الصّرف، قدم له وعلّق عليه محمد بن علي المعطي، دار الكيان للطباعة والنّشر والتوزيع، الرياض، ص 56.

تلوح	تردي	يكنفانها	تبغي	ردعت
يجور	تربعت	أمرت	تلقني	لم تشدد
يهتدي	عامت	أجنحت	قلته	تحامتني
يشق	جاست	لا ينكرونني	نشدته	أفردت
ترتدي	أمضي	ترى	تقتنصني	مت
تناول	قال	أرى	تروح	نفى
تخلّل	خلت	يعتام	لم أحفل	نظرت
تكدُم	لم أتلبّد	أحضر	أخطأ	أثارت
لم تكدُم	عنيتُ	أشهد	يأتيك	...
تجلد	قالوا	تلقني	لا ينثني	...
تراعي	أقسم	يسْترْفِد	ملكت	...

وبالنّظر إلى المحتوى الإبلاغي لهذه الأفعال ولغيرها في نص المعلّقة، نجد أنها تؤدي غرض الوصف وهي ظاهرة أسلوبية متينة في نظام النص الصرفي، حيث الغرض الوصفي الذي يتطلب معاني ثابتة للوصف، كما أن هناك شريحة من نصّ المعلّقة قد احتوى مضمونها الإبلاغي مواقف اجتماعية إنسانية، عبّر فيها الشاعر عن الشكوى والفخر والحكمة، تجنح إلى الفلسفة والتأمّل، وهو الذي أسس لمنظومة متنامية لمبنى الفعل لاستيعاب عناصر فلسفة خاضعة لمبدأ التجدّد والتغيّر، وهي دلالة الفعل التي لا تعبر عنها الأسماء والصّفات، وهنا تضافر أسلوبي متين أسهم بشكل كبير فيه مبنى الفعل في توازن بنية النص.

2. 2 صمن حيث الدّلالة على الزّمن:

في هذه المقابلة التي جمعت بين معطيات زمنية ثلاث هي: الماضي، الحاضر والمستقبل، وهي أزمنة فلسفية نرى من خلالها علاقة الشاعر بالزّمن، فكانت نسبة الماضي هي أعلى النّسب متبوعة بالحاضر ثم المستقبل كما هو مبيّن في هذه القوائم النموذجية لأنواع الأفعال:

أ- الأفعال الدّالة على الزمن الماضي في المعلّقة:

يهتدي	استكنتا	لم أتلبّد	لامني	استودعته
يجور	تلاقى	ذالت	زاربي	نفى
سقته	أفرغت	ترى	شاء	نظرت
يشق	تصعد	تروح	فرج	فمرت
قسم	تعرف	قلنا	قربت	قيل
ينفض	شئت	أنبرت	أفردت	يصطفي
تناول	أكمل	لم أكسل	تزبد	...
تبسم	لم ترقل	رجعت	علقت	...
تخلّل	أرقلت	نشدت	أحدثته	...
أسف	أجذمت	أرى	قام	...
أمرت		قال	ضرّني	

ب- الأفعال الدّالة على الزّمن الحاضر في المعلّقة:

تبيّن	تتقي	تصطد	لم تزوّد	أمشي
ترجم	ترتعي	تلقني	يزْدَدِ	تلوح
أفتدي	تغتدي	تقتنصني	أدنوا	...
لم أكسل	تباري	ينأى	يبعُدِ	...
				...

ت- الأفعال الدالّة على الزمن الاستقبالي في المعلّقة:

ستعلم	مت	ستُبدي	يأتيك	يأتيك

نستنتج من فحوى هذه النماذج أنّ الشاعر قد استعمل الأفعال المجرّدة والمزيدة المتنوعة من حيث الزمن (الماضي، الحاضر والمستقبل)، وقد طغى الماضي بأبنيته ودلالاته الزمنية الدالة على بعدين اثنين فقط، ماضي للذكرى وهو الأكثر شيوعاً، وحاضر للّذة، بينما غيّب تماماً المستقبل، فلم يُر إلاّ في وحدتين شعريتين لخَّص فيهما موقفاً من الحياة:

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَـــــــهُ فِي حَـيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إنْ مِتْنَا غداً أيُّنَا الصّديّ.[1]

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ويَأْتِيْـــكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.[2]

وفي هذا السياق تتفاعل معطيات الشخصية الأدبية ومظاهر التضافر الأسلوبي من معطيات التحليل الصّرفي بشكل يجعل الحديث عن وحدة عضوية في القصيدة الجاهلية مشروعاً ممكناً.

1 - ديوان طرفة، ص 26.

2 - المصدر نفسه، ص 29.

الباب الثالث: البنية التركيبية

- الفصل الأول: مباني الجملة الاسمية والفعلية.

- الفصل الثاني: البنية التركيبية في نص المعلّقة.

الفصل الأول: مباني الجملة الاسمية والفعلية.

1) البنية التركيبية.

2) الجملة الفعلية.

3) الجملة الاسمية.

تنهض هذه الدراسة بالحديث عن مجموعة من العناصر اللغوية التي تمثل ركناً مهمّاً في العملية التواصلية بين المرسل والمتلقي، هذه العناصر اللغوية، وإن كانت في تطبيقها النّحوي لا تدخل ضمن المكوّنات الأساسية للجملة التامة نحوياً، غير أنّها ذات مكانة مهمة في الدلالة من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي لا تقل أهمية عن غيرها من العناصر الأساسية في الجملة من الناحية التركيبية، فهذه العناصر متمّمة للتراكيب، علاوة على ذلك أن أكثر الأداءات اللغوية عمقاً، وأشيعُها درساً هي هذه العناصر، وهي التي سماها النحاة القدماء بالمنصوبات تارة، وبالفضلات تارة أخرى.

غير أن حديثنا في هذه الدراسة لا ينصب على طبيعتها، أو مواضعها وشروطها بقدر ما ينصب على صور أدءاتها وحالاتها المعددة في التراكيب اللغوية المختلفة، تلك الحالات الموغلة في عمق اللغة، التي قد تقودنا في بعض نتائجنا إلى افتراضات لغوية نابعة من الحالة غير المستقرة للقاعدة من جهة، ومن الطبيعة الأدائية لأبناء اللغة قبل اتضاح معالم التقعيد من جهة أخرى.

ولكن قبل الشروع في الحديث عن هذه العناصر من الناحية الاصطلاحية، ومن ناحية طبيعة الدراسة فلا بدّ لنا أن نذكر شيئاً ولو يسيراً عن بعض المفاهيم التي تُشكّل الدعائم الأساسية لهذه الدراسة.

1- البنية التركيبية

أمّا البنية فلا نقصد بها هاهنا ما شاع في أوساط الدارسين مصطلحاً صرفياً بحتاً وما يشير إلى طبيعة تكوين الكلمة من الناحية الشكلية، وكيفية توزيع الأصوات والحركات فيها فكل هذه الأمور تختص بالبنية الصرفية[1] التي لسنا بصدد الحديث عنها في هذه الدراسة وإنما نقصد البنية النّحوية.

وقصدنا بالبنية النحوية يتبيّن من خلال وصف مصطلح "البنية" ومصطلح "التركيب"، وذلك حين نقول: البنية التركيبية، هذا يعني وجود ارتباط وثيق بين هذين المصطلحين، وهما بهذا الارتباط أصبحا يدلان على معنى واحد، وهو الناحية النحوية في بنية الكلام، أي طبيعة تركيب المكمّلات الإسنادية في الجمل والأداءات اللغوية المتنوّعة.

ولقد كان العلماء القدماء يتحدثون عن التركيب حديثاً يختلف عن حديث العلماء المحدثين، فقد كان التركيب عندهم يمثل نمطاً من العلاقات الإسنادية أو غير الإسنادية أو الصوتية، أو المزجية، أو التعدادية، أو الإضافية[2]، وهذه التراكيب جميعاً وُجدت من خلال علاقة جامعة بنيها، في حين أن العلماء المحدثين ينظرون إلى التركيب على أنه مجموعة العلاقات الناظمة للكلام، وأنه يشتمل على جميع العلاقات التي يمكن أن تحصل بين عناصر الكلام المختلفة، فالتركيب عندهم إذن عبارة عن طريقة انتظام الكلمات والجمل والعبارات في الكلام، وليس التركيب أشكالاً متعددة توجد في جملة دون أخرى أو يوجد بعضها ويختفي بعضها الآخر.

ولا شكّ في أنّ البنى اللغوية المختلفة تترابط وتتشابك مع بعضها لتكوّن في النهاية النظام التواصلي للغة، والطريقة المثلى في أداء الجمل والعبارات، وليس من الواقع أو المعقول أن تكون كل

---

[1] – الصّبان، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 61.

[2] – الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 210.

بنية ذات معنى خاص بها دون غيرها من البنى أو ذات وظيفة خاصّة، ومن هنا، فإنّ هذه البنى تشكل بمجموعها النظام الذي تأتي عليه اللغة، والبنية النحوية تختص بالعلاقة بين عناصر التركيب المختلفة.

وثمة علاقة وثيقة جدا بين البنية النحوية، والتركيب النحوي، فكلا المصطلحين يدل على العلاقة بين عناصر الجملة المختلفة، وطبيعة قيام هذه العلاقة، وكيفية كل عنصر بغيره وتأثيره فيه، يعني ذلك أن طبيعة العناصر اللغوية تقود إلى طبيعة تركيبية مخصّصة هي ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح البنية التركيبية التي تختصّ بعلاقة العناصر الإسنادية وغير الإسنادية بعضها ببعض، والبنية النحوية، والبنية التركيبية تقود إلى نهاية واحدة، فهما مصطلحان يدلان على المسمى نفسه[1].

وتحتوي اللغة على أشكال مختلفة من التراكيب كما أشرنا، غير أنّ من بين هذه الأشكال ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراستنا، ألا وهو التركيب الثابت، وهو تركيب يتميّز عن غيره بأنّه ارتبط بسياقات مختلفة، تلك السياقات أدت إلى ثبات ذلك التركيب وفق هيئة مخصّصة لا يتغيّر عنها، وهو من ناحية ثانية يحمل الدلالة التي لا يمكن لأيّ تركيب آخر بديل عنه أن يحملها، وتلك التراكيب – أي الثابتة– لا مجال لإبداع التركيب فيها، إذ هي وفق هيئتها تلك، تؤدي الوظيفة التركيبية والدلالية على أكمل وجه، وممّا يُميِّز التراكيب الثابتة أيضاً أنّها واحدة في أغلب اللغات الإنسانية، إذ لا تختلف صيغها أو دلالاتها من لغة إلى أخرى، بل تحمل الدلالة والصيغة نفسها – تقريباً– بين اللغات المختلفة[2]. فالحديث على البنية التركيبية في هذه الدراسة يختص بطبيعة مجيء العناصر غير الإسنادية، أو الفضلات كما شاع في الدرس النحوي، أو كما أطلق عليها مصطلح «مكمِّلات العملية الإسنادية»[3] التي سنتحدث عنها فيما يلي من صفحات، هذه الطبيعة التي يكتنفها كثير من

---

[1] – ينظر: السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، ص 174.

[2] – ينظر: الزّعبي، آمنة صالح، التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل بين النظام اللغوي والذاكرة اللغوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، ع1، ص 134.

[3] – ينظر: عبابنة يحي، العلاقات النحوية في اللغة العربية دراسة تاريخية في النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة، نسخة على نظام (Pdf) غير منشور، ص 221.

الغموض، ويحيط بها أشكال متعدّدة من الأداءات التي لم تأت عبثاً أو بمحض الصدفة، بل هي مؤشرات على طريقة أدائية لأبناء اللغة في حالة معيّنة، أو في نمط أسلوبي معيّن مما يدفع بالمتكلم من أبناء اللغة إلى تأدية هذه العناصر وفق طبيعة مخصّصة ذات انزياح تركيبي عن أصل القاعدة، وهو ما تدور حوله هذه الدراسة.

والبنية التركيبية، ذات معنى متشابه مع معنى التركيب والإسناد، الذي أشار إليه العلماء النحويون القدماء، إذ يمثل التركيب الإسنادي علاقة المسند بالمسند إليه، وما يعتري هذه العلاقة من أحوال لغوية مختلفة علاوة على أنّ هذا التركيب كغيره من التراكيب اللغوية الأخرى لا تتم الفائدة منه، ولا يكتمل المعنى إلا من خلال تمام عناصره كافّة، لأنّ جزء التركيب يقود إلى جزء الفائدة فإذا ما اكتملت الأجزاء الفائدة وإذا ما كانت الأجزاء منقوصة، بقيت الفائدة منقوصة هي أيضاً[1].

وعلى ذلك فإن التركيب الإسنادي لا يكتمل إلا بتوافر عنصرين أساسيين، ظهوراً أو تقديراً هما: المسند والمسند إليه، فحين يتوافر هذان العنصران في التركيب يكتمل المعنى، ويكون ذا طبيعة دلالية تامة، ولكن ليس في كل الحالات، فقد يحتاج التركيب إلى عناصر أخرى تتمّم المعنى، وتكمّل الدلالة وهذه العناصر المكمّلة هي ما سنتحدث عنها فيما يأتي:

- **مكمّلات العملية الإسنادية:**

ومن خلال هذا العنوان يمكننا أن نرى أنّ هذه العناصر التركيبية الداخلة في نظام الجملة إنما هي عناصر مكمّلة للحالة التركيبية الملزمة التي وضعها النحاة، إذ جعل النحاة العرب من المسند والمسند إليه العنصرين الأساسيين في تركيب الجملة، وما سواهما لا يُعدّ عنصراً أساسياً، لأنّ بغير هذين العنصرين لا يكون كلاما، ولا تستقيم الجملة بشكلها البنائي التركيبي، وزيادة على ذلك فإن هذين العنصرين متلازمان في تكوين الجملة، وكل منهما يستدعي الآخر فلا يصح أن توجد جملة صحيحة تركيبياً، مستقيمة بنائياً تخلو من واحد من هذين العنصرين[2].

[1] - الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 210.

[2] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 23.

والنحاة القدماء لم يولّوا الاهتمام الكبير لما زاد على هذين العنصرين الأساسيين في تركيب الجملة، بل صبّوا جلّ اهتمامهم عليهما، وكان حديثهم عما سواهما من عناصر يتمثل بالنواحي التركيبية السطحية، زيادة على نعتهم مثل هذه العناصر بالفضلات، وهذا يعني أنّها زائدة عن تركيب وتكوين الجملة، وأنّ المهم في الجملة هو المسند والمسند إليه، هذا الأمر دفع كثيراً من العلماء إلى وضع مثل هذه المكوّنات في أبواب الزيادة المختلفة[1].

ونجد أنّ مصطلح "مكمّلات العملية الإسناديّة" أكثر موضوعية من مصطلح "الفُضلات" الذي أطلقه العلماء القدماء، وإن كانوا يقصدون به ما زاد على عمدتي الجملة، وليس ما كان عديم الفائدة فيها، إذ إنّ النحاة القدماء جعلوا تقسيم الجملة بناءً على شكلها التركيبي، وانطلقت هذه الرؤية من وجهة نظر شكلية تركيبية، ولم ينتبه النحاة القدماء إلى مسألة مهمة متمثلة بأنّ العملية التواصلية تختلف عن الأشكال التركيبية للكلام، فالتواصل الذي يؤديه الكلام قد لا يكتفي بعنصريْ الإسناد، وإنّما قد يكون في الفُضلة نفسها، فلو أنّ سائلاً سأل: كيف جاء زيد؟ لما جاز لنا أن نجيب: جاء زيد، بالرغم من أن الجملة الأخيرة تحتوي على عنصري الكلام – المسند والمسند إليه– وهذا هو الفرق بين مسألة التواصل التي تؤديها اللغة، ومسألة التركيب التي ألح عليها العلماء القدماء[2].

ولقد حاول بعض النحاة في العصر الحديث الثورة على التقسيم الذي أوجده النحاة القدماء للجملة من حيث عنصريّ الإسناد، وجعلوا من العملية التواصلية هي الأساس في تحديد الجملة، فثمة جمل إسنادية وجمل غير إسنادية (تواصلية) وكلتا الجملتين تؤدي وظيفة الدلالة والتواصل في الكلام[3].

[1] – ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 198.
[2] – عبابنة يحي، العلاقات النحوية في اللغة العربية، ص ص 221- 222.
[3] – ينظر: أيّوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، ص 138.

ومن ناحية ثانية، فإنّ اللغة تشتمل على كثير من الأداءات اللغوية التي تمثل جملة بهيئتها التي هي عليها، بل هي مستقلة بذاتها وغير إسنادية، وذلك كالنداء والتركيبات العطفية والإضافية والوصفية، فإنّها تستقل بذاتها، ولا وجود لعنصر الإسناد فيها، فجملة النداء ليست بجملة إسنادية، غير أنّها مكتفية بذاتها ولا تحتاج إلى غيرها مظهراً كان أم مقدّراً[1].

وكذلك عبد الرحمن أيوب فقد ذكر أن الجمل بالعربية ليست فعلية واسمية كما قسّمها النحاة العرب القدماء فحسب، ممّا دفعهم إلى إدخال الكثير من الأداءات اللغوية ضمن هذين القسمين، بل إنّ الجملة تنقسم إلى إسنادية وغير إسنادية، فمن الجمل الإسنادية، الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ومن الجمل غير الإسنادية، جملة التعجّب، وجملة النّداء، وجملة نِعم وبئس، فلا يمكننا أن نعدّ مثل هذه الجمل جملاً فعلية بمجرد تأويلات النحاة لها[2].

أمّا إبراهيم السّمرائي، فإنّه يوافق عبد الرحمن أيوب فيما ذهب إليه من تقسيم الجمل إلى إسنادية وغير إسنادية، إلاّ أنّه رأى أن يدخل ضمن الجمل غير الإسنادية جمل الطّلب، كالجملة الفعلية التي تبدأ بفعل أمر والجملة التي تبدأ بالفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية[3].

ولقد أشار بعض النحاة القدماء إلى أنّ الفضلة يمكن الاستغناء عنها في الجملة، غير أنّ هذا الاستغناء لا يُقصد به الحذف أو عدم ارتباطها بالمعنى، بل قصدوا به الزيادة على الركنين الأساسيين في تكوين الجملة، وبعضهم أشار إلى أنّ الفضلة ما كانت بعد تمام الجملة وليس بعد تمام الإسناد[4].

---

[1] – ينظر: برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1983، ص125.

[2] – أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، ص 129.

[3] – ينظر: السّمرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص 211.

[4] – ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، ط11، ص 235.

والفضلة ليست خارجة عن إطار المعنى بل هي مؤثرة تأثيراً كبيراً في الدلالة والمعنى، إذ هي تأتي بعد تمام العملية الإسنادية، غير أنها تبقى على ترابط وثيق بركنيْ الإسناد الذين يمثلان الحالة التركيبية للجملة، فهذه المنصوبات التي تسمى فضلات، لها تأثيرها الكبير في تمام المعنى والدلالة، وذلك كبيان هيئة الفاعل، أو المفعول، أو كشف إبهام وغموض يكتنف جزءاً من أجزاء الجملة، أو تأكيد قيام الفاعل بالفعل أو تعليل قيامه به، إلى غير ذلك من الوظائف التي تؤديها بعد تمام ركني الإسناد[1].

ويعني ذلك أن الجملة في العربية تنقسم إلى قسمين: جملة إسنادية يكون فيها عنصرا الإسناد ظاهرين، وتتشكل الجملة من خلالهما، ونوع ثان يتمثل بالجملة غير الإسنادية وهي التي تخلو من عنصري الإسناد، غير أنّها تحوّلت وفق نظامها الإفصاحي إلى نموذج محفوظ في بعض الأحيان، أو أداء لغوي مخصّص في أحيان أخرى، الأمر الذي جعلها تعطي دلالة محددة دون وجود عنصري الإسناد، وذلك كالتعجّب والنداء والمدح والذمّ وغيرها.

ويشير المخزومي إلى أن الفتحة التي عدّها القدماء علامة للمفعولية، ليست علامة على شيء محدّد، بل هي لا تعدو أن تكون علامة عدم دخول الكلمة المحرّكة بها ضمن دائرة الإسناد، أو ضمن دائرة الإضافة[2].

إذاً، فلا شكّ في أن ما أطلقوا عليه مصطلح الفضلات إنّما جاء من أجل إتمام المعنى، وتكميل الدلالة، فهي تكمّل ما ارتبط بالعملية الإسنادية نفسها، وفرق بين جملة اكتمل معناها وجملة لم يكتمل معناها، واكتمال المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه العناصر غير الإسنادية التي لها تأثيرها الكبير في تكوين الجملة، وهذا المعنى هو فعلاً ما نقصده من خلال المصطلح الموضوع لهذه العناصر غير الإسنادية، فهي ذات علاقة تكاملية مع العنصرين الأساسيين في الجملة، فالدلالة تكتمل من

[1] – ينظر: المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1964، ص 98.
[2] – المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 81.

خلال هذه المكمّلات، وليس أدلّ على أهميتها من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا..﴾[1]، فجملة "وَأَنْتُمْ سُكَارَى"، والجملة المعطوفة عليها: "وَلَا جُنُبًا"، واقعتان في محل نصب حال، والحال فُضلة، غير أنّ المعنى لا يتم ولا يكتمل إلا من خلالها، بل الأمر أشدّ من ذلك، إذ لو حُذِفت هاتان الجملتان، لاختل المعنى اختلالا كبيراً، ولكانت الدلالة على النّقيض تماماً، ومن هنا تظهر لنا أهمية هذه المكوّنات التركيبية في تكوين دلالة الجملة.

[1] – سورة النساء، (الآية 43).

2- الجملة الفعلية

الجملة لغة: جماعة الشيء، وأجمل الشيء أي: جمعه بعد تفرّقه، وأجمل له الحساب كذلك[1]. واللغة عبارة عن ظاهرة اجتماعية ثقافية، عمادها أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، وخاصيّة إنسانية ينفرد بها الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة وذلك بامتلاكه طريقة الفكر والنطق، وبهذه القدرة يستطيع الهيمنة على اللغة، والسيطرة عليها، وتسمية الأشياء بمسمياتها، وتصبح اللغة أداة طيِّعة، وليست مجرد آلة للترجمة، أو الاتصال بالغير، وإنّما هي مصدر وجودنا، وصانعة حضارتنا، ووعاء فكرنا السلوكي[3].

غير أنّ اللغة في حدّ ذاتها نظام محكم يتكوّن من عدة أنظمة، تتشابك فيما بينها لتؤدي في النهاية نظاماً لغوياً متماسكاً متكاملاً متناسقاً، هو ما نسميه بالنظام اللغوي، حيث يترتب عليه العديد من الأنظمة، كالنظام الصوتي والنحوي، ولا نبتعد عن الحقيقة إذا ما اعتبرنا أن هذه الأنظمة تتكاثف جميعاً حتى تؤدي في النهاية المعنى اللغوي العام[4]، وتعمل على تحققه، ولعل الصورة تكون أوضح إذا ما اقتطفنا زهرة من كلّ نظام، ففي النظام الصوتي درس علماء اللغة الكلمة وعدُّوها مجموعة من الحروف أو الوحدات الصوتية، وقارنوا بين هذه الوحدات منفردة ومتجاورة، فظهر عندهم ما يُعرف بصفات الحروف من ترقيق وتفخيم، وجهر وهمس... وتعطي هذه الاختلافات تمييزاً للكلمة، فهنا لا فرق بين قولنا مُرسِل ومُرسَل ومُخرِج ومُخرَج.

إنّ الحديث عن مفهوم الجملة يتطلب منا الحديث عن مفهوم الكلام والكلمة، لكونها اللبنة الأولى في التركيب، ونحن إذ لا نسترسل في الحديث، نقول: إنّ نُحاتنا القدامى عكفوا كغيرهم على

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (جُمل)، ج11، ص 128.

[2] – ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 33.

[3] – ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط2، 1998م، ص 05.

[4] – المرجع نفسه، ص 07.

دراسة الكلام وعرضوا لعناصره الأولى، فتحدثوا عن الكلمة وعدوها الوحدة الصغرى التي يتكوّن منها الكلام[1]، ولو ألقى الإنسان مجرد نظرة على مقدمات كتبهم، لوجدها وهي تزخر بالشرح والتحليل عن الكلمة والكلام، واللفظ والقول، وقلّما تجد كتاباً من كتب النحاة الأوائل إلا وذكر باباً من الكلام وما يتألف منه، وكانت تعريفاتهم تتفاوت فيما بنيها، إلا أن المستخلص من حديثهم حول الكلمة يبدو بأنّها: قول مفرد وُضِع لمعنى مفرد، بحيث لا يدل جزءٌ من الكلمة على جزء من معناها، وقد عرّفها بعض المحدثين بقولهم: «هي اللفظة الواحدة التي تتركّب من بعض الحروف الهجائية، وتدل على معنى جزء، أي مفرد، وإن لم تدل على معنى عربي وُضِعت له، فهي مجرد صوت لا غير»[2].

وتطلق أحيانا الكلمة على الجملة[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[4].

وقد قسم النحاة الكلمة إلى أقسام، حيث حصرها القدماء في ثلاثة أقسام هي: الاسم، والفعل، والحرف، وهذا ما ذهب إليه المبرد (ت 285هـ) في قوله: « الكلام كلّه: اسم، وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يخلو الكلام – عربيّاً كان أو أعجميّاً- من هذه الثلاثة»[5].

وتعدّ الجملة أصغر وحدة من وحدات التراكيب العربية المفيدة فائدة يحسن الوقوف عليها. إنّ من أوائل من قدّم تعريفاً للجملة واستخدمها على أنّها مصطلح، المبرّد حيث يقول: «وإنّما كان الفاعل رفعاً، لأنّه هو والفعل جملة يحسن السّكوت، وتجب بها الفائدة، للمخاطَب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء، والخبر إذا قُلتَ: قام زيدٌ، فهو بمنزلة قولك، القائمُ زيدٌ»[6].

---

[1] – ينظر: محمد عبادة، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988، ص ص 11- 12.

[2] – ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993م، ص 15.

[3] – المرجع نفسه، ج1، ص 17.

[4] – سورة التوبة، (الآية 40).

[5] – ينظر: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المعروف بالمبرّد، المقتضب، ج1، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ص 01.

[6] – المبرّد، المقتضب، ج1، ص 03.

ولم يظهر مصطلح الجملة عند سيبويه (ت 180هـ) فسيبويه نفسه لم يستخدم مصطلح الجملة على الوجه الذي تناوله به من جاء بعده[1]، وهذا لا يعني أن سيبويه لم يكن يعرف مصطلح الجملة، فقد ظهر في كتابه استخدامه للفظ الكلام حيث يقول: « واعلم أن (قُلْتَ) إنّما وقعت في كلام العرب على أن يُحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً»[2].

واستدلّ ابن جنّي (ت 392هـ) من ذلك على أنّ سيبويه فرّق بين الكلام والقول قائلا: نعم، أخرجَ الكلام هنا مخرج ما قد استقرّ في النّفوس، وزالت عنه عوارض السكوت، نحو قولك: زيدٌ منطلقٌ؟، فتمثيله بهذا يُعلم منه أنّ الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه، مستقلاً بمعناه، وأنّه القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام، لما قدم الفصل بينهما، ولما أراك فيه أنّ الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها[3].

وظهر بعد سيبويه، مصطلح (الجملة) مع مصطلح (الكلام)، وإن كان القدماء استخدموا مصطلح (الكلام) بمدلول الجملة عند اللغويين المحدثين، فهذا لا عني أنهم لم يستخدموا مصطلح (الجملة)، فهذا المصطلح – الجملة- ذُكِر في كتب النحو، لكن اختلف القدماء في مفهوم هذا المصطلح، فمنهم من يُعدّ مساوياً لمصطلح (الكلام)، ومنهم من يجعل (الجملة) غير (الكلام).

ويمكن التمييز بين الفريقين، بأنّ فريق يرى أنّ (الكلام) هو (الجملة) ويستخدم مصطلح (الكلام) بمدلول مصطلح (الجملة)، ولا يفرّق بينهما.

ومن هؤلاء ابن جنّي (ت 392هـ)، حيث يقول: « أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه اللغويون: (الجمل)»[4].

[1] - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ، دار غريب، مصر، ط2003، ص 18.

[2] - ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 20.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 30.

[4] - المصدر نفسه، ج1، ص 20.

ومن هذا الفريق أيضا الزمخشري (ت 538هـ)، حيث يقول: « والكلام هو المركب من كلمتين أسنِدت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا من اسمين كقولك: زيدٌ أخوك، وبشرٌ صاحبك، أو من فعل واسم نحو: ضُرِب زيدٌ، وانطلق بكرٌ، ويُسمّى جملة»[1].

وأمّا الفريق الثاني من النحاة فقد فرّقوا بين مصطلح (الجملة) ومصطلح (الكلام)، فالجملة عندهم أعمّ من الكلام، حيث يُشترط في الكلام أن يتضمّن إسناداً، وأن يكون مفيداً يمكن السكوت عليه، والجملة – عندهم- ما تضمنّت الإسناد، سواء أفادت معنىً تاماً أم لم تُفِد.

والجملة إذاً هي وحدة كلامية تؤدي معنى مفهوماً عند النحويين تنقسم إلى قسمين، الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

القسم الأول: الجملة النواة (فعل وفاعل):

اعتمد النحاة على تقسيم الجملة إلى فعلية واسمية، وقالوا في تعريف الفعلية: هي الجملة التي تبتدئ بالفعل كما دلّ على ذلك ابن هشام (ت 761) في مغني اللبيب في قوله: «فالاسمية التي صدرها اسم كـ (زيدٌ قائمٌ)...»[2]، وقد ذكر صاحب أسرار العربية: إن الجملة الفعلية ما كان الجزء الأول منها فعلاً، وذلك نحو: زيدٌ ذهب أبوه[3]، وتتكون الجملة الفعلية من ركنين أساسيين هما: الفعل والفاعل، وفيما يلي تفصيله:

---

[1] – ينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت 538هـ)، المفصّل في صُنعة الإعراب، تح: علي أبو ملحِم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 02.

[2] – ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 492.

[3] – الزمخشري، المفصّل في صناعة الإعراب، ج1، ص 44.

1- الفعل.

الفعل في اللغة: الحدث[1]، أما التعريف الاصطلاحي فقد كثرت آراء النحويين في تعريفهم للفعل، واختلفت أقوالهم باعتبار الحد الذي قيل فيه التعريف، ويمكن إجمال القول فيما يأتي:

نبدأ بقول سيبويه (ت 180هـ): « أمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنِيت لما مضى، وما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»[2]، فالفعل كما جاء، أمثلة اشتقت من لفظ أحداث الأسماء أي المصادر، قال سيبويه: « الأحداث نحو الضّرب والقتل والحمد»[3]، فأما بناء ما مضي، فذهب وسمع، ومكث وحمد. وأمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمراً: اذهب واقتل واضرب، أما بناء ما لم ينقطع وهو كائن فنحو: يقتُل ويذهب، ويضرب. كذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت[4].

وذكر ابن فارس في كتابه الصّاحبي في فقه اللغة تعريفات عدة حول الفعل، فنراه يقول: وقال قومٌ: « الفعل ما امتنع من التثنية والجمع»[5]، لكن الصواب قد جانب أصحاب هذه المقولة، إذ أنّ الحروف كلها ممتنعة من التثنية والجمع وليست أفعالاً.

وفي السياق ذاته قال الكسائي في تعريفه للفعل: « إنّ الفعل ما دلّ على زمان»[6].

---

[1] – ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، ج1، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، 1965م، مطبعة حكومة الكويت، ص18.

[2] – شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، 1968، ص 64.

[3] – ابن السّرّاج، الأصول في النّحو، ج1، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988، ص63.

[4] – سيبويه، ج1، الكتاب، ص 12.

[5] – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص 89.

[6] – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 17.

وقال قومٌ: «الفعل ما حَسُن فيه أمسٍ وغداً» وهذا على مذهب البصريين غير مستقيم، لأنهم يقولون، أنا قائمٌ غداً، كما يقولون: أنا قائمٌ أمسِ.

وقد ذكره أيضاً الجرجاني (ت 471هـ) في المفتاح بقوله: « ما دلّ على الحدث مع أحد الأزمنة»[1].

- **أقسام الفعل من حيث اللّزوم والتعدّي:**

ينقسم الفعل إلى نوعين: لازم ومتعدّ.

أ- **اللازم**: ما لم يفتقر بعد فاعله إلى محل مخصوص يحفظه، كقولك: قامَ وجلسَ وتدحرج، فإن اتّصل به جار ومجرور، كقولك (جلستُ إليه)، كان الجار والمجرور في موضع نصب، كأنك قلتَ: أتيته وعاشرتُه ونحو ذلك، وورد في الكلّيات أن: مفهوم الفعل اللازم الحدث ونسبة إلى الفاعل ونسبة إلى الزمان[2].

ب-**المتعدّي**: فما افتقر بعد فاعله إلى محلّ مخصوص يحفظه[3].

- **أقسام الفعل من حيث الزمان:**

أ- الفعل الماضي:

هو كلمة تدلّ على حدث وزمن انقضى، نحو: سافَرَ الضّيف ف (سافَرَ) كلمة تدلّ على حدث وهو (السّفر)، وزمن انقضى قبل النطق بهذه الكلمة[4]، ويمكن تمييز الماضي عن غيره بعلامة تختص في الماضي، هي تاء التأنيث، فتقول: جَلَسَ، جلسْتُ، جَلَستْ سعاد.

---

[1] - الجرجاني، المفتاح في الصّرف، ج1، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1987م، ص 53.

[2] - عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، ص 09.

[3] - عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، ص 15.

[4] - المصدر نفسه، ج1، ص 16.

ب- الفعل المضارع:

هو كلمة تدلّ على حدث وزمن صالح للحال والاستقبال[1]، نحو: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[2]، ف (يصطرخون) كلمة تدل على معنى وهو (الصّراخ)، وعلى زمن صالح للحال والاستقبال[3]، ويمكن تمييز الفعل المضارع عن غيره من الماضي والأمر بدخول (لَمْ) على الفعل المضارع، فتقول: لم اجلسْ، لم أفعلْ، كما أنه يبدأ بأحد حروف كلمة (بيان).

ت- فعل الأمر:

هو ما دلّ بذاته على أمر مطلوب تحقيقه في زمن مستقبل[4] وعلاماته:

- الأولى: دلالته على الطّلب.
- الثانية: قبول نون التوكيد، أكْرِمْنَ المسكين، وهذه العلامة يقبلها الفعل المضارع أيضا، نحو قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[5].

ولم يأت في القرآن فعل أمر مؤكِداً بالنون على الرّغم من جواز توكيده بها[6]، ويمكن تمييزه بدخول نون النسوة عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[7].

[1] - عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، ص: 16

[2] - سورة فاطر، (الآية 37).

[3] - عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، ص 16.

[4] - عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص 48.

[5] - سورة الاشتقاق، (الآية 19).

[6] - عبد الله بن صالح فوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، ص 19.

[7] - سورة يوسف، (الآية 31).

2- الفاعل.

لكل فعل تام لا بدّ له من مُحدِث يُحدِثه، والفاعل هو اسم يدلّ على من قام بالفعل، ويكون مرفوعاً، والفاعل عند النحويين الاسم المسند إليه الفعل أو ما قام مقامه مقدمّاً عليه، سواءً وجد منه حقيقة أو لم يوجد[1]، وقد ذكره الأنباري (ت 577هـ) في أسرار العربية، أنّ الفاعل: كل اسم ذكرته بعد فعل، وأسندت ذلك الفعل إلى ذلكم الاسم، نحو: قام زيدٌ، وذهب عَمْرو[2]، ومن هذه التعريفات يتضح لنا أنّ الفاعل هو من قام بالفعل، ولا يكون الفاعل إلا كلمة واحدة، بمعنى إنّه لا يأتي جملة، فالفعل إما أن يكون اسماً صريحا، أو مصدراً مؤوّلاً، فنقول: قام زيدٌ، ويُشرفني أن تحضُرَ.

والفاعل –كما ورد سابقاً- حكمه الرّفع، لكن قد يأتي قبله حرف جرّ زائد فيكون مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاّ، مثل: لم يحضر من أحدٍ، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[3].

ويأتي الفاعل بعد الفعل، ولا يجوز أن يتقدم عليه.

والأصل كذلك أن يتقدم الفاعل على المفعول به، وقد ذكر ابن النّحاس قولا لابن عصفور (ت 669هـ) يُقسّم فيه الفاعل بالنظر إلى تقديمه على المفعول به إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- قسم لا يجوز فيه تقديم المفعول به على الفاعل وحده، هو أن يكون الفاعل ضميراً متصلاً، أو لا يكون في الكلام شيء معيّن - ضميراً- أو يكون الفاعل مضافاً إليه المصدر المقدّر بأنْ والفعل، أو بأن التي خبرها فعل أو اسم مشتقّ منه[4].

ب- وقسم يجب فيه تقديم المفعول به على الفاعل، هو أن يكون المفعول به ضميراً متصلاً والفاعل ظاهراً، أو يكون المتصل بالفاعل ضميراً يعود على المفعول به، أو على ما اتّصل

[1] - ابن السّراج، الأصول في النحو، ص 148.

[2] - ينظر: الأنباري، كتاب أسرار العربية، ج1، مكتبة دار الجيل، بيروت، لبنان، ، ط1، 1995، ص 87.

[3] - سورة الفتح، الآية 27.

[4] - الأنباري، كتاب أسرار العربية، ج1، ص 48.

بالمفعول، أو يكون الفاعل ضميراً عائداً على ما اتّصل بالمفعول أو يكون المفعول مضافاً إليه اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال أو المصدر المقدّر بأنّ والفعل، أو بأنّ خبرها فعل، أو يكون الفاعل مقروناً بإلاّ أو في معنى المقرون بها[1].

ت- يجوز فيه التقديم والتأخير[2]، وهو الأصل.

القسم الثاني: العناصر التوسيعية في الجملة الفعلية:

وتنقسم إلى قسمين:

1- العناصر السابقة (الأدوات):

أ- النّفي:

النفيُ هو ضدّ الإثبات، ويراد به النقض والإنكار، وهو نفي صريح، ويتم بأدوات هي: ما، إنْ، لَمْ، لَمَّا، لنْ، لام الجحود، ليس، لأنّ، لا النافية للجنس، غير[3].

وذكرها سيبويه في باب حروف أجرِيت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر. والنهي قائلاً: « هي حروف النّفي، شبهوها بحروف الاستفهام، حيث قدّم الاسم قبل الفعل، لأنّهنّ غير واجبات، كما أنّ الألف وحروف الجزاء غير واجبة، وكما أنّ الأمر والنهي غير واجبين»[4].

وسهّل تقديم الأسماء فيها، لأنّها نفيٌ لواجب، وليست لحروف الاستفهام والجزاء، وإنّما هي مضارعة، وإنما تجيء لخلاف قوله: قَدْ كَانَ.

---

[1] - الأنباري، كتاب أسرار العربية، ج1، ص 85.
[2] - المصدر نفسه، ص 85.
[3] - الزمخشري، المفصّل، ج1، ص 405.
[4] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 31.

وذلك قولك: ما زيداً ضرَبْتُهُ، ولا زيْداً قتلتُّهُ، وما عمراً لَقيْت أباه، ولا عُمراً مررْتُ به، ولا بِشْراً اشتريت له ثوْباً، وكذلك إذا قلتَ: ما زيداً أنا ضارِبُه، إذ لم تجعله اسماً معروفاً[1].

- **لَيْسَ**: وهي فعل جامد لنفي الحال، إلاّ إذا قُيِّدت، فيكون الزمن بحسب ذلك القيد[2]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[3]، فهي هنا تفيد الاستقبال.

- **لَمَّا**: حرفٌ تجزم فعل المضارع، وتنفي حدوثه في الزمن الماضي وحتّى الحين، مع توقع حصوله في المستقبل... وملاحظة أن حرف لَمَّا تكون نافية حينيّة- أي الحين، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]، ويعرّفها ابن الضّائع أنها: تفيد امتداد انتفاء الفعل إلى وقت حديثك، تقول: نَدِمَ زيدٌ ولم ينفعه النّدم، أي: عقيب ندمه، فإن قلت: ولما ينفعه، كان معناه أنّه لم ينفعه إلى وقته هذا[5].

- **لَنْ**: حرف نصب ونفي واستقبال[6]، ينصب الفعل المضارع من غير شروط، وينفي حدوثه في المستقبل، نفياً مؤكداً، دون أن يحتاج إلى قرينةٍ تدلّ على المستقبل، مثل: سوف، غَدًا، وحرف السّين، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[7].

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج1، ص 31.
2 - ابن الأنباري، مسائل الخلاف، ج1، المكتبة المصرية، ط1، 2003م، ص 133.
3 - سورة البقرة، (الآية 267).
4 - سورة الحجرات، (الآية 14).
5 - ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 368.
6 - ينظر: محمد العثيمين، مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ج1، مكتبة الرُّشد، ط1، ص 102.
7 - سورة الحج، (الآية 73).

- **لا**: وهي من الحروف التي تنفي المضارع، وهي حرف نفي غير عامل، تدخل على المضارع كثيراً فتجعل زمنه شاملاً الحال، والاستقبال، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وحرف (لا) يعمل عمل (ليس)[2].
- من الملاحظ أنّ حرف النفي (لَنْ) أوكد من (لا) في النّفي، و(لَنْ) تنفي المستقبل نفياً مؤكداً، من غير قرينة تدل على المستقبل، أمّا (لا) فهي تنفي الماضي والمستقبل ولا تنفي أحدهما إلا بقرينة... وقد سماها البعض بـ (لَنْ الزمخشرية)، حيث بيّن حقيقتها من الناحية اللغوية أمام المتعقبة لبعض المذاهب التي قامت بلا معنى هذه الأداة بتأويلات فارغة.
- **لَمْ**: حرف جزم ونفي وقلبٍ، حرف جزم لأنّها تجزم الفعل المضارع وتختصّ به، ونفي لأنّها تنفي وقوع الحدث، وقلبٍ لأنّها تقلب زمن المضارع من الحال إلى الماضي[3]، كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].
- **لاَتَ**: وهي حرف نفي، وقد قال جمهور النحويين: وهي مؤلّفة من كلمتين: هما (لا) النافية، و(التاء) لتأنيث اللفظة، كما في (ثمت) و(رُبّت) وإنّما وجب تحريك التاء في (لاَتَ) لالتقاء الساكنين، وهي تعمل عمل (ليس)، وهي خاصة بنفي الحين، ولا يُذكر بعدها إلا أحد

[1] – سورة البقرة، (الآية 42).

[2] – ابن هشام، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ج1، ص 144.

[3] –ينظر:ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة، ص190.

[4] – سورة آل عمران، (الآية 170).

معموليْها وهو الخبر[1]، أما اسمها فهو محذوف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[2].

- **مَا**: وهو حرف نفي يدخل على الجملة الفعلية التي فعلها ماضي، نحو قوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾[3]، وتدخل على المضارع نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[4]، وتدخل على الجملة الاسمية فتكون عاملة عمل لَيْس – من المشبَّهات بلَيْس- بشروط، نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[5]، وتكون نافية مهملة نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[6]، وحرف النفي (ما) يعمل عمل لَيْس[7].

- **غَيْرَ**: هي اسم يُعرب حسب موقعه من الجملة، فقد يكون نعتاً، كما في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[8]، وتُعرب حالاً، نحو: ذَهَبْنا إلى الحَرْب غَيْرَ مُبالينَ، وقد تُعرب مبتدأ نحو: غَيْرُكَ لا يُعجِبني[9].

ب- الاستفهام:

هو طلب الفهم، فيما يكون المستفهم عنه مجهولاً لدى المتكلم، وقد يكون لغير ذلك كما سيأتي، ويقع الاستفهام بهذه الأدوات[1]:

---

[1] - عبد الرحمن حَنْبَكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، دار القلم، دمشق، سورية، ط1، 1996، ص165.

[2] - سورة ص، (الآية 03).

[3] - سورة المائدة، (الآية 19).

[4] - سورة يوسف، (الآية 53).

[5] - سورة يوسف، (الآية 31).

[6] - سورة آل عمران، (الآية 144).

[7] - ينظر: محسن علي عطية، الأساليب النحوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص 210.

[8] - سورة الفاتحة، (الآية 7).

[9] - محسن علي عطية، الأساليب النحوية، ص 210.

- **الهمزة**: كقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[2].
- **هَلْ**: كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[3].
- **مَا**: كقوله تعالى: ﴿ أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].
- **مَنْ**: كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5].
- **أَيَّانَ**: كقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾[6].
- **أَيْنَ**: كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[7].
- **كَيْفَ**: كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[8].
- **أنَّى**: كقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[9].
- **كَمْ**: كقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[10].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 210).

[2] – سورة مريم، (الآية 46).

[3] – سورة المائدة، (الآية 91).

[4] – سورة النمل، (الآية 84).

[5] – سورة الأنبياء، (الآية 59).

[6] – سورة الذاريات، (الآية 12).

[7] – سورة الأنعام، (الآية 22).

[8] – سورة البقرة، (الآية 28).

[9] – سورة البقرة، (الآية 259).

[10] – سورة المؤمنون، (الآية 112).

- **أيّ**: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[1].

ت- الاستقبال:

وحروف الاستقبال كما هو معروف: السّين، وسَوْف، ونواصب المضارع، ولام الأمر، ولا الناهية، وإن، وإذْ مَا الجازمتان.

فالسّين وسوف تختص بالمضارع، وتمحَضانه للاستقبال، بعد أن كان يحتمل الحال والاستقبال، كما أنّ لام التأكيد تُخلصه للحال نحو: إنّ سعيداً لَيكتُبُ، والسين تسمى حرف استقبال، وحرف تنفيس، أي توسيع، لأنّها تنقل المضارع من الزمان الضيّق وهو الحال، إلى الزمان الواسع وهو الاستقبال، كذلك (سوْفَ)[2]، إلاّ أنّها أطول زماناً من السّين ولذلك يُسمونها حرف تسْويف[3]، فتقول: سَيَشِبّ الغلام، وسَوْف يشيخُ الفتى، لقرب زمان الشباب من الغلام، وبعد زمان الشيخوخة من الفتى.

وتجب إلتصاقها بالفعل، فلا يجوز أن يفصل بينهما وبينه شيء، وإذا أردت نفي الاستقبال أتيتَ بـ (لا) في مقابلة (السّين)، وبـ (لَنْ) مقابلة (سَوْفَ)، نحو: "لا أفعل"، تنفي المستقبل القريب، ونحو: "لنْ أفعل" تنفي المستقبل البعيد، ولا يجوز أن يؤتى بـ (سوف ولا) معاً، ولا بـ (سوف ولن) معاً، فلا يقال: (سوْف لا أعمل) ولا (سوف لن أعمل).

ث- الاستثناء:

---

[1] - سورة مريم، (الآية 73).

[2] - ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج2، ص 72.

[3] - ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

الاستثناء هو إخراج ما بعد (إلاّ) وأخواتها من حكم ما قبلها، والاستثناء نوعان:

- **الاستثناء التام الموجب**: وهو ما ذُكِر فيه المستثنى منه، ولم يتقدم عليه نفيٌ أو نهيٌ أو استفهامٌ. وحكم ما بعد (إلاّ) وجوب النّصب مثل: أثْمرت الأشجار إلا شجرة.

- **الاستثناء التام غير الموجب**: وهو ما ذُكِر فيه المستثنى، وتقدّم عليه نفيٌ أو نهيٌ أو استفهام، وحكم ما بعد (إلاّ) جواز إعرابه بدلاً من المستثنى منه، أو نصبه على الاستثناء، مثل: ما تأخر أحدٌ إلا خالدٌ أو خالداً، هل تأخر أحدٌ إلاّ خالدٌ أو خالداَ، لا تلومَنَّ أحداً إلا نفسَك.

- **الاستثناء المُفرّغ**: وهو ما حُذِف فيه المستثنى منه وقد تقدم عليه نفيٌ أو ما يشبه النفيُ، ويكون إعرابه حسب موقعه في الكلام مثل: ما فرِح إلا أحمد، هل فرح إلا أحمد؟

وتنقسم أدوات الاستثناء إلى ثلاثة أقسام[1]:

- حرف، وهي: إلاّ وخلا، وعدا وحاشا[2].
- اسم، وهي: غيْرَ وسِوى[3].
- فعل، وهي: خلا، وعدا، وحاشا، وما خَلا، وماعَدا. كقولنا: جاء الناسُ خَلاَ زيداً، ومنها قول لُبيد بن ربيعة:

ألاَ كُلَّ مَا خَلَقَ اللهُ بَاطِلُ وكُلُّ شَيْءٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ.

2- العناصر اللاحقة.

[1] - سيبويه، الكتاب، ج2، ص 309.
[2] - الزّمخشري، المفصّل، ج1، ص 317.
[3] - ابن جنّي، اللّمع في العربية، ج1، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص ص 68- 69.

أ- المفاعيل:

لقد درس العرب القدماء مكمِّلات الجملة الفعلية وقد ذكرها ابن الأنباري (ت 577هـ) في الإنصاف في مسائل الخلاف، وابن يعيش (ت 643هـ) في شرحه للمفصّل للزمخشري (ت 538هـ)، وابن مالك (ت 672هـ) في ألفيته والرّضيّ (ت 686هـ) في كافيته وغيرهم...

وقد عمدنا في ترتيب المفاعيل منهج ابن يعيش في شرحه للمفصَّل[1]، وتنقسم المفاعيل في العربية إلى خمسة أقسام هي:

- **المفعول به**: هو اسم وقع عليه فعل الفاعل[2]، كضَرَبَ زيدٌ عَمْراً، عَلَّمْتُ زَيْداً الدَّرْسَ، وعَرَّفْتُكَ إيَّاه، ويأتي المفعول به واحداً فأكثر، وصولاً إلى ثلاثة مفاعيل، وحكمها جميعاً النصب.

- **المفعول فيه**: وهو ظرف المكان والزمان[3]، وهو اسمٌ يدلّ على مكان أو زمان وقع فيه الحدث ويُعرَف المفعول فيه من خلال السؤال عن كلّ فعل بمتى ويُسأل عنها للزمان، وأيْن، ويُسأل عنها لتحديد المكان، مثل: جَلَسْتُ تحت الطّاوِلةِ، جَاءَ الّذِي عِنْدَكَ، وجَلَسْتُ قُرْبَ زَيْدٍ.

- **المفعول لأجله**: هو المفْهِم عِلّةٌ، المشارك لعامله، في الوقت والفاعل[4]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[5].

---

[1] - ابن يعيش النّحوي، شرح المفصّل، ج1، ص 121.

[2] - الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 127.

[3] - ابن السّراج، الأصول في النحو، ج1، ص 229.

[4] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1999، ص137.

[5] - سورة الإسراء، (الآية 31).

- **المفعول المطلق**: مصدر يُذكَر بعد فعل تام من لفظه، تأكيداً لمعناه، أو بيان لعدده، أو بيان لنوعه، أو بدلاً من التلفظ بفعله[1]، كقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[2].

- **المفعول معه**: وهو الاسم المنتصب بعد واو بمعنى (مع)[3]، مسبوقة الفعل يذكر، لبيان ما فعل والفعل بمصاحبته[4]، كقوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[5]، أي اجمعوا أمركم مع مع شركائكم، وتُسمّى هذه الواو، واو المعيّة.

ب- الحال:

هو وصفٌ، نكرة، فضلةٌ، حُكمها النّصب، تبيّن هيئة صاحبها عند حدوث الفعل[6]، وتكون جواباً عن سؤال بـ (كيفَ)، مثل: أقبل صديقي مُستبشِراً، والمقصود ببيان الهيئة، كما ذكر الزمخشري (ت 538) في المفصّل، بيان هيئة الفاعل والمفعول به، وفسّره ابن يعيش (ت 643): بأنّك تقول: جاء زيدٌ راكِباً، فراكِباً بيان لهيئة صاحب الحال زيدٌ، وهو الفاعل؛ وضَرَبْتُ زيْداً قَائِماً، فـ (قائماً) بيانٌ لهيئة صاحب الحال زيدٌ، وهو مفعول[7]، وهناك خصائص متعدّدة للحال، وهي:

- أن يكون وصفاً مشتقاً، مثل: جاء زيدٌ راكِباً[8].

- يأتي الحال متنقّلاً، نحو: جاء زيدٌ راكِباً، فركاباً حال، وليس الركوب بصفة لازمة ثابتة، إنّما هي صفة له في حال مجيئه وقد ينتقل عنها إلى غيرها[1]، ورغم ذلك فقد وردت بعض

[1] - ابن يعيش، شرح المفصّل، ج1، ص 110.
[2] - سورة النساء، (الآية 164).
[3] - السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان، ص 209.
[4] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص 150.
[5] - سورة يونس، (الآية 71).
[6] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص 242.
[7] - ابن يعيش، شرح المفصّل، ج2، ص 56.
[8] - المصدر نفسه، ج2، ص 65.

الأشكال في اللغة يكون الحال فيها ثابتاً غير متنقّل، مثل: زيدٌ أبوه عطوفاً، فالعطف صفة ملازمة للأبوّة[2].

- تأتي الحال نكرة، ومن ذلك قول الزمخشري، إنّها استحقّت أن تأتي نكرة، لأنّها في المعنى خبرٌ ثانٍ، كقولنا: جاءَ زيْدٌ رَاكِباً، وهي تتضمّن الإخبار بمجيء زيد وركوبه في حال مجيئه، وأصل الخبر أن يكون نكرة[3].

- **صاحب الحال:**

الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، ولا يُنكّر غالباً إلا بوجود مُسوّغ وهو أحد الأمور الآتية:

- أن يتقدّم الحال على النكرة، كقولنا: فِيها قائماً رجُلٌ.
- أن تختص النكرة بوصف، أو بإضافة، مثل: جاء رجلٌ مُهذّبٌ، راكِباً، وجاء طَالِبُ عِلمٍ راكِباً.
- أن تقع النكرة – صاحب الحال- بعد نفي، أو شبه نفي (الاستفهام والنهي)، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[4]، فجملة (وَلَهَا كِتَابٌ) في موضع الحال من النكرة (قَرْيَةٍ).

ت- العطف:

وهو تابعٌ يتوسّط بينه وبين متبوعه حرفٌ من حروف العطف.

[1] - المرجع نفسه، ج2، ص 64.
[2] - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص 244.
[3] - الزمخشري، المفصّل، ص 62.
[4] - سورة الحجر، (الآية 4).

- **حروف العطف:**

- **الواو**: وتفيد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، في حكمٍ واحد، نحو: أنصَت زيدٌ وعمر، أي أنّ الإنصات وقع من كليهما.

- **الفاء**: وتفيد الترتيب مع التعقيب، نحو: يأمُر القائد فيتحرّك الجُندُ، أي أنّ الجند يتحركون بعد الأمر مباشرة.

- **ثُمَّ**: وتفيد الترتيب مع التراخي، نحو: ظهرت الأزهار ثم الثمار، أي أنه ما بين ظهور الأزهار والثمار مهلة.

- **أوْ**: وتفيد التخيير أو الإباحة، فمثل التخيير، نحو: تزوّج هنداً أو أختها، ولا يجوز الإباحة هنا؛ لأنّه يحرم الجمع بين الأختين، ومثال الإباحة، أشربُ العَسَل أو اللَّبن، لأنّه يجوز الجمع بين الاثنين.

- **إمّا**: وتفيد ما يفيد حرف العطف الواو، فهي للتخيير بين الأمرين أو الإباحة، وهذا ما قاله المبرّد (ت 285هـ) في المقتضب[1]، في قوله: (إمَّا) في الخبر بمنزلة (أوْ)، وذلك أنّك إذا قلت جاءني زيدٌ أو عمرو، وقع الخبر في زيد يقيناً، حتّى ذكرت (أو)، فصار فيه وفي عمرو شكّ، وإمّا تبتدئ بها شاكّاً، وذلك قولك: جاءني إمّا زيدٌ وإمّا عمرو، أي أحدهما، وكذلك وقوعها للتخيير، تقول: اضرب إمّا عبد الله وإمّا خالداً، فالأمر لم يشك، ولكنّه خيّر المأمور كما كان ذلك في (أو)، ونظيره قوله تعالى: (فشدوا الوثاق فإما منا و إما فداء) . سورة محمد: الآية 4

- **أمْ**: وقد تفيد طلب تعيين أحد شيئين وتكون بعد همزة الاستفهام للتسوية، نحو: أسِيَارَةُ رَكْبٍ أمْ قِطَاراً.

---

[1]- المبرّد، المقتضب، ج1، ص 11.

- **لا**: وتفيد إثبات الحكم للمعطوف عليه ونفيه عن المعطوف نحو: نُريد العزّة لا المهانة.

- **لكن**: وتفيد الاستدراك، أي تقرير حكم ما قبلها وإثبات ضدّه لما بعدها، وتسبق بنفي أو نهي، نحو: لمْ أعرِف الغير لكن الوفاء.

- **بَلْ**: وتفيد الإضراب، وهو جعل ما قبلها في حكم المسكوت عليه، إذا سبقها خبر مثبت أو أمر، نحو: كتب رسالة بل برقية، أو إن سبقها نفي، نحو: مَا عرفْتُ الغَدْرَ بلْ الوفاءَ، ويشترط فيها أن يكون المعطوف بها مفرداً وليس جملة، وألاّ يسبقها استفهام[1].

- **حَتَّى**: وتفيد بلوغ الغاية في الزّيادة أو النّقصان، نحو: يموتُ النّاس حتّى الملائكة، وإذا جاء بعدها جملة كانت ابتدائية وليست عاطفة، نحو: ما المتسابِقونَ حَتَّى الأخيرَ فازَ.

- **حكم العطف:** يتبع المعطوف المعطوف عليه في الإعراب: رَفْعاً ونَصْباً وجَرّاً[2].

ث- شبه الجملة: وتنقسم إلى قسمين:

- **الجار والمجرور:**

يُعرِّف أكثر النحاة المتقدمين حرف الجرّ بأنّه ما دلّ على معنى في غيره[3]، أي بارتباطه مع غيره من الكلام، والواقع أنّ الحروف عموماً، ومنها حروف الجرّ تدل على معان سواء ارتبطت بغيرها أم لم ترتبط[4]، وقد سميت شبه جملة لأسباب أهمها: أنّ الجار والمجرور لا يؤديان في الكلام إلى معنى مستقل، ولكن هذا المعنى الذي يؤديانه يكون فرعيّاً، لذلك تكون الجملة ناقصة، ولنقصانها أطلِق عليها شبه جملة، أي جملة غير مكتملة لأداء المعنى، كما أنّ الجار والمجرور ينوبان في الأغلب الأعمّ عن الجملة وينتقل إليهما ضمير متعلّقهما. ومعنى أنّ الجار والمجرور لا بدّ أن يكونا متعلّقاً، لأنّه لا يؤدي معنىً

---

[1]- ابن السّراج، الأصول في النحو، ج2، ص 57.

[2]- المرجع نفسه ، ج2، ص 305.

[3]- ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تح: سيّد الجُمَيْلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، ، ص94.

[4]- الزمخشري، المفصّل، ج1، ص 397.

كاملاً في الجملة، ولكن المعنى الذي يؤدّيه يكون فرعياً مُتمِّماً للمعنى الذي يؤدّيه الفعل، وهذا يعني أنّ الجار والمجرور يرتبط بمعنى الفعل، أي يتعلّق به، وعدد حروف الجرّ أربعة عشر حرفاً وهي: (من، عن، على، في، إلى، مُذ، مُنذ، رُبَّ، الكاف، اللام، التاء، الباء، الواو، وحتى).

- شبة الجملية الظرفية : وهي تنقسم إلى نوعين هما:
  - **الظرف الزماني**: ومن أمثلة ذلك : رأيتك بعد الصلاة – وسافرت أمس....
  - **الظرف المكاني**: ومن امثلة ذلك ما يلي: لعبنا قرب الشاطئ– وقفت عند الشجرة.....

3- الجملة الاسمية

الجملة الاسمية هي التي تبدأ بالاسم لفظاً وتقديراً[1].

القسم الأول: الجملة النّواة (مبتدأ + خبر):

1- المبتدأ:

هو الاسم الذي نخبر عنه، أو الاسم المتحدث عنه، ويعرّف المبتدأ على أنه اسمٌ مفرد، مرفوع لفظا، أو مبني كما في الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصوفة، وأسماء الاستفهام وأسماء الشّرط...، ويأتي المبتدأ على أحوال هي:

أ- الأصل في المبتدأ أن يأتي معرفة مرفوعاً[2]، مثل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3].

ب- وقد يأتي نكرة إذا دلت على عموم، كقولنا: طالِبُ إحْسان واقفٌ، أو إذا سُبِق بنفي، كقولنا: ما مُجتهِدٌ غائبٌ، أو استفهام مثل: هل كريمٌ يُغيث الملهوف؟، أو دلّت على خصوص مثل: زَهْرةٌ صفراءُ ذَبُلَت. أو تقدم الخبر عليه وكان الخبر ظرفاً مثل: عِنْدي كتابٌ[4].

ت- المبتدأ لا يأتي إلا كلمة واحدة – ليس جملة ولا شبه جملة، ويكون مرفوعاً مثل: المطرُ غزيرٌ، أو في محل رفع مثل: أنتِ جادّةٌ، ويكون مصدرا مؤوّلا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[5].

ويؤخر المبتدأ ويقدم في حالات...

---

[1]- ينظر: محمد عيد، النّحو المُصفّى، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م، ص 203.

[2]- ينظر: عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، ص 95.

[3]- سورة النور، (الآية 35).

[4]- ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 87.

[5]- سورة البقرة، (الآية 184).

- **تقديم المبتدأ على الخبر:**

الأصل في المبتدأ أن يتقدّم، والأصل في الخبر أن يتأخّر، وقد يتقدم أحدهما وجوباً، فيتأخر الآخر وجوباً، ويجب تقديم المبتدأ في خمس حالات هي:

أ- إذا كان كلّ من المبتدأ والخبر معرفة أو نكرة، صالحة لجعلها مبتدأ ولا مبيّن للمبتدأ من الخبر، نحو: زيدٌ أخوكَ، وأفضلُ من زيدٍ، أفضل من عمرو، ولا يجوز تقديم الخبر في هذا ونحوه، لأنّك لو قدمته فقلت: أخوك زيدٌ، وأفضل من عمرو، أفضل من زيدٍ، لكان المقدم مبتدأ[1].

ب- إذا كان الخبر فعلاً رافعاً لضمير المبتدأ مستتراً نحو: زيدٌ قام، فقام وفاعله المقدر خبر عن زيدٍ، ولا يجوز التقديم، فلا يقال: قام زيدٌ، على أن (زيدٌ) مبتدأ مؤخر، والفعل خبر مقدماً، بل يكون (زيد) فاعلاً لقام، فلا يكون من باب المبتدأ والخبر، بل من باب الفعل والفاعل[2].

ت- إذا كان الخبر محصوراً بإنّما، نحو: إنّما زيدٌ قائمٌ، أو بإلاّ، نحو: ما زيدٌ إلاّ قائمٌ[3].

ث- إذا كان خبر المبتدأ قد دخلت عليه لام الابتداء، نحو: لَزَيْدٌ قائمٌ[4].

ج-إذا المبتدأ له صدر الكلام كأسماء الاستفهام، نحو: مَنْ لِي مُنجِداً، فمن مبتدأ ولي خبر ومنجداً حال[5].

2- الخبر:

وهو ما يُتمم مع المبتدأ معنى الجملة، ويكون مرفوعاً لفظاً أو تقديراً.

---

[1]- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص 227.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 234.
[3]- المصدر نفسه، ج1، ص 235.
[4]- نفسه ، ج1، ص 236.
[5]- نفسه، ج1، ص 238.

وينقسم الخبر إلى ثلاثة أنواع[1]:

أ- **مفرد**: وهو ما ليس جملة ولا شبه جملة، نحو: الثريا نجمٌ، زيدٌ مُجتهدٌ[*].

ب- **جملة**: وهي ما تألفت من مسند ومسند إليه، وقد يكون الخبر جملة إسمية أو فعلية فيقول: الشمسُ نورُها ساطعٌ، وزيدٌ يقرأ القرآنَ.

ت- **شبه جملة**: وتنقسم إلى قسمين: شبه جملة ظرفية، كقولنا: الكتابُ عندي، وشبه جملة جار ومجرور، كقولنا: الرّجل في البيت[**].

وينقسم الخبر بالنظر إلى تقديمه وتأخيره إلى ثلاث حالات:

- **يجوز فيه التقديم والتأخير**[2]: فيجوز تقديم المبتدأ على الخبر أو تقديم الخبر على المبتدأ، حسبما يقتضي المعنى، تبعاً لذلك التقديم والتأخير، نحو: الشمسُ ساطعةٌ أو ساطعةٌ الشمسُ.
- **وجوب تقديم الخبر**[3]: يتقدم الخبر على المبتدأ في حالات عدة، هي:
  - إذا كان الخبر من الألفاظ التي لها حقّ الصدارة في الجملة[4]، نحو: متى الخلاصُ؟
  - إذا كان الخبر محصوراً في المبتدأ[5]، نحو: إنّما فارسٌ عنترة.
  - إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر[6]، نحو: للمرأة دورها في المجتمع.

[1]- عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر النّدى، ج1، ص 96.

[*]- نجم: خبر المبتدأ مرفوع، مجتهدٌ: خبر المبتدأ مرفوع.

[**]- جمهور النحاة يقسمون الخبر إلى قسمين: خبر مفرد وآخر جملة، أما شبه الجملة فمتعلق بخبر.

[2]- الزمخشري، المفصّل في صنعة الإعراب، ج1، ص 3.

[3]- ينظر: عبد الغني الدّقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، ج7، دار القلم، دمشق، 1986م، ص 8.

[4]- عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص 327.

[5]- المرجع نفسه، ص 328.

[6]- المرجع نفسه، ج1، ص 327.

- إذا كان الخبر شبه جملة، ولمبتدأ نكرة غير موصوفة بوصفٍ أو إضافة[1]، نحو: قُرْب المدرسة مسجدٌ، وعندكَ كتابٌ، وعلى المكتب قلمٌ.

- **وجوب تأخير الخبر**[2]: يجب تأخير الخبر، إذا كان جملة فعلية ماضوية والمبتدأ (ما) التعجبية، نحو: ما أقدر الله أن يدني المتباعدين[3].

– حذف المبتدأ والخبر جوازاً[4]:

يجوز حذف المبتدأ كأن يقال: كَيْفَ زيدٌ؟ فتقول: صحيح، أي هو صحيح، وكذلك الأمر في الخبر نحو: أحمد، إذا كان جوابا لمن يسأل: من أبوك؟ والسّبب في الحذف في المثالين هو وجود قرينة دالة على المحذوف[5].

– وجوب حذف الخبر:

وقد يحذف الخبر في حالات، هي:

أ- إذا وقع المبتدأ نصاً صريحاً في القسم، نحو قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[6]، التقدير: لعمرُك قسمي، فعمرك مبتدأ، وقسمي خبره، ولا يجوز التصريح به.

به.

ب- أن يكون خبراً لمبتدأ بعد لولا، نحو قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ﴾[7].

---

[1]- ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 299.
[2]- عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص 326.
[3]- الزمخشري، المفصّل، ج1، ص 4.
[4]- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، ص 244.
[5]- المصدر نفسه، ج1، ص 252.
[6]- سورة الحجر، (الآية 72).
[7]- سورة الأنفال، (الآية 68).

ت- أن يقع بعد المبتدأ واو هي نصّ في المعيّة، نحو: كلّ رجلٍ وضعيتُه، فكلّ مبتدأ وقوله: وضعيته، معطوف على كلّ، والخبر محذوف، والتقدير: كلّ رجُل ووضعيتُه مقترنان، فقُدِّر الخبر بعد واو المعية[1].

ث- أن يكون المبتدأ مصدراً وبعده حال سدّت مسدّ الخبر وهي لا تصلح أن تكون خبراً، فيحذف الخبر وجوباً لسدّ الحال مسدّه، وذلك نحو: ضَرْبِي العبدُ مُسيئاً، والعبد معمول به، ومسيئاً: حال سدّت مسد الخبر، والخبر محذوف وجوباً، والتقدير: ضربي العبد إذا كان مسيئاً[2].

القسم الثاني: العناصر التوسيعية في الجملة الاسمية.

1- أدوات النفي.

النفي هو ضدّ الإثبات، ويراد به النقض والإنكار، وهو نفي صريح، ويتمم بأدوات هي: ما، إنْ، لَمْ، لما، لن، لام الجحود، ليْس، لاتَ، لا النافية للجنس، غيْر[3]، وقد سبق دراسة النفي بالتفصيل.

2- العطف.

هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف العطف، وحروفه هي: الواو، الفاء، ثمّ، أو، إما، أمْ، لكن، لا، بل، حتى[4].

---

[1]- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، ص 248.

[2]- المصدر نفسه ، ج1، ص 254.

[3]- الزمخشري، المفصّل، ج1، ص 405.

[4]- يعطف الاسم على الاسم، نحو: جاء زيدٌ وعليٌّ، والفعل على الفعل نحو: زيدٌ حمد الله واستغفره، والجملة على الجملة نحو: زيدٌ أخلاقه حسنة وعلمه غزيرٌ.

3- أداة التنبيه.

وهي ثلاثة أحرف[1]: (هَا وألاَ وأمَا) ومعنى هذه الحروف تنبيه المخاطب إلى ما تحدثه به، فإذا قلتَ: هذا عبد الله منطلقاً، فالتقدير، انظر إليه منطلقاً، أو انتبه عليه منطلقاً، فأنت تنبّه المخاطَب لعبد الله حال انطلاقه، وقال النابغة:

هَا إنَّ عُذْرَةٌ إن لمْ تكُنْ نفعتْ

فإنَّ صاحِبَهَا قَدْ تَاهَ في البَلَدِ.*

فأدخل (ها) التي للتنبيه على إنّ.

وأكثر ما تدخل (ها) على أسماء الإشارة والضمائر، كقولك: هذا، وهذه، ها أنذا، وها أنت ذا، وها هي ذَهْ، وما أشبه ذلك، وإنّما كثر التنبيه في هذه الأسماء المبهمة لتحريك النفس على طلب بعينه، إذ لم تكن علامة تعريف في لفظه، والفرق بين ألاَ وأمَا، أن: أما للحال وألا للاستقبال، فتقول: أما إن زيداً عاقل، تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز.

4- التوابع.

عندما وضع سيبويه كتابه في القرن الثاني الهجري، لم تكن التوابع قد جُمِعت في باب نحوي واحد، وقد عبّر سيبويه عنها بقوله: «هذا باب مُجري النّعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه»[2].

---

[1]- ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط4، 1995م، ص262.

*- البيت من البحر البسيط.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 421.

والمتتبع لمصطلح التوابع، يجد أنّ ابن السّراج (ت 316هـ) هو أوّل من استعمل لفظة تابع بمعناها الاصطلاحي النّحوي، وأنّه أوّل من ابتدع هذا التقسيم في قوله: «هذه توابع الأسماء في إعرابها»[1].

وقد ذكر الزمخشري (ت 538هـ) التوابع بقوله: « هي الأسماء التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها»[2]، ويُلاحظ أن النحاة بدأوا يحترزون بزيادة قيود للتعريف لم يكن حد التابع جامعاً مانعاً.

وقد عرّفه ابن يعيش (ت 643هـ) بقوله: «التوابع هي الثواني المساوية للأول في الإعراب بمشاركتها له في العوامل[3]»، وقال موضحاً في ذلك: « ومعنى قولنا ثوانٍ أي الفروع في استحقاق الإعراب، لأنها لم تكن المقصودة وإنما هي من لزوم الأول كالتتمة له»[4].

وذهبنا في هذا التحليل إلى ما قاله ابن يعيش في شأن التوابع، وتنقسم التوابع إلى أربعة أقسام هي: النعت، والتوكيد والبدل والعطف.

أ- النعت:

وهو عند الزمخشري (ت 538هـ): الاسم الدّال على بعض أحوال الذات[5]، أمّا ابن يعيش فقد عرّفه بقوله: « والصفة لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه»[6]، نحو: قام زيدٌ الفاضل، وجاء زيدٌ الأسد، فكلمة (الفاضل) هي نعت لزيد.

[1]- ابن السّراج، الأصول في النّحو، ج2، ص 17.
[2]- الزمخشري، المفصّل، ص 110.
[3]- ابن يعيش، شرح المفصّل، ج2، ص 218.
[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 218.
[5]- الزمخشري، المفصّل، ص 114.
[6]- ابن يعيش، شرح المفصّل، ج2، ص 232.

ب- التوكيد:

عرّفه ابن الحاجب (ت 646هـ) فقد عرّفه بقوله: « تابع يقرر أمر المتبوع في النّسبة أو الشمول»[1]، نحو: الدّرس الدّرس يا محمد، فكلمة الدرس الثانية هي توكيد للأولى، وهذا من التوابع التي تتبع ما قبلها في الإعراب.

ت- البَدَل:

عرّفه سيبويه (ت 180هـ) بقوله: «هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم، ثم يُبدّل مكان ذلك الاسم اسم آخر، فيعمل فيه كما في الأوّل، وذلك نحو قولك: رأيتُ قوْمَكَ أكثرهم»[2]، وقال المبرّد (ت: 285هـ): « قيل بدل، لأنّ الذي عمل في الذي قبله قد صار يعمل فيه بأن فُرِّغ فيه»[3]، ثم يستطرد بعد هذا التعريف فيقول: « اعلم أنّ البدل في جميع لعربية يحلّ محل المبدّل منه وذلك قولك: مررت برجل زيدٍ، وبأخيه أبي عبد الله، فكأنّك قلت: مَررْتُ بزيدٍ ومررتُ بأبي عبد الله»[4].

ث- عطف النّسق:

قال ابن الحاجب (ت: 646هـ) هو تابع مقصود بالنّسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة[5]، على حين اختصر ابن مالك (ت 672هـ) عطف النسق فقال بأنه: « المجعول تابعاً بأحد حروفه»[6]، نحو: قام زيدٌ وعمرو، وقد سبقت دراسة التوابع في هذه الدراسة في المبحث السابق.

---

[1]-ابن الحاجب النّحوي، شرح الوافية نظم الكافية، تح: موسى العليلي، مطبعة الآداب في النّجف الأشرف، 1980م، ص264.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 150.

[3]- المبرّد، المقتضب، ج4، 210.

[4]- المصدر نفسه، ج4، ص 211.

[5]- ينظر: الكافية في النّحو، متن شرح الرّضيّ على الكافية، ج2، تعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996م، ص 265.

[6]- ابن مالك، شرح التسهيل، ج2، تح: عبد الرحمن السيّد ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1990م، ص 174.

الفصل الثاني:

البنية التركيبية في نص المعلّقة

1- بنية الجملة الاسمية:

1.1 الجملة الاسمية والجملة الفعلية:

تجمع البنية التركيبية بين عدة مستويات لسانية ابتداء بالمستوى الصوتي ثم الصرفي والدلالي، وفي البنية التركيبية يتم تجسيد المعاني المركبة من المعاني الجزئية للأبنية الصرفية داخل قوالب تركيبية تسمى عادة بالجمل، والجملة مفهوم نحوي يراد به ما تركب من عنصرين أو أكثر مع شرط الإفادة المعنوية، وقد نهج النحاة اللغويون العرب لتصنيف الجملة في اللغة العربية ودراستها منهجا تركيبيا يقسم الجملة على ضوئه إلى قسمين اسمية وفعلية، وذلك باعتبار العنصر الذي له صدارة الجملة فعلا كان أو اسما، وعلى مستوى البنية اللسانية المدروسة قام الباحث من تجريد نماذج من الجملة الاسمية والفعلية ضمن قوائم إحصائية كان الحضور الأوفر فيها للجملة الفعلية على الجملة الاسمية في المدونة المدروسة.

أ- الجملة الفعلية:

1. تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ.
2. يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً.
3. يَجُوْرُ بِهَا المِلاَّحُ طَوْراً.
4. يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا.
5. يَنْفُضُ المَرْدَ.
6. تُرَاعِي رَبْرَباً بِخَمِيْلَةٍ.
7. تَنَاوَلُ أطْرَافَ البَرِيْرِ.

8. تَرْتَدِي.

9. تَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى.

10. تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ.

11. سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ.

12. يَكنفانها.

13. تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ.

14. أَتْبَعَتْ وظِيْفاً وظِيْفاً.

15. تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ.

16. تغتدِي.

17. ترتدي.

18. تَرُوحُ.

19. أمضي الهمَّ.

20. لم يتحدّدِ.

21. حلّت رداءها.

22. خلت أنّني عنيتُ.

23. لم أكسلِ.

24. لم أتلبدِ.

25. أجنحت لَهَا عَضُدَاهَا.

26. أُفْرِعَتْ لها كَتِفاها.

27. فَتراها كَمَكْحُولَتَيْ مَذْعُورَةٍ.

28. إن شئت لم ترقلِ.

29. إن شئت أرقلت.

30. إنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا.

31. إذا قال صاحبي.

32. على مثلها أمضي.

33. أفديك منها.

34. أفتدي.

35. لاَ تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي.

36. إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِيْنَا.

37. إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا تجاوب....

38. أفردتُ إفراد البَعير.

39. لا ينكرونني.

40. أيهذا اللائمي.

41. أحضر الوغى.

42. أشهد اللذات.

43. دَعْني أبادرها.

44. تحامتني العشيرة كلُّها.

45. أَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ.

46. متى ما تعل بالماء تزْبَدِ.

47. ستعلم : إن متنا غداً أينا الصدي.

48. أرى الموت يعتام الكرام.

49. علام يلومنّي؟

50. متى أدنُ منهُ ينأى عنِّي.

ب- الجملة الاسمية:

1. لخولة أطلال ببرقة ثهمد.

2. عدولية أو من سفين بن يامنٍ.

3. كأنها سفنجة.

4. لهذا فخذان.

5. كأنّها بابا منيفٍ ممرد.

6. كأن كناسي ضالةٍ يكنفانها.

7. ووجهٍ كأن الشمس ألقت رداءها عليه.

8. كأنّه ظهر برجد.

9. أمونٍ كألواح الإران.

10. كقنطرة الرّومي.

11. صُهابية العثنون.

12. ولولا ثلاث.

13. هُنّ من عيشة الفتى.

14. الدّجن معجب.

15. كريمٌ يروي نفسه.

16. عليهما صفائح صمٌّ.

17. والدّهر ينفد.

18. لعمرك.

19. إنّ الموت ما أرخى الفتى.

20. ظلم ذوي القربى أشد مضاضةً.

21. وقينة تروح علينا.

22. إنّما نفعها له.

23. رحيب قطاب الجيب منها.

24. وما زال تشرابي الخمور.

25. أنا الرّجل الضّرب.

26. ليس همّه كهمّي.

27. أنا أهلُه.

28. كنتُ قيس بن خالد.

وبالرجوع إلى جو التجريد البنيوي للجملتين من خلال نص المعلقة أن شكل الحضور الجملي لم يكن واحدا ولا مكررا، وإنما تتراوح الجملتان على النص تناوبا وفق ما تقتضيه السياقات الإبلاغية للنص، لكن الملمح العام عن حضور الجملتين بفارق بين يتضح من خلال الجدولين السابقين يفسر في اعتقادي تفاعلا متوازيا بين عنصري الحركة كمفهوم ملتزم عن الجملة الفعلية والسكون عن الجملة الاسمية.

1. 2 الجمل الأصلية والجمل المنسوخة في الجملة الفعلية:

والنّمط النحوي هو «الطّريقة النّحوية الواجب إتباعها، والنسخ على منوالها، وهو أساس الوحدة اللغوية التي تفسّرها ظاهرة التركيب اللغوي»[1]، ويميّز في التحليل اللغوي لمظاهر التركيب بين نوعين رئيسيين من الأنماط هما: النمط الأصلي والنمط الفرعي، ويقصد بالنمط الأصلي الشكل الأوّل في التركيب القاعدي لعناصر الجملة، على نسق من العلاقات النحويّة، يكون كل عنصر فيها

[1] – صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها عند عبد القاهر الجرجاني، ص 106.

محفوظ الرتبة على وجه التسلسل المنطقي الذي يفضي بتقدّم المفعول على فعله وفاعله لأغراض إبلاغية ترجع من حيث الأصل إلى معنى واحد هو العناية بالعنصر المقدّم، حيث يُنظر إلى هذا النمط على أساس كونه بنية سطحية لمظاهر إمكانيات التشكّل اللغوي في البنية العميقة التي هي النمط الأصلي، وبعد العملية التشريحية على مستوى الجملة الفعلية في نصّ المعلّقة، لاحظنا أن الأنماط الأصلية فيها قد ارتفعت إلى حدها الأقصى، لتبلغ مائة وأربعة وعشرين، لتتأخر بعدها الأنماط الفرعية إلى نسبة تقدر باثنين و ثلاثين جملة وهذه نماذج لكلٍّ منها:

أ) **الجمل الأصلية:**

1. تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ.
2. يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ.
3. يَجُوْرُ بِهَا المِلاَّحُ.
4. حلّت رداءها.
5. أمضي الهمَّ.
6. ترُوحُ، تغتدِي.
7. تُرْدي.
8. ترتعي حدائق.
9. تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ المهِيبِ.
10. أجذمت.
11. قَدْ خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ.

12. تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ.

13. فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي.

14. تروحُ علينا.

15. انبرت لنا.

16. تعرِف العتق فيها.

17. إن شئت لم ترقل.

18. أفردتُ إفراد البعير الأجربِ.

19. أشهد اللذات.

20. لا تستطيع دفع منيّتي.

21. لم أحفل.

22. ملكت يدي.

23. أرى قبر نحّام.

24. ما أخطأ الفتى.

25. يَلومُ.

26. ما أدْرِي علام يلومني.

27. أيأسني من كلّ خيرٍ طلبتُهُ.

28. تعرِفونه.

29. قُمتُ منتصِراً.

30. لم أحفل حمولة معبد.

31. قد أثارت مخافتي.

32. ترى.

33. قد أتيتُ بمؤبد.

34. وقال.

35. ترَوْنَ.

36. وقال ذَروهُ.

37. حبست النّفس.

38. لا يغني غنائي.

39. متى يكُ أمرٌ للنّكيثةِ أشهد.

40. وإن أدع للجَلى أكنْ من حُماتها.

41. إن يأتك الأعداء بالجهد أجهد.

42. إن متُّ فانعني.

43. يمتللن حوارها.

44. يسعى علينا بالسّيف.

45. ضرّني عداوة ذي الأصحاب.

ب) الجمل المنسوخة:

1. يَشُقُّ **حَبَابَ** الماءِ حَيْزُومُهَا بِهَا.

2. سَقَتْهُ **إيَاةُ** الشَّمْسِ.

3. تَتَّقي **بِذِي خُصَلٍ** رَوْعَاتِ أَكْلَف.

4. أجنحت **لها** عضُداها.

5. أفرَعَتْ **لها** كتِفاها.

6. سامى **واسط الكور** رأسُها.

7. على **مثلِها** أمضي.

8. لاَمَنِي **في الحيِّ** قرطُ بن معبد.

9. كفى **العودَ** منه البِدْءُ.

10. شقَى **عليَّ** الحبيبُ.

11. نَفَى **عَنِّي** الرِّجَالَ جَرَاءَتِي.

12. يخشى الفتى **عنده** الرّدى.

13. متى تعترك **فيه** الفرائص يرعد.

14. ستبدي **لك** الأيام ما كنت جاهلاً.

15. يأتيك **بالأخبار** من لم تزوّدِ.

16. يأتيك **بالأخبار** من لمْ تبع **له** بتاتاً.

17. لم تضرب **له** وقت موْعِدِ.

18. إن يقذفوا **بالقذع** عرضك اسقهم.

1. 3 الجمل الأصلية والجمل المنسوخة في الجملة الاسمية

أ- الجمل الأصلية:

1. كَأنَّ حُدُوجَ المالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلاَيَا سَفِينٍ.

2. ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقتْ رِدَاءهَا عَلَيْهِ.

3. كأنّه ظهر برجد.

4. كأنّ جناحي مضرحي تكنّفا.

5. كأنّهما بابا منيف.

6. وطَيٍّ مَحَالٍ كَالحَنِيِّ خُلُوفُهُ.

7. كأن كناسي ضالةٍ يكنفانها.

8. كأنّها بنائِقُ غُرٌّ.

9. كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ مَوارِدُ.

10. كأنّها بنائِقُ غُرٍّ.

11. وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الفَلاةِ.

12. وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشّامِي.

13. ومِشْفَرٌ كَسِبْتِ اليَمَانِي.

14. عَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا.

15. طَحُورَانِ عُوَّارَ القَذَى فَتَرَاهُمَا.

16. وأَرْوَعُ نَبَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ.

17. قينة تروح علينا.

18. وَظلم ذوي القربى أشد مضاضةً.

19. الدجن معجبٌ.

20. لَكَا لطوْلِ المرْخى.

21. ظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا.

22. إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتى.

23. كأنّا وضعْناه.

24. وثنياه باليدِ.

25. إنّي نشدتُ.

26. إنّما نفعها له.أنّا الرّجل.

.... الخ.

ب- الجمل المنسوخة:

1. لخولة أطلال ببرقة تهمد.

2. ... عدولية أو من سفين بن يامنٍ.

3. ... أمونٍ كألواح الإران.

4. ... جَمَالِيَّةٌ وَجْنَاءَ.

5. لها فخذان.

6. ... كقنطرة الرّومي.

7. ... صُهابية العثنون.

8. ... موجدة القرى.

9. ... مُوارة اليد.

10. ... مؤللتان.

11. ... تقصيرُ يومِ الدّجْنِ.

12. لعمرك...

13. رحيب قطاب الجيب.

14. ما أمري عليّ بغمّة.

... الخ.

من خلال هذه النماذج من الأنماط الأصلية والأنماط الفرعية في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، لاحظنا أنها عرفت تراجعا كبيرا في نسبة الأنماط الفرعية في الجملتين، ولا شك أنّ شكل البحث في هذه الدلالات سيكون أسلوبياً ينطلق أولا من الدلالة العامة لكل نوع من الاستعمال النمطي على نوع التعبير المقصود من كل استعمال.

وقد سبقت الإشارة إلى أنّ تحديد المعاني المتعلّقة بالأغراض الإبلاغية على مستوى النمط الأصلي، هي معان محصّلة للناظر على وجه السهولة من غير تكلّف في الافتراض والتأويل، ولهذا لا يكثر الخلاف في تحديد دلالات التراكيب الأصلية، ومن هذا المنطق، يمكن الحكم على تلك الأغراض الإبلاغية بأنّها أغراض من الدرجة الأولى من الشكل البسيط، وأما تحديد المعاني المتعلقة بالأغراض الإبلاغية على مستوى النمط الفرعي، فهي معانٍ لا تحصل إلا بالنظر في الوجوه المختلفة للاستعمال اللغوي الواحد، بحيث تكثر فيها التخريجات والتأويلات، ولا تكاد تستقرّ على معنى واحد، والمقارنة بين هذه وتلك هي مقارنة بين بسيط ومعقّد.

وعندما نلامس النص المدروس بهذه المقارنة، فإنّنا نحكم على الأساليب النصيّة بأنها أساليب بسيطة غير معقّدة، والأغراض المتعلّقة بها هي أغراض بسيطة تابعة لها في الحكم، تعكس بوضوح البساطة العقلية من جهة، وبساطة التجربة التأملية في العقل المبدع لصاحب النص، وأصل تلك البساطة العقلية فيما يتراءى، هو بساطة الحياة الاجتماعية التي تميّزت بغياب عنصر التنوّع الجغرافي في البيئة العربية الصحراوية، وانحصار حدود العلاقات الاجتماعية فيها على الحدود القبلية للمجتمع، ما أدى إلى خلق نوع من الحياة النمطية لديهم، لا تعرف التحول إلا في جهة الترحال الذي يرسّخ

مظاهر الحياة الأولى، بالإضافة إلى النزعة الحكمية التي تسيطر على شعر طرفة بن العبد، والتي يسعى فيها إلى التقرير عن طريق التبسيط في المعاني.

1. 4 جمل اللزوم والتعدية في الجملة الفعلية

وعند تفحصها للنص، اتضح لنا تراجعاً كبيراً في نسبة جمل اللزوم، فاسحة المجال أمام اكتساح جمل التعدية لبنية الجملة الفعلية في نصّ المعلّقة. فقد بلغت نسبة جملة التعدية مائة واثنين وعشرين موزّعة بين أنواع التعدية المذكورة سابقاً، بينما تراجعت نسبة جملة اللزوم إلى ثمانية وعشرين جملة ونماذج من النص المدروس تبيّن كلا منهما:

أ) جمل التعدية في الجملة الفعلية:

1. إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً.
2. خِلْتُ أنّني عُنيتُ.
3. **ولم تكدِم عليه**.
4. حلّت رداءها.
5. أمضي الهمَّ.
6. **تَبْرِي لأزْعَرَ**.
7. أَتْبَعَتْ وظِيْفاً وظِيْفاً.
8. **انْبَرتْ علينا**.
9. **ترُوح علينا**.

10. ترتَعِي حدائِق.

11. تحامتني العشيرة كلُّها.

12. إذا رجّعت في صوْتِها.

13. رأيتُ بنِي غَبْراء.

14. أحضَر الوَغى.

15. ملكت يدي...

16. لم أحْفَل...

17. يروي نفسَهُ.

18. أرى قبر نحّام.

19. ما أدْرِي علام يلومني.

20. لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ.

21. متى أدنُ منهُ ينأى عنِّي ويَبْعُدِ.

22. أيأسَنِي منْ كُلِّ خيْرٍ طلبتُهُ.

23. **<u>بَلَّتْ بِقَائِمَهِ يَدِي</u>.**

24. أجنحت لَهَا عَضُدَاهَا.

25. **<u>أُفْرِعَتْ لها كَتِفاها</u>.**

26. مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ.

27. إن متُّ فانْعِني.

28. لم تضربْ له وَقْتَ موْعِدِ.

29. **على مثلِها أمضي.**

30. إذا نحنُ قُلنا اسمعينا.

31. **يأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ.**

32. **إن يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بِكأْسِ المَوْتِ.**

ب) جمل اللزوم في الجملة الفعلية:

1. تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ.

2. يَجُوْرُ بِهَا الملاَّحُ.

3. لم تَتخدَّدِ.

4. تَرُوحُ.

5. تغتَدِي.

6. أُكْملَ النَّحْضُ فِيهِمَا.

7. تلاقى.

8. تريع إلى صوت المهيبِ.

9. لم يجرّد.
10. تبين.
11. لم أكسل.
12. قَدْ خَبَّ آلُ الأمْعَزِ.
13. لا ينثني عن ضريبة.
14. نادى المضاف.
15. يَبْعُدِ.
16. أجذَمَتْ.

واستنادا إلى هذه المعطيات، لا تكون غلبة جمل التعدية على نسبة الجملة الفعلية في النص مؤشِراً على بنية نموذجية في أسلوب النص، وفي ذلك تأكيد يفضي بغلبة الفعل المتعدي في بنية الجملة الفعلية، وهناك نوعين من التعدية هما: التعدية الصّريحة، والتعدية الضّمنية، ونسبة التعدية الصريحة هي نسبة جملة التعدية في القسم التركيبي الأول للجملة الفعلية، أمّا التعدية الضمنية فهي نسبة جمل اللزوم في القسم نفسه، وعلى أساس نظرة أسلوبية، نجد أن معنى التعدية له علاقة بالفاعل، ومعنى المفعولية ظاهر في التعدية الصريحة والقارئ مقيّد به لا يتجاوزه، أما على مستوى التعدية الضمنية، فمعنى المفعولية متروك لحرية القارئ وهو بمثابة الفراغ النصي، يمكن للقارئ أن يتصور للفاعل ما شاء من علاقات التعدية زماناً، مكاناً أو نوعاً، وما شابه ذلك. ولا شبهة في أنّ الإضمار في الكلام أبلغ بكثير من الإظهار، وعليه فإنّ شكل المعنى الوظيفي الواجب الاشتغال عليه في هذا الصدد هو المقابلة بين فاعل محدود القوة مفهوم من شكل التعدية الصريحة، وفاعل مطلق القوة مفهوم من شكل التعدية الضمنية، وبناءً عليه، ينكشف جديد الحضور المكثف للفاعل (محدود القوة) على مستوى الجملة الفعلية في النصّ المدروس، والحضور الضئيل فيها للفاعل مطلق القوة، وعندما يتنزّل هذا المعنى

دلالياً على النص من منطلق أسلوبي، فإنّه يؤشّر فقط على مدى التوافق والانسجام بين مبنى النص ومعناه آخذاً بعين الاعتبار شكل توزيع نوعي الفاعل على لوحات النّص، فأكبر نسبة لتوزيع الفاعل محدود القوة كانت على مستوى اللوحة الأولى والثانية، ومن حجم اللوحة الثانية المخصصة لوصف الناقة فهمنا الغرض من تقييد الفاعل في عملية وصف الناقة، وهو إرادة إحضارها في الذهن على سبيل الحقيقة المجسدة.

1. 5 التركيب الوصفي والإضافي:

تنقسم التراكيب في اللغة العربية إلى قسمين: التراكيب الإسنادية والتراكيب غير الإسنادية، أما الأولى فقد تم توضيحها فيما سبق، وأما غير الإسنادية منها ما لم تتوفر فيه الشروط الإسنادية وأفاد معنىً جزئيّاً ينضاف إلى المعنى الأصلي في علاقة الإسناد الجوهرية التي يسميها النحاة بالنسبة الكليّة ليفرّقوا بينها وبين ما ينضاف إليها من معان تحصُل من التكمّلات ويُسمونها «النسبة الجزئية الفرعية أو "القيد"[1]، و تشمل النسبة التقييدية بهذا المعنى كل ما هو مبني على جوهر الإسناد من معاني المفعولية والحال والإطلاق والغاية والتوكيد والوصف والإضافة، وقد تمّ الحديث عن هذه العلاقات عدا الإضافة والوصف في العنصر السابق من بحث العلاقات الإسنادية، واعتبارها علاقات إسنادية غير رئيسية وذلك من منظور وظيفي، يأخذ بعين الاعتبار علاقاتها بالعناصر الجوهرية في التركيب، ومنها المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية والفاعل في الجملة الفعلية.

أما التركيب غير الإسنادي فعبارة عن إضافة اسم لاسم آخر لا يصح معهما إفادة مسند ومسند إليه تركيبيّاً، ولا خبراً ومخبِراً عنه من الناحية الدلالية ولكن معنى جزئي في النسبة التقييدية، ويشمل جملة من التراكيب كالتركيب الوصفي والإضافي والعددي والمزجي والمقصود من هذه بالتحليل والدراسة من خلال نص المعلقة هو التركيب الوصفي والتركيب الإضافي.

[1] – عباس حسن، النّحو الوافي، ج3، هامش ص 1.

والوصفي نسبة إلى الوصف، كما أن الإضافي نسبة إلى الإضافة، والوصف من الصفة يعني ما يفيده الموصوف من ملابسات خلْقية وخُلُقية حِسيّة أو معنوية يكون بها معروفاً، فلا يقتصر على الصفة بمعناها النّحوي ولكن يشمل كلاًّ من النّعت (الصّفة) والبَدل وعطف البيان والتوكيد، لأنّ كلاً منها يتحقّق فيه دخول اسمين في التركيب لغير الإسناد وإفادة نوع من الوصف يتعرّف به الموصوف في النسبة التقييدية.

أما الإضافة فمعنى تركيبي ملحوظ من شكل التداخل في الاسمين الذين يحققان بفعل تركيبهما الخاص معنىً جزئيّاً خاصّاً داخل ما يُسمى بالنسبة التقييدية أو النسبة الفرعية، أما في اللغة فهي الإمالة، ومنها ضافت الشمس نحو الغروب مالت... وفي الاصطلاح نسبة تقييدية بين اسمين توجَّب لثانيهما الجرّ، فخرج بالتقييدية الإسنادية نحو: زيدٌ قائمٌ، وقامَ زيدٌ، وبالأخير (الجرّ) والتركيب الوصفي نحو: زيدٌ الخيّاط[1]، ومثاله آثارُ المدينةِ، فيسمى الجزء الأول من التركيب مضافاً والثاني مضافاً إليه « ويطلق عليهما المتضايفان»[2]، وتنقسم الإضافة إلى قسمين « محضة وتسمى معنوية أو حقيقية وغير محضة وتسمى لفظية أو مجازية»[3]، وهم «يريدون بالمحضة التي بين طرفيْها قوة ارتباط واتصال»[4] بفعل الملابسة الحقيقية بين المضاف والمضاف إليه في مثل قولنا: أنْفُ الناقةِ، وأمّا لفظية فما كان الارتباط بين طرفيها ضعيفاً مآله إلى التلاشي لتضايفهما على نيّة الانفصال لا الاتصال في مثل قولنا: حاتم حسَنُ الوجهِ... فالإضافة في (حَسَنُ الوجهِ) ضعيفٌ اتّصالها، ظاهرٌ انفصالها من تقدير ضمير مستتر للوصف، يفصل بين المضاف والمضاف إليه، وهذا النوع من الإضافة يكون غالباً في المشتقات الوصفية وقد تلتبس به بعض المصادر في الإضافة.

[1] - السيوطي، همع الهوامع في شرح لمع اللوامع، ج2، ص 411.

[2] - عباس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 2.

[3] - المرجع نفسه، ص 3.

[4] - المرجع نفسه، هامش ص 3.

وهذه المقدمة النظرية تُعدّ توضيحاً للاعتبارات التي يعتمد عليها بحث التركيب الإضافي والتركيب الوصفي في رصد نماذج لكل منها في النّص المدروس، فعلى مستوى التركيب الوصفي اعتبرت كل اسم ينضاف إليه اسم آخر في النسبة التقييدية ويسمى تركيباً وصفياً، سواءً أكان نعتاً، أو عطف بيان، أو بدَلاً أو توكيداً. وأما التركيب الإضافي، فقد اقتصرتُ فيه على الإضافة المحضة، وألغيتُ غير المحضة من التحليل كالمصادر المضافة والمشتق المضاف، وذلك لندرتهما وعدم تحقّق القصد فيهما من الدراسة، وظل الاهتمام منصبّاً على الإضافة المحضة بنوعيها الحقيقية والمعنوية التي تحقّق الغرض من الدراسة.

ومن خلال عملية الإحصاء لهذه التراكيب بأنواعها المختلفة، اتّضح لنا أنّ التركيب الإضافي ظلّ يسيطر على التراكيب غير الإسنادية في نصّ المعلّقة مقارنة مع نسبة التركيب الوصفي، فقد بلغ عدد التراكيب الإضافية خمسة وثمانين تركيباً بينما تراجعت نسبة التراكيب الوصفية إلى اثنين وأربعين تركيباً وهذه نماذج لكلّ منها:

أ‌- مبنى التركيب الوصفي:

1. الحُسام المهنّد.
2. جماليّة وجناء.
3. أكلف ملبّد.
4. سقيف مُسند.
5. جنوح دِفاق.
6. أتلعٌ نهّاض.
7. قميصٌ مقدّد.

8. عِتاقاً ناجياتٍ.

9. عوْجاءَ مِرقالٍ.

10. البيت الرّفيع.

11. الطوْل المرخى.

12. نحّام بخيل.

13. البعير المعبّد.

14. صفيحٌ مُصمّد.

15. السّديف المسَرهد.

16. الرّجُل الضّرب.

17. مال كثير.

18. غضب رقيق.

19. أصفر مضبوح.

20. بَنون كِرام.

21. الحيّ الجميع.

22. آل الأمعز المتوقّد.

23. أحدٌ مُلملم.

24. دأي مُنضّد.

25. شارِبٌ شديد.

26. صَفائح صمٌّ.

27. الفاحشُ المتشدّد.

28. سفنجة تبري.

...الخ.

ب- مبنى التركيب الإضافي

1. بَاقي الوَشْم.

2. ظاهِر اليدِ.

3. أطراف البربر.

4. حيزومها.

5. إياة الشمس.

6. حُباب الماء.

7. ألواحُ الإران.

8. ظهرُ قردَدِ.

9. كتِفاها.

10. فتل شزَر.

11. عَلُوب النّسعِ.

12. سَمْع التوجّسِ.

13. مرداة صخرٍ.

14. صوتُ المهيبِ.

15. قنطرة الرّوميِّ.

16. وليدة مَجْلِس.

17. حلقة القومِ.

18. نجاء الخفيدَدِ.

19. رأس الحيّة.

20. نداماي.

21. ذروة البيت.

22. عيشة الفتى.

23. سيّد الغضا.

24. سَاقها.

25. عقيلة شيخ.

26. رأي الحيّة.

27. قبر غوِيّ.

28. حمولَة معبدِ.

29. ذوي القُربى.

30. ابن معبد.

31. همّه.

32. همّي.

33. مشهدي.

34. ذاتُ خفيفٍ.

35. حِوارها.

... الخ.

ومن خلال هذه النماذج ووضعها المختلف لنوعي التركيب، يمكننا الوقوف على مجموعة من الحقائق الفنية والنفسية، التي لها صلة وثيقة بواقع النص المدروس من حيث اختيار الأبنية فيه وتوظيفها بحسب الأغراض الإبلاغية المتوفرة لمضمون الأبنية الفكرية التي تحدّد الأطر العامة لنصّ المعلّقة، فالتركيب الوصفي يفيد وظيفة (بيانية) بالمعنى الشامل لوظيفة التركيب الوصفي، وهي وظيفة لا يخلو منها كلام، ولا تجد لغة تخلو من بنية تؤدي هذه الوظيفة، وقد تراجعت نسبة التركيب الوصفي أمام نسبة التركيب الإضافي في بنية النص المدروس ولعلّ ذلك يعود لعدة أسباب منها:

ذلك أن نسبة كبيرة من التراكيب الوصفية تم إحصاءها ضمن التراكيب الإسنادية الاسمية، وقد كانت نسبة الجمل الاسمية فيما تقدم أضعف من نسبة الجمل الفعلية، بينما أخذت أغلب

التراكيب الإضافية من الجملة الفعلية التي كانت أكثر حظاً من الاسمية في البنية الجملية لبنية نصّ المعلّقة.

وكذلك من الأسباب في ذلك، دخول معنى التركيب الوصفي في مفهوم البيان الذي يستوعب كثيراً من العلاقات النحوية، كالتي تم تحليلها سابقاً، ومن ثم فهو جزءٌ من منظومة شمولية، يمكن القول بأنها قد حقّقت نوعاً من التوازن على مستوى حضور معاني هذه المنظومة، وعوّضت غياب كثير من المعاني التي أشير إليها في العنصر السابق، كالغاية والتفسيرية والإخراج، وغيرها مما كان حضوره ضعيفاً أو منعدماً.

ومن المؤكّد أن التركيب الوصفي بمعناه البياني الشامل، وبشكل توزيعه في البنية التركيبية لنص المعلّقة، قد أسهم بشكل كبير في انسجام المضامين الإبلاغية مع الظواهر اللغوية، وما يمكن ملاحظته على التركيب الوصفي بهذا الاعتبار هو اقتصار معناه البياني على الأشياء المحسوسة، إذ كثيراً ما كانت معانيه تُستخلَص من عناصر جامدة مستخلصة من البيئة الصحراوية المنطوية على تجميع اسمين، وكانت الأسماء التي شكلت البنية الاسمية للنص، أسماء جامدة في أغلبها وفقاً لمعطيات تحليل المبنى الاسمي في البنية الصرفية ، فقد صار دخولها في التركيب بمثابة تقرير للنزعة المادية المعبّرة عن حسيّة التجربة الفنية للشاعر الصحراوي بصفة عامة ولصاحب المعلّقة على وجه خاص.

أما في مستوى التركيب الإضافي، فالظاهر أن قوة الحضور المشهودة له على حساب التركيب الوصفي تعود إلى الاعتبارات المذكورة مع التركيب الوصفي، ولكن انقسام معنى الإضافة باعتبار المضاف إلى جملة من المعاني الرئيسية، يدفعنا إلى البحث في أسباب تعدّد هذه المعاني على مبنى الإضافة الواحد، وما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية هي جزءٌ من واقع ما أسميناه سابقاً بالشخصية للنّص.

إنّ المضاف مع المضاف إليه يكسب منه تعريفاً أو تخصيصاً، وعنصر التعريف في مبحث الدلالة الصرفية كان قد أقصِي من حيّز التحليل أثناء الحديث عن دلالات الاسم المعرّف، وكان الاقتصار على المعرّف بـ (أل)، أما معنى التخصيص المراد من التركيب الإضافي فمعناه أن يختصّ المضاف بالمضاف إليه بنوع من أنواع الاختصاص المعبّر عنه بحرف من حروف الجرّ يُفهَم ذلك النوع من الاختصاص لوجوب «اشتمال الإضافة المحضة على حرف جرّ مناسب، اشتمالاً، أساسه التحليل والافتراض، وأن يكون أحد ثلاثة أحرف أصلية هي: من، في واللام»[1]، ولهذا « جرى الاصطلاح النحوي عند اختيار حرف منها أن يُذكر اسم ذلك الحرف فيقال: الإضافة على معنى مِنْ، والإضافة على معنى في، والإضافة على معنى اللام»[2]، وهم يريدون بذلك اكتساب الاختصاص معنى الحرف الذي تشتمل عليه الإضافة اختياراً في أغلب الأحوال، فالإضافة على معنى "منْ" تفيد أن المضاف بعض المضاف إليه، والإضافة على معنى "في" تفيد أن المضاف مظروف للمضاف إليه، والإضافة على معنى اللام تمليك المضاف للمضاف إليه، وتخصيصه به، والحقيقة أن هذه المعاني مستفادة من تحليل المباني الصرفية للحروف، لأن التبعيض معنى من معاني حرف "مِنْ" والظرفية معنى أصلي للحرف "في" وكذلك التمليك والاختصاص في حرف اللام، وإنما انحصر الاختيار في هذه الثلاثة دون غيرها لأنّها أقدر على تحقيق الغاية المعنوية»[3]، وعندما يقال في وجه من وجوه التحليل إنّ المضاف يكتسب من المضاف تعريفاً وتخصيصاً، فمعناه التخصيص بالجزئية (البعضية) أو الظّرفية أو الملكية « لأنّ الغالب في **اللام** أن تكون لبيان الملك والاختصاص»[4].

ولعلّ من الأسباب النفسية لاختيار معنى التمليك في التركيب الإضافي كثافة النزعة المادية الراغبة في التملّك، والمطالبة بحق الملكية الضائعة فيما استأثر به الشاعر من إرث والده غضباً، وقد

[1] - عباس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 16.
[2] - المرجع نفسه، ج3، ص 18.
[3] - المرجع نفسه، ج3، ص 17.
[4] - نفسه، ج3، ص 20.

يتقوى هذا الاعتقاد مع تحليل طبيعة المضاف والمضاف إليه فهو في أغلب صور الإضافة ياء المتكلم أو هاء المذكر الغائب التي يعني بها نفسه في معرض الالتفات، أو هاء المؤنث التي تعود على الناقة التي يضيفها لنفسه، وجميع ما خرج عن ذلك يعود إلى هذا الاعتبار بتدقيق النظر، الأمر الذي يهيئ للحكم بأن ضمير الأنا هو المعنى المحوري الذي تدور حوله كل معاني النص المدروس.

وعندما يعترض الشاعر على السلوك العائلي والقَبَلي فإنه يحس بنوع من الانفصال غير المرغوب فيه، ولهذا فقد سجلنا نوعاً من التمرّد العاقل في ثورة "طرفة" حين يلتمس الإصلاح لوضعه المتأزم في القبيلة بتلك الأساليب الإفصاحية المتمثّلة في الحيرة والعتاب، خلافاً لما يشيع لدى الصعاليك من معاني ثورية وأساليب تعبيرية، وفي الوقت الذي يحسّ فيه الشاعر بهذا الانفصال غير المرغوب فيه وبفشله في تحقيق التواصل المرغوب مع أفراد المجتمع، تتجلى آثار تجدّد هذه الرغبة في الصورة اللفظية بطريقة لا واعية في ذلك النوع من التركيب الإضافي الذي يقوم على قوة الاتصال بين أفراد المضاف والمضاف إليه.

ويتجلّى مما سبق أن بنية الإضافة في معلّقة طرفة هي صورة غير واعية لإثارة رغبة الاتصال المهزومة، وذلك لأسباب اجتماعية لا يفتأ النص يبوح بها في أكثر من موقف، ولهذا تشيع الإضافة المحضة في نص المعلّقة شيوعاً لا مثيل له، من حيث شكلها ومعناها، والذي أختم به في هذا التحليل بصرف النظر عن هذا التعقيد اللفظي يفيد بأنه، لما كانت الرغبة في الاتصال بالمجتمع هي عقدة الشّاعر في البنية السلوكية، كانت الإضافة الاتصالية هي عقدة النص في البنية اللفظية.

الباب الرابع: البنية المعجمية والدلالية

- الفصل الأول: البحث الدلالي والمعجم الشعري
- الفصل الثاني: دراسة دلالية تطبيقية في نص المعلّقة.

الفصل الأوّل: البحث الدلالي والمعجم الشعري

1) مفهوم علم الدلالة واهتمام اللغويين به.

2) التطور الدّلالي.

3) المعجم الشعري.

4) نشأة نظرية الحقوق الدلالية.

5) مفهوم نظرية الحقول الدلالية.

1- مفهوم علم الدلالة واهتمام اللغويين به

إنّ الصورة المعجمية لأيّ لفظ في اللغة العربية تمثّل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، بالنّظر إلى دلالته الأولى «فالحالة المعجمية للألفاظ تمثّل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي»[1].

1-1 تعريف علم الدلالة:

لغة: علم الدّلالة في عرف اللغة مادة (د-ل-ل) جاء في معجم متن اللغة «دلّه دلالة والفتح أعلى، ودلولة على الطريق وغيره، ودلولة بهذا الطريق عرفه فهو دال ودليل...»[2].

والدّلالة اسم مصدر من دلَّ والدّليل المرشد والكاشف....»[3].

- وفي لسان العرب لابن منظور:

قال أبو منصور، سمعت أعرابياً يقول لآخر أما تندلّ على الطّريق والدّليل ما يستدل به الدّال، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلالة والفتح أعلاه.

وأنشد أبو عبيد: إنّي امرؤ بالطريق ذو دلالات[4].

وتأتي الدلالة بعدّة معاني أهمها:

- الانبساط والثقة والإفراط في المحبّة: يقال أدلّ عليه وتدلّ انبسط أي ارتاح.[5]

---

[1] - ينظر، فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي النّظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1985، ص 41.

[2] - ينظر، نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص 23.

[3] - المرجع نفسه، ص 23.

[4] - ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ص 291.

[5] - المصدر نفسه، ص 247.

- ودلّ الرّجل إدلالا إذا وثق بمحبّته فأفرط عليه[1].

- دلال المرأة على زوجها وإظهار الجرأة عليه: يقال دلّ المرأة ودلالها على زوجها وذلك أن تريه جرأة عليه في تغنّج وتشكل.

- المعرفة دُلِّلت بهذا الطريق: عرفته[2].

- حُسن الحديث والهيئة: يقال دل المرأة حسن هيأتها، وقيل حُسن حديثها[3].

- الجمع بين الشيئين: الدلاّل هو الذي يجمع بين النبعين[4].

- **اصطلاحه في القديم**: فقد عرّفوه بأنّه العلم الذي يبحث في معاني الألفاظ وأنواعها، وأصولها، والصّلة بين اللفظ والمعنى، والتطور الدلالي ومظاهره، وأسبابه والقوانين التي يخضع لها[5].

اصطلاحاً:

يعتبر علم الدّلالة من احدث فروع اللّسانيات الحديثة الذي يهتم بدراسة المعنى[6]، دراسة وصفية موضوعية، فقد كان أوّل استعمال له على يد اللساني الفرنسي "ميشال بريال" ‘‘Michel Breal’’ في مقاله الذي صدر عام 1983م ثم فصّل القول فيه في كتابه الموسوم "محاولة في علم الدّلالة" ‘‘Essai de sémantique’’ وذلك سنة 1987م[7]، وهذا يعني أن علم الدلالة يختلف

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ص 247.

[2] – ينظر، فايز الداية، علم الدلالة العربية النظرية والتطبيق، ص24.

[3] – المرجع نفسه، ص 41.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، م11، ص279.

[5] – المصدر نفسه، ص 294.

[6] – ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار الكتب، ط5، 1998م، ص 15.

[7] – ينظر، أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 239.

عن فروع اللسانيات الأخرى بدراسته للأدلة اللغوية، أي بعبارة أخرى يدرس العلاقة التي تربط الدّال بالمدلول، وقد كان يعني هذا المصطلح عند –بريال– بالبحث في دلالات ألفاظ اللغات القديمة والتي تنتمي لإي فصيلة اللغات الهندوأوروبية، كاليونانية واللاتينية...[1]

وقد توصل "بريال" إلى عدة نتائج تحدّد طبيعة هذا المصطلح، هي أنه قام بتحديد المعاني عبر الزمن، كما أنّه استخرج القوانين والقواعد المتحكّمة في تغيير المعاني وتحوّلها وتطوّرها[2]، فمعنى مصطلح ''sémantique'' عنده اقتصر في هذه الفترة على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى وحتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معيّن، تفرّع على عدة فروع في لغة واحدة أو أكثر...[3]، وهذا يعني أنه لم يستخدمه للإشارة إلى المعنى وإنما استخدمه للإشارة إلى تطور المعنى تاريخياً[4].

ومن هذا المنطلق، فقد تعددت تعريفات علم الدّلالة بين الباحثين فيه والدارسين له ومما يؤكد هذا إن الأستاذين (أوجدن) و(رتشارد) قدما ما لا يقل عن ستّة عشر تعريفاً في الحسبان.

فعلم الدّلالة يعدّ فرعاً من فروع العلوم اللغوية شأنه في ذلك شأن علم الأصوات وعلم التراكيب، وإذا كان منهجه قد اقتصر على تحليل المفردات ومعالجة ما يتعلق بها من مسائل، فإن مجاله ظل يهتم بالمعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب[5].

وعلى الرّغم من أنّ الدراسات الدلالية تعدّ جذوراً في التراث الإنساني ومتعلقة بقضية المعنى التي تعتبر جوهرية، وتناولها العلماء على اختلاف اختصاصاتهم وتوجهاتهم عبر أزمنة متعاقبة، وارتباط

---

[1] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1963م، ص 7.

[2] – ينظر، فريد عوض حيدر، علم الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م، ص 13.

[3] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 07.

[4] – ينظر، صلاح الدين صالح حسين، الدّلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، ص 95.

[5] – فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص 06.

دراسة معاني الكلمات بحياة الناس الروحية والنفسية، إلا أنها لم تنل العناية التي حظيت بها العلوم الأخرى كعلم الأصوات وعلم التراكيب[1].

1-2 اهتمام اللغويين بعلم الدلالة:

أ) عند العرب:

إن البحث في دلالات الكلمات يعدّ من أهم ما لفت أنظار اللغويين وأثار اهتماماتهم، إذ تعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، فالمتأمل لما كتبه القدامى يلاحظ أن قضايا الدلالة قد أخذت حيزاً واسع النطاق من كتاباتهم، فقد اهتموا بالكتابة عن القرآن الكريم من تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن ومثل التأليف في - الوجوه والنظائر- في القرآن الكريم، حتى ضبط المصحف الشريف بالشكل الذي يعدّ في حقيقته عملاً دلالياً، لأن تغير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي تغيير المعنى[2].

وخير ما نستدلّ به في هذا المقام، سبب وضع النّحو، كما جاء في بعض الأخبار التي تروي في سبب وضعه، أنّ رجلاً قرأ الآية الكريمة: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾ - بجرّ رسول- بدلاً من ضمها، فسحب براءة الله من المشركين على شخص الرسول الكريم، فأنكره ما سمعه يقرأ[3].

كما وجد مثل هذا الاهتمام في مجال العناية بالحديث النبوي الشريف باعتباره ثاني مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وممن أثروا في هذا المجال كتاب "الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى" لأبي عُبَيد القاسم بن سلام- (ت 224هـ)، وهو مستل من كتاب آخر له عنوانه - غريب الحديث-[4]،ثم كتاب (للمبرّد) (ت 285هـ)، والذي يعدّ من أبرز النحاة، فإنه ترك

[1] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1996، ص 279.
[2] - محمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20.
[3] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 77.
[4] - المرجع نفسه، ص 80.

لنا كتاب في اللفظ المشترك والألفاظ الواقعة في القرآن وكان عنوانه "كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" لتزيد من ترسيخ حقيقة طالما أشار إليها الدارسون وهي أن بواكير النشاط العلمي عند العرب دارت في مجملها على خدمة القرآن الكريم، وبيان معانيه ومقاصده[1].

وقد تنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فغطّ جوانب عديدة من الدراسة الدلالية، واهتموا بإنجاح المعاجم سواء كانت معاجم المعاني مثل (الألفاظ الكتابية) لهمداني (ت 398هـ) و(مختبر الألفاظ) لابن فارس (ت 395هـ) ومن معاجم الألفاظ نجد محاولة ابن فارس الرائد في معجمه (مقاييس اللغة)، ونذكر أيضاً (تهذيب اللغة) للأزهري (ت 370هـ) وقد اهتم علماء العربية قديماً بترتيب الكلمات[2] في المعجم هناك:

- ترتيب الكلمات على حسب المخارج الصوتية، أو طريقة التقاليب مثل كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، (تهذيب اللغة) للأزهري وقد سبق ذكره، (المحكم) لابن سيّدة الأندلسي (ت 58هـ).

- ترتيب الكلمات أبجدياً بحسب الأصل الأخير أو الأول للكلمة مثل (الصّحاح) للجوهري، (لسان العرب) لابن منظور (ت 924هـ) و(القاموس المحيط) للفيروزابادي (ت 817هـ)[3]، كما نخصّ بالذكر هنا (أساس البلاغة) للزمخشري (ت 538هـ)، فمعجمه يعتبر محاولة ناجحة، لأنه يقوم على التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية[4].

- ترتيب الكلمات بحسب الموضوعات، مثل (الغريب المصنّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، و(فقه اللغة وسرّ العربية) للثعالبي (ت 429هـ) و(المخصّص) لابن سيده.

[1] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 81.
[2] - نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص 14.
[3] - المرجع نفسه، ص 14.
[4] - المرجع نفسه، ص 15.

فلا شك أن هذه المعاجم قد شكّلت الإرهاصات الأولى والبذور الدلالية في تلك الفترة التي وُجدت فيها، فقد تحدث الجاحظ عن أصناف الدلالات وجمعها في خمسة أصناف يقول: « جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقضي، ولا تزيد أوّلها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة... ولعل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها، وحيلة مخالفة لحالة أختها، وهي التي تكشف لك عن أعياب المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير»[1].

ويلخّص الجاحظ كل هذا بقوله: «وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إطار المعنى»[2].

كما نجد أيضا ابن جنّي في كتابه (الخصائص) والذي يعتبر بحثا دلالياً، حيث ربط فيه تقلّبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله: أمّا (ك،ل،م) فهذه أيضا حالها. وذلك حيث تقلبت، فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة وهي: ك ل م، ل ك م، م ل ك، وأهملت منه "ل م ك"[3]. وعلماء اللغة ليسوا وحدهم من اعتنوا بدراسة الدلالة، فنجد أيضا اهتمامات أخرى كالأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين بالإضافة إلى البلاغيين، فقد عقد الأصوليون أبواباً للدلالات في كتبهم تناولت مثل: (دلالة اللفظ)- (دلالة المنطوق)- (دلالة المفهوم)- (الترادف)- (الاشتراك)- (العموم والخصوص)- (التخصيص والتقييد)، وهناك بحوث كثيرة في اللغة للدكتور محمد فوزي فيض الله وبحث (بحوث لغوية تطورت على أيدي علماء الأصول) للأستاذ محمد تقي الحكيم[4].

[1] - منقور عبد الجليل، علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص122.

[2] - المرجع نفسه، ص 123؛ وينظر، الجاحظ، البيان والتبيين، ج6، ص88.

[3] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 21.

[4] - المرجع نفسه، ص 22.

بالإضافة إلى اهتمامات البلاغيين، والذي يميّز أعمالهم في هذا المجال هو ظاهرة التأويل، أي آخر ما يعود إليه المعنى، إذ المعنى يختلف من أسلوب إلى آخر مقيد بالقرآن الذي يتحكم في السّياق[1].

نستشهد هنا بقول الأستاذ السيد أحمد الغفار: « فالتأويل يعمل على تحديد العلاقة بين اللفظ ومعناه الباطني، أو معناه البعدي وأعمال التأويل في التوصّل إلى اللفظ صحيحاً يحقّق وضوحاً لرؤية في جانب الدلالة»[2].

- **في العصر الحديث:**

إنّ القول بوجود اهتمامات سابقة بمباحث الدلالة يعني بالضرورة أن علم الدلالة قديم في ظهوره قدم الدراسات اللغوية، ولكنّنا حاولنا أن نظهر بعض مباحثه التي أثيرت، وبعض الأفكار التي طُرِحت للمناقشة. فقضايا علم الدلالة بمفهوم العلم وبمناهج بحثه الخاصة، لم تظهر على أيدي لغويين متخصصين، إنّما تعدّ ثمرة من ثمرات الدّراسات اللغوية الحديثة وواحد من أهم نتائجها[3].

وقد اتبع المحدثون من علماء العربية غير سبيل لإدخال علم الدّلالة في التفكير اللساني العربي، فمنهم من ترجم ما استطاع إلى العربية ولنا أن نذكر على ذلك أمثلة:

- علم الدلالة لبيير جيرو، ترجمة أنطوان أبو زيد.
- علم الدّلالة لبالمير، ترجمة مجيد الماشطة.
- علم الدلالة لكلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة الدكتورة نور الهدى لوشن[4].

---

[1] - نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص 16.
[2] - السيد أحمد عبد الغفار، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 155.
[3] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 23.
[4] - نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص 21.

وهناك أيضا من المؤلفين العرب الذين خصّصوا فصولاً في مؤلفاتهم لهذا العلم الحديث، نذكر منهم المرحوم محمود السّعران في كتابه (علم اللّغة) والذي خصّص فيه باباً لعلم الدلالة، بالإضافة إلى الدكتور حلمي خليل في كتابه (مقدمة لدراسة علم اللغة) في فصلها السّادس على دراسة نظامها الدّلالي Semantics.[1]

أما المؤلّفين الذين برزوا في التأليف لعلم الدّلالة بشكل تام الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) وقد ظهر في طبعته الأولى عام 1958 بالإضافة إلى الدكتور أحمد مختار عمر وكتابه (علم الدّلالة) وقد ظهر سنة 1982 وكتاب آخر بعنوان (أسماء الله الحسنى دراسة في البنية الدلالية) و(علم الدلالة العربي) لفايز الداية[2].

فهذه الأبحاث الدّلالية في الفكر الدّلالي العربي التراثي لا يمكن حصرها في حقل معين من النتاج الفكري، بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم، لأنّها مجال رحب للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة والأصول والتفسير والبلاغة والنّحو والبيان.

هذا التلاقح بين هذه العلوم النّظرية واللّغوية هو الّذي أنتج ذلك الفكر الدّلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعدّ الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدّلالة وعلم السّيمياء على السّواء، بل أنك لا تجد فرقاً كبيراً بين علماء الدلالة في العصر الحديث وبين علماء العرب وعلماء الأصول والبلاغيين، فالبحوث الدّلالية العربيّة تمتدّ من القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها.

---

[1] – نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص 22.

[2] – نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 101.

ب) عند الغربيين:

ظهرت أولويات هذا العلم منذ أواسط القرن التاسع عشر، ومن أشهر أعلامه في تلك المرحلة (ميشال بريال) (Michel Breal)، والتي تقدمت أعماله وجهوده أعمالاً كثيرة، عنيت بالمعنى، غير أنّها لم تؤسس لنظرية متكاملة في الدّلالة[1].

إلى أن جاء أحد أبرز مفكري القرن التاسع عشر وهو (ماكس مولر) (Max Muller)، الذي كان يعتقد بتطابق الفكرة وترجمتها الفعلية من خلال الكلام في كتابه (علم اللغة وعلم المنطق)[2].

ثم السويدي (أدولف نورين) Adolf Noreen بكتاب جديد تحت عنوان (لغتنا) والذي اعتبر عملا لغويا ضخما حيث خصّص قسماً كبيرا منه لدراسة المعنى مستخدماً المصطلح Semology.[3]

ويعتبر نورين من المؤسسين الأوائل الذين وجّهوا علم الدلالة الوليد إلى مجالاته التي ينبغي أن تعتني به، فأخرجه من تداخله مع الدراسة التاريخية للمعاني، فقسم دراسته إلى زاويتين شكّلتا محاور الدرس الدّلالي، الذي استفاد منه من جاء بعده وهما الدراسة الآنية (الوصفية للغة) من خلال اختيار عينات من اللغة السويدية الحديثة، والدراسة (التاريخية التأصيلية للمعنى)[4]، وكذلك Darmester الذي نشر كتابه بعنوان (حياة الكلمات) La vie des mots، وهو مجموعات خمسة دروس ألقاها (دارميستر) في جامعة الصّربون في أواخر السداسي الثاني من 1985.

---

[1] – نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 99.

[2] – المرجع نفسه، ص 99.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 23.

[4] – نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، الدليل النظري، ص 100 .

ويقترح في كتابه دراسة ملامح الحياة التي يضيفها العقل على الكلمات التي يضيفها بالتعبير عن المعاني، وهو ليس دراسة تاريخية للتغيّرات التي تطرأ على معاني الكلمات فحسب، وإنما دراسة فلسفية للطرق المنطقية والأسباب النفسية واللسانية التي تختفي وراء تطورها[1].

ويقرّ أنّ أيّ لغة في تطور مستمر، وخاضعة لقوانين متناقضة:

- أوّلها: القوة المحافظة التي ترغب في إبقاء اللغة على الحالة التي تكون عليها في زمن معيّن ومحدد.
- ثانياً: قوة ثورية تدفعه ا نحو اتجاهات حديثة[2].

ويرى أن الكلمات لا تعيش منعزلة في ذهننا على شفاهنا، بل هي في صلة متبادلة مع بعضها البعض، وترمز إلى أفكارنا وتظهر حركية التفكير في تركيب الجملة بدل تعقيدات الأحداث الثقافية التي تكوّنه[3].

كما كتب (أنطوان مايية) Antoine Meillet عن العوامل المؤدية إلى تغيير المعاني كالتعميم والتخصيص، والانحطاط والرقيّ و اختلاف مجال الاستعمال.

ومن الجهود أيضاً التي حاولت أن تؤلف في الدرس الدلالي كل من (ريتشارد) Richards و(أوجدن) Ogden وذلك عام 1923، وقد حاولا أن يتناولا المعنى من مختلف جوانبه النفسية والاجتماعية والتاريخية... كما حاولا وضع تعريف للمعنى فأسفرت تلك المحاولة عما يزيد عن اثنين

[1] – ينظر، أحمد عزوز، نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية تأسيسية، دكتوراه، جامعة السانية– وهران– ، الجزائر، 1998–1999، ص22.

[2] – أحمد عزوز، نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية تأسيسية، ص 23.

[3] – المرجع نفسه، ص 23.

وعشرين تعريفاً بعضها أصلي وبعضها الآخر عن تعريفات الأصلية[1] وربما استفاد من اندفاع السيّدة (Welby) (ويلبي) في التبشير بعلم اسمه علم المعنى، والذي يكمن في الدقة في التعبير بشكل واضح وجليّ[2].

إلاّ أن ملامح علم الدلالة كانت أكثر وضوحاً في النصف الثاني من القرن العشرين، بداية بإسهامات (ستيفن أولمان) التي انصب معظمها على الدلالة وهي (دور الكلمة في اللغة) الذي ألف سنة 1951، وترجمه الباحث العربي (كمال بشر) إلى العربية، كما ترجمت له عدة كتب منها (أسس علم المعنى)، (المعنى والأسلوب)، وتبعه في المسار نفسه (جون ليونْز) الذي صدر له كتابان في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي وهما (علم الدلالة التركيبي)، و(علم الدلالة) وتنتهي عند (بيير جيرو) وكتابه المختصر المركز (علم الدلالة)[3].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان الوضع مختلفا لسببين:

- أنّ ظهور علم الدلالة وبدايته هناك قد عرفت نجاحاً على يد الأنثروبولوجيين وأكثر منها على يد اللغويين، وفي مجال بحث دائرة أو دوائر محددة من المادة المعجمية أوجدوا وسيلة للتحليل اللغوي ليس لها نظير عند اللغويين، فقدّموا للعالم دراسات مقارنة لعديد من الحقوق أو المجالات الدّلالية مثل ألفاظ القرابة وأسماء الأمراض، وأسماء الألوان... وغيرها.
- أنه وجد ميل واضح في أعمال (بلومْفَيلد) وأتباعه ضد المعنى، فقد كان رأي بلومْفيلد أنّ دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية وأنّ من الأوفق أن نحدد مجال علم اللغة بالمادة

[1]- ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص ص75- 76.
[2] - المرجع نفسه، ص244.
[3] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 100.

التي يمكن ملاحظتها[1]، وتجربتها وقياسها، وأخيرا أصدر بْلومْفيلد حكمه إلى (دراسة المعنى المعجمي، وبالتالي السّمانتيك تعدّ خارج المجال الواقعي للغة)[2].

1-3 مميزات الدّرس الدّلالي:

أ) في مفهوم القدامى:

يعتبر الدّرس الدلالي حصيلة الدروس الصّرفية والنّحويّة كما يمثل تتويجاً للدراسات اللغوية، لأن المعنى هو الغاية التي يسعى إليها المتكلم، من جملة الخصائص التي عرفها:

- حرص القدماء من اللغويين والبلاغيين والأصوليين على فهم المعنى الدلالي ولا سيما في النصوص الشعرية، واستنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفضيلية، وما يحيط بالنص من ظروف وملابسات وعادات وأعراف...الخ.
- وضع القدماء الرّسائل اللغوية المتخصصة في موضوع بعينه، والّتي تعدّ اللبنة الأولى في تكوين المعاجم الموضوعية.
- تناول القدماء مباحث دلالية تتمثل في الاشتراك والأضداد والترادف والانشقاق والحقيقة والمجاز...[3]
- يعدّ ابن جنّي من أهم اللغويين الذين أدركوا أهمية السياق والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، كما تحدث على أصل اللغة، وهذا بالإضافة إلى قرائن المشاهدة[4].

---

[1] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، ص24.
[2] - المرجع نفسه، ص 24.
[3] - ينظر، نادية رمضان النّجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ص219.
[4] - المرجع نفسه، ص20.

- تناول اللغويون والأصوليون عنصر السياق اللغوي (نحوية ومعجمية) مبيّنين أثر كلّ منها في وضوح الدلالة.
- اهتموا بالجوانب غير اللغوية العقلية، بالإضافة إلى الظروف والملابسات المحيطة بالنّص[1].

ب) في مفهوم المحدثين :

اهتم المحدثون الغربيون بتعريف المعنى فجاءت تعريفاتهم كثيرة ومتعددة موضّحين الصّلة بين علم الدّلالة وعلم المفردات وعلم المعاجم، كما اتفقوا على أن: « معنى الجملة لا يأتي من معاني مفرداتها فقط ولكن العلاقات النحوية القائمة بين هذه المواد، وهذا ما عُرِف بالدلالة النحوية.

- تعدّد تعريفات المعنى فوصلت نيف وعشرين تعريفاً في كتاب (معنى المعنى)، وهذا التعدّد يرجع إلى تعدّد البيئات المهتمة بدراسة المعنى، وكذلك تعدّد المستويات اللغوية المتصلة بالمعنى، مما أدت إلى كثرة الاصطلاحات، واضطرابها من مجال لآخر.
- اهتم المحدثون بتوضيح العوامل التي تؤدي إلى تغيير الدّلالة ومنها (سوء الفهم، والحاجة إلى ألفاظ جديدة، وتنوّع مجال المستعملين والابتذال...الخ.
- تعدّدت الاتجاهات الحديثة في دراسة المعنى، فهناك (الاتجاه الإشاري)، إضافة إلى الاتجاه (الحسي الإشاري)، موضحين بذلك العلاقة بين الدّال والمدلول، كما ظهرت اتجاهات أخرى مثل: (الاتجاه البنيوي السّياقي)، موضحين معايير التحليل الدّلالي.
- تعرض المحدثون للنبر والتنغيم باعتبارهما مؤثرين في لغاتهم، فلغاتهم ذات مقاطع وغير معرّبة، فالاشتقاق في لغاتهم محدود، والتركيب لا يسمح في لغتهم بحرية انتقال الألفاظ كما في اللغة العربية، فكان النبر والتنغيم تعويضا في تلك اللغات عن تلك الحرية التي تتمتع بها لغتنا في قوانينها الصّرفية والنّحوية[2].

---

[1] – ينظر، نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مصر، 1996، ص 89.

[2] – نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص241.

2- التطوّر الدّلالي

التطوّر لغة: ما عكس الجمود والسكون، بل هو التحويل إلى الأفضل[1]، وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2].

وإذا ما عدنا إلى جذور اللفظة في المعاجم اللغوية القديمة يورد (ابن منظور) في باب (طور) المعاني التالية:

الطّور: التارة، نقول طوراً بعد طور أي تارة بعد تارة، وجمع الطّور أطوار أي خلقا مختلفة كلّ واحدة على الأخرى... والأطوار: الحالات المختلفة والتارات والحدود، وأحدهما طور، والطَور: الحدّ بين الشيئين[3].

إذاً، مفهوم التطوّر لا يعني التقدم ضرورة بل هو الانتقال من طور إلى آخر، أي من شكل لآخر أي التغيير.

والتطوّر الدلالي يعني: تغيّر معاني الكلمات، وإطلاق لفظ (التطوّر) على هذه الحالة، لأنّه انتقال بالكلمة من طور إلى طور[4]، وظاهرة التطور لا تقتصر على لغة دون أخرى، بل هي ظاهرة عامّة، تكاد تشمل جميع اللغات في العالم وسبب ذلك يعود إلى كون اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطوّر، فجمع اللغة، مشمولة بهذا القانون، وأثر ذلك واضح عند مجيء الإسلام، فقد استبدل كثيراً من الكلمات التي لا يحسن ورودها على الألسن، واستعمل أيسرها على النطق، وأبيَنها على دلالة المعنى، وحَرص على مطابقة القول لمقتضى الحال، وهذا ما تتوخاه الفصاحة والبلاغة في الإعراب عن القصد وبيان المعنى، والصلة ما بين المعنى والدلالة

[1] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 253 .

[2] - سورة نوح، (الآية 14).

[3] - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 7.

[4] - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط5، 1982، ص207.

وطيدة جداً فالمعنى هو الموضوع الأساس لعلم الدّلالة والذي يُعرّفه العلماء بأنه «العلم الذي يدرس المعنى»[1]، فالدّلالة هي المعنى، ودلالة أي لفظ: هي ما يتعرّف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك أو محسوس، والتلازم بين الكلمة ودلالتها أمر لا بدّ منه في اللغة ليتم التفاهم بين النّاس[2].

يمثل التطوّر الدلالي، الذي هو تغيير معاني الكلمات ظاهرة شائعة في جميع اللغات، فقد أكد الدّارسون هذه الحقيقة، إذ يشبهون اللغة بالكائن الحيّ الذي ينمو ويتطوّر[3].

ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي عرضة للتطوّر في مختلف عناصرها: عناصرها، وتراكيبها، ودلالتها، وإن تطوّر كما يجري وفقا لاتجاهات عامة رئيسة، وذلك لأنّ اللغة ليست جامدة بحال من الأحوال على الرّغم من أنّ تطوّرها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان.

وتغيّر المعنى ليس سوى جانبا من جوانب التطوّر اللغوي، الذي يتمّ ضمن طبيعة اللّغة الخاصة، فلا شيء ثابت فيها بصورة تامة، فكلّ صوت، وكل كلمة أو تعبير أو أسلوب، يكون شكلاً أو صورة متغيّرة ببطء، وبقوة غير مرئية أو مجهولة، وتلك هي حياة اللغة، وهكذا يكون مفهوم التطوّر الدّلالي: هو التطوّر الذي يطرأ على المفردة، سواء أكان المعنى المتطوّر دلالياً جديدا أم كان قريب من الدّلالة السّابقة أو حتى انقرض المعنى الأساسي للكلمة نتيجة تعرّضها لعوامل عدّة نوضّحها فيما يلي.

1-2 عوامل التطوّر الدّلالي وأسبابه:

تنوعت أسباب التطوّر الدّلالي بتنوع العوامل المؤثرة في تطوير اللّغة، ويمكن إجمال عوامل التطوّر الدّلالي، في نوعين من العوامل:

[1] - عبد القادر أبو شريفة، وحسن لاقي وداود غاشة، علم الدّلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص56.

[2] - أولمان، دور الكلمة، ص 45.

[3] - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 32.

- **عوامل خارجية**: تتعلّق بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنّفسية.

- **عوامل داخلية**: تتعلّق باللّغة نفسها، وهي الأسباب أو العوامل الصوتيّة والاشتقاقية والنحوية والسّياقية التي نميّزها من خلال الاستعمال[1].

ويجمع معظم اللغويين على هذه العوامل، ومنهم الدكتور (علي عبد الواحد وافي) الّذي يرى أنّ اللغة تتأثر في تطوّرها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى ستّ طوائف: إحداها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمّة، ونُظمها، وعاداتها، وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العلمي، والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية...، وثانيتها، تتأثر للّغة بلغات أخرى، وثالثتها عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح النّاطقين باللغة، وما تفيد به معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها من سبيل حمايتها والارتقاء بها. ورابعتها، انتقال اللغة من السلف إلى الخلف. وخامستها، عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية... وما إليها. وسادستها، عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومُتُنِها[2].

فالعوامل الاجتماعية تنعكس بتطوّراتها على اللغة مرآة المجتمع، تعكس حضارته ورقيه وتطوّره، فكلما تقدمت الأمم وازداد رقيها، وتنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والثقافية فيها، اتسعت الاستخدامات اللغوية وتنوعت المصطلحات الجديدة، المعبِّرة عن مظاهر الحياة الجديدة، وبذلك تظهر مفردات جديدة عن طريق الاشتقاق أو الاقتباس تعبّر عن المسميات والأفكار والمظاهر الجديدة، فمثلا في العصر الحالي تمّ اكتشاف مخترعات وأدوات جديدة أدى إلى ظهور اشتقاق ومفردات اصطلاحية جديدة تناسب هذه المخترعات.

[1] - ينظر، أحمد حماد، عوامل التطوّر اللغوي، دار العرب، دمشق، 2001، ص 70.

[2] - ينظر، علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار النّهضة، مصر، ص 8.

وقد تتأثر اللغة بلغات أخرى مجاورة فتقتبس منها مفردات جديدة تبرز ظاهرة الدخيل والمعرب. وفي العربية، كثير من المفردات التي اقتبست من لهجات ولغات أخرى كالفارسية واليونانية والتركية واللاتينية وغيرها.

ويساهم انتقال اللغة من جيل إلى آخر بالتطوّر الدّلالي لبعض المفردات، فقد يحدث أن تنتقل الكلمة من جيل إلى آخر بصورة مختلفةٍ عمّا هي عليه في اللغة الأصل، أو تستخدم استخداماً مغايراً للاستخدام السّابق، فيؤدي ذلك إلى تطورها دلالياً.

كما تساهم العوامل الطبيعية الجغرافية والفيزيولوجية والبيولوجية التي تتعلق بالأعضاء والتشكيلات الجسدية للفرد، والعوامل الوراثية لديه بهذا التطور.

أما العوامل اللغوية، فهي عوامل داخلية في اللغة ذاتها، تتصل بأصوات اللغة ومتُنها وعناصر كلماتها، وقواعد ارتباط هذه الأصوات والكلمات، ويتفق معظم اللغويين على هذه العوامل[1].

ويضاف إلى هذه العوامل، عوامل أخرى منها (عوامل مقصودة متعمّدة، كقيام المجامع اللغوية، والهيئات العلمية بمثل ذلك، عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبتها حياة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية جديدة.

وهناك عوامل أخرى لاشعورية، منها السّياق المضلّل الذي نسمع فيه الكلمة لأوّل مرة... ومن عوامل التطوّر الدلالي سوء الفهم، وهو عامل له صلة بموضوع (القياس) لأن يقيس ما لم يُعرف على ما عُرِف من قبل ويستنبط على أساس هذا القياس، فيصيب حيناً ويخطئ حيناً آخر، فيستخرج دلالة جديدة... ومن العوامل: تطوّر أصوات الكلمة، بحيث تصبح تلك الكلمة مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر... ومن العوامل أيضاً: اختصار العبارة، فتؤدي كلمة واحدة منها ما كانت تؤديه العبارة كاملة قبل اختصارها... وهناك عامل آخر وهو كثرة دورانها في الحديث، وعامل الابتذال الّذي يصيب الألفاظ في كلّ لغة لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية[2].

---

[1] – ينظر، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990، ص105.

[2] – ينظر، إبراهيم السمرائي، التطوّر اللّغوي التاريخي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1881، ص ص 30- 32.

أيضاً عوامل ترتبط بالكلمة ذاتها، وباستخدام هذه الكلمة ووضعها في سياقات مختلفة، وهذا مرتبط بالمدلول الشائع والسّائد للكلمة في العصر الواحد والعصور المختلفة والسّائد بين أفراد الأمة الواحدة، وبين أفراد الأمم المتعدّدة، ومن العوامل المرتبطة بالكلمة ما يتصل بأصوات الكلمة وموقع هذه الكلمة في السّياق.

- عامل الزمن أو العصر، فلكل وقت طبيعته التي تختلف عن غيره، واختلاف هذه الطبيعة يؤدي إلى اختلاف دلالة المفردات، وإلى ولادة دلالات جديدة أو موت وانقراض مفردات ودلالات أخرى.

- عوامل ترتبط بقواعد اللغة ذاتها، فمدلول الكلمة مرتبط بالقاعدة التي وضع لها أصلاً هذا المدلول.

- تدخل أمور التقاليد والعادات ضمن العوامل الاجتماعية التي تسبِّب التطوّر الدلالي، فالعادات التي تتغيّر من جيل إلى جيل تفرض معها تغيُّراً في دلالات المفردات التي تعبّر عن هذه التقاليد.

- تتغيّر دلالة الكلمة بسبب الانتقال من لهجة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى، وفي العربية الكثير من الكلمات التي لحقها تغيير دلالي لهذا السّبب.

2-2 مظاهر التطوّر الدلالي ومجالاته:

عمل اللّغويون القدامى على ذكر هذه المظاهر والمجالات في كتبهم من خلال أفكار وأمثلة عرضوها في حديثهم عن ظواهر لغوية مختلفة، فكانت إشارات غير مباشرة إلى موضوع التطوّر الدّلالي ومظاهره. وقد كان اللغويون العرب من السّباقين إلى هذه القواعد التي أسست فيما بعد لعلمٍ قائمٍ بذاته، ومنهم على سبيل الذّكر لا الحصر: الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)، وابن السّكيت في (إصلاح المنطق) وابن قتيبة في (أدب الكتاب)، حيث ورد عنهم الحديث عن

مظاهر التطوّر الدلالي تحت عنوان: (ما يضعه غير موضعه). وعند أبي بكر الزُّبيري في كتابه (لحن العوام)، الذي أدرك فيه فكرة تخصيص العام في قوله: ومما يوقعوا به على الشيء وقد يشركه فيه غيره[1]. وعند ابن مكّي في (تثقيف اللّسان وتلقيح الحنان) والخفاجي في (شرح دورة الغواص)، وابن السيد البطلموسي في (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)، حيث وردت تلك المظاهر لديهم في أبواب: ما وضعوه غير موضعه، وما جاء لشيئين أو لأشياء فقصوره على واحد، وما جاء لواحد فأدخلوا معه غيره[2].

وكذلك نجد عند المحدثين منهم أمثال: الدكتور (فايز الدّاية)، والدكتور (أحمد مختار عمر) والدكتور (أحمد قدور) وغيرهم، وعند اللغويين وفي مقدمتهم (ميشال بريال) و(فندريس) و(ستيفن أولمن)، و(بيير جيرو) وغيرهم[3].

معظم هؤلاء ذهبوا إلى أن للتطوّر الدّلالي ثلاثة مظاهر هي: تعميم الدّلالة أو ما يسمى بتوسيع المعنى، وتخصيص الدّلالة أو ما يعرف بتضييق المعنى وتغيير مجال استعمال الكلمة أو ما يسمى بانتقال الدّلالة.

- فالمظهر الأوّل هو مجال تعميم الدلالة أو توسيعها: فيعني توسيع معنى الكلمة بإطلاق اسم الشيء الواحد على أشياء أخرى تشبهه أو تماثله. وهو كما بيّن (الثعالبي) معناه بأنه ينحصر في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله[4].

وهذا ما يلاحظ لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على ما يشبهه لأدنى ملابسة أو تشابه. ويأتي ذلك نتيجة لقلة محصولهم اللغوي، وقلة تجاربهم مع الألفاظ... ونجد أمثلة كثيرة من هذا

[1] – ابن قتيبة، أدب الكتاب، تح: محمد الدّالي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 21.

[2] – فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1950، ص 247.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 243.

[4] – ينظر، فايز الدالية، علم الدلالة العربي، ص 306.

التوسع أو التعميم، مثل كلمة (البأس) في أصل معناه كانت تطلق على الحرب ثم أصبحت تطلق على كل شدة.

- أما المظهر الثاني، فهو تخصيص الدلالة، أي تضييق المعنى وقصر العام على ما هو خاص كمجموعة أشياء أو أفراد، ويكون بإطلاق الأسماء العامة على مجموعة خاصة من الأشياء أو بشكل أوضح هو تلك الحالة التي يطلق فيها الاسم العام على طائفة خاصة، تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم[1].

ومن أمثلة هذا النوع من أنواع التطور الدلالي: إطلاق إسم الحريم على النساء، ولهذا النّوع من التطور الدلالي أثره الكبير في اللغة، فالألفاظ « في معظم لغات البشر تتذبذب دلالتها بين أقصى العموم كما في الكلمات مثل كلمة (شجرة) التي تطلق على ملايين الأشجار، وأقصى الخصوص كما في الأعلام مثل كلمة (محمد) الدالة على شخص بعينه»[2].

إذا، فهذا النوع من أنواع التطوّر الدلالي يقصر مدلول اللفظة التي كانت تدل على مدلولات عامة ومتعددة إلى مدلول محدّد ومعنى معيّن ومحصور.

- والمظهر الثالث، هو انتقال المعنى، أو انتقال الدّلالة، ويعتمد هذا النوع على تغيّر مجال الاستعمال « فالمعنى الجديد هنا ليس أكثر خصوصية من المعنى القديم ولا أعلم إنما هو مساوٍ له، وذلك يتخذ الانتقال المجازي سبيلاً له، لما يملكه المجاز من قوة التصرف في المعاني عبر مجموعة متعددة من العلاقات والأشكال»[3].

---

[1] - فندريس، اللغة، ص 257.

[2] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 39.

[3] - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1999، ص 336.

ولهذا النّوع من أنواع التطوّر الدلالي أشكال تتمثل بالانتقال من المحسوس إلى المجرد، فمن المعلوم أن الدلالة أول ما تدرك بالمحسوسات وتبدأ عن طريق هذه المحسوسات، ثم تنتقل فيما بعد إلى الدلالة المجردة التي تتطور مع تطور الذهن أو العقل البشري ومع تطور الأمم والحضارات، الذي يحدث بشكل تدريجي يتناسب مع كل عصر، فتنتقل الدلالة بانتقال العصور إلى أن يأتي الوقت المناسب لاستعمال الدّلالة الجديدة دون أن تكون غريبة أو مستهجنة.

ومن أمثلة هذا النوع ما في قولنا: غفور غفار وغافر ثلاث لغات وهي من المغفرة، والمغفرة الستر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم، فلا يكشفها للخلائق. ويقال في الدّعاء: اللّهم تغمدني بمغفرتك، أي استر ذنوبي، وأصله من غفرت الشيء أي غطيته[1].

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنّ النقل بين الدلالات ليس مقصوراً على نقل الدّلالة المحسوسة إلى المجرّدة أو العكس بل قد يتم بين المحسوسات في الدلالة المكانية أو الزمانية... هناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطوّرها في الدلالة انتقل كلٌّ منها من دلالة إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان مثل (الذّقن) حين تستعمل في خطاب الناس معنى اللحية...[2]

أما الانتقال عن طريق الاستعارة فيكون « بنقل المعنى من مجال آخر عن طريق المشابهة بين المجالين الّذين تنتقل بينهما الدلالة، ومثال هذا النوع قولهم في معنى (ذَأبَ)، تأدّبت الرّيح الرّجل: أتَتْه من كل جانب، فعل الذّئب، وهذا القول مبني على استعارة فعل الذئب الذي يدور حول فريسته، ويهاجمه من كل جهة كالريح التي تتصف بالهبوب والإحاطة من كل ناحية»[3].

وأما الشكل الثالث، فهو الانتقال عن طريق المجاز، ويتم عن طريق انتقال اللفظ من معنى إلى آخر والاعتماد على مجموعة من العلاقات بين المدلولين، هذه العلاقات إما المجاورة والسببية أو الجزئية

---

[1] – أحمد حامد، عوامل التطوّر اللغوي، ص 127.

[2] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 161.

[3] – ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ص 169– 170.

أو الكلية، ومثال النوع الأول وهو المجاورة: إطلاق كلمة (مكتب)... فالمكتب منضدة الكتابة، ثم غدا دالاً على الحجرة التي توضع فيها المنضدة المقصودة بسبب المجاوَرة... ومن إطلاق الجزء على الكل كلمة (الشّراع) التي تدلّ على الكلّ والتي تدخل على جزء من المركب ثم أطلِقت على المرَكَب ثم أطلقت على المرَكَب كلِّه[1].

ويضيف آخرون ومنهم الدكتور (أحمد مختار عمر)، والدكتور (عبد الكريم مجاهد) وغيرهم... مظهرين آخرين من مظاهر تطوّر الدلالة، وهما: انحطاط المعنى: كثيراً ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو الضّعف، فتراها تفقد شيئا من الأثر في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال في المجتمع الاحترام أو التقدير، فكلمة (حاجب) كانت تعني في المشرق العربي البواب، واستعمِلت في الأندلس بمثابة ما نطلق عليه اليوم رئيس الوزراء، ولكن معناها انحط ورجعت أصول مدلولها، وانحط معنى كلمة وزير الأندلس لتعني الشرطي[2].

وهناك رقيّ الدلالة وتساميها، فكما تنهار وتضعف دلالة بعض الألفاظ «فإنه يصيبها رقيّ في الدلالة أيضاً، ولكنه أقل حدوثاً وشيوعاً من الانحطاط، فلفظة (البيت) كانت تدلّ على بيت الشعر، وهي الآن تدل على البيت المستقل الجميل (الفيلا) ومثل ذلك كلمة رسول التي كانت تدل على أي شخص يحمل رسالة أو أي شخص موفد من قبل الحاكم، ثم تتخصّص وترتقي لتدل على الرسول – صلى الله عليه وسلم- صاحب الرسالة السماوية»[3].

---

[1] – ينظر، عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة، الأردن، ط1، 2005، ص 237.

[2] – المرجع نفسه، ص 247.

[3] – المرجع نفسه، ص 249.

3- المعجم الشعري.

3-1 النشأة والتطوّر:

إن المعنى المعجمي يشكّل المدخل الأول لتحليل النصوص وفهمها والمعنى الأساسي للجملة هو حاصل للمعنيين (المعجمي والنحوي).

ويشار في هذا الصدد أنّ العرب لم يكونوا السّباقين في مجال الدراسات المعجمية فقد عرفت ذلك أممٌ أخرى قبلهم، « حتى أن بعض الدراسات تشير إلى أن جذورها ترجع إلى (150 ق.م)، وهذا ما وُجِد عند الصينيين، فكان عنوان المعجم (شوو أوان Sch.Wo.Wan)، ثم تلته بعد ذلك تأليفات نذكر منها مؤلف (يون- بين) سنة 530م للمؤلِّف (كُو- يي- وانغ Ku-Ye-Wang»[1].

فاعتُبِر الصينيون المؤسِسون للإرهاصات الأولى لمن بعدهم من دراسات للرومان مثل معجم "معاني الألفاظ" لـ (هزيشيوس السّكندري) وهو معجم للهجات والتعابير ألّف في القرن الرابع للميلاد، كما وُجِدت دراسات في الحضارة الإغريقية في نفس القرن "كمعجم الغريب" للمؤلِّف (هلايوس السكندري)، ثم أعقب بعد هذه الأمم والحضارات مجموعة من التأليفات المعجمية، فشهدت الدراسة تطوراً كبيراً وملحوظاً، ليصل هذا التطور إلى العرب الذين بدورهم كان لهم حظا وافرا في هذا المجال فوضعوا النواة الأولى للتأليفات في المصنّفات والمعاجم.

ولعلّ اللبنة الأولى في التأليف المعجمي كانت مع بداية القرن الثاني الهجري، وكان هذا بالموازاة مع ظهور فكرة التدوين.

---

[1] - حياة درويش، نظرية الحقول الدلالية، دراسة تطبيقية لحقل ألفاظ الألوان في المخصّص، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2001، ص 75.

فكانت الجهود الأولى حول معالجة المعاجم وفق الموضوعات « وتضبطها حسب الحقول الدلالية»[1]، فنلمس جهودا جبّارة وأعمالا جادة خاصة بما يتعلق بمعاجم الموضوعات، كمعجم الحيوان والنبات والسلاح والمطر والطعام واللّباس، فنذكر الأصمعي (ت 213 هـ) على سبيل المثال الذي تناول أصناف الشجر والنبات والحيوان « وكان بارعاً في هذا الفن ومتقناً له»[2]، كما نجد أيضا ثلّة من المؤلفين في هذا المجال على غرار ابن سلام الجمحي (ت 224هـ) الذي وضع معجم"الغريب المصنّف" وهو يعتبر من الجهود المهمة، كما وضع تصنيفات للشعراء في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، فقد كان متأثراً بفكرة التصنيف، والتقسيم، فاهتم أيضاً بجزء تقسيماته بالموضوعات كالرّثاء مثلاً، ثم تلته تأليفات أخرى ككتابي "المخصّص" وً المحكم لابن سيّده و تجمع الدراسات و التحقيقات التي قام بها اللغويون' و المخصص كان يمثل أكمل صورة للدراسات المعجمية آنذاك رغم أن المآخذ التي سجلت التصنيف فتيّة، ومع ذلك امتاز المؤلف بثرائه وغنى محتواه»[3].

وتلت تلك الجهود دراسات مهمة كمعجم "وفيات الأعيان وأبناء الزمان" لابن خلكان (ت 681هـ) الذي تناول فيه الشخصيات السّابقة والمعاصرة له بالتصنيف والترتيب، ولما كان هذا المعجم «ذا منهجية وإستراتيجية محكمة لقي اهتماما كبيرا من الغرب فتُرجِم إلى الانجليزية من طرف (ماك جوكين Mak Gukin)، وهذه الترجمة تذكر سيرة ابن خلكان، ويعتبر جهده قطرة من بحر لجيٍّ من المعارف المعجمية والمحاولات الجديّة التي رسمت المعجم العربي وأبرزته وبينت معالمه.

ومن خلال ما تطرّقنا إليه قد شهدنا نشأة المعجم العربي، كما توقفنا عند أهم مراحله ومن أثّر في صناعته وتطويره.

1 – حياة درويش، نظرية الحقول الدلالية، ص 75.

2 – ينظر، إبراهيم السّمرائي، الشعر بين الجيلين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 7.

3 – ينظر، حلاّم الجيلالي، نقد عناصر المعجم اللغوي في نظرية الحقول الدّلالية، مجلة المنهل، العدد 1998/550.

- **ارتباطه باللغة:**

يمكن تشبيه ارتباط المعجم الشعري باللغة كالعملة النقدية ذات وجهين لا يمكن فصل إحدى وجهيها، وذلك للارتباط الوثيق، فاللغة هي المادة الأساسية التي يكتب من خلالها المعجم الشعري، بل ولا يتجسد إلا من خلالها. فهي المرآة العاكسة له، كونها تعتني برسم وتصوير أحوال الأمة أو حضارة ما، كما «تصف المجتمع بتفاصيله من أخلاق وعرف وطقوس وتقاليد وآداب وعلوم بما تحمله من معاني»[1]، فإذا قلنا أن المعجم الشعري هو مجموعة ألفاظ ذات معاني فيكون قد ربطناه باللغة، كون الشاعر يصطفي في معجمه ألفاظا من رصيده اللغوي ما يناسب المقام والحال.

فاللغة ظاهرة متحركة متطورة باستمرار « تتكيّف وفق حاجات المتكلمين وغاياتهم الدلالية فهي متجددة»[2]، وهذا ما نجده فيما يسمى بالتطور الدلالي الذي يكشف الكيفية التي تسير بها لفظة أو معنى عبر أزمنة مختلفة، فيتغيّر التوظيف من عصر لآخر، أو أن تحمل معنى متشعِّب وواسع يتأقلم وفق الاستعمال الذي نريده.

وإذا عدنا لدور اللغة في المعجم الشعري نجدها « بمثابة الألوان الزيتية المصطنعة في نسيج رسمي، والرّسام لا يستطيع إنجاز اللوحة الزيتية إلا بواسطتها، فكذلك الشاعر لا يستطيع إنجاز القصيدة إلا من خلال الألفاظ اللغوية التي تمثل في الشعر عناصر البناء»[3]، فيمكن القول أن حياة المعجم الشعري وحركيته مرتبطة أساسا بحركية اللغة وحيويتها داخل النص، فهي المحرّك لنسيج النص، كونها تمثل الدورة الدموية بالنسبة للمعجم الشعري.

[1] – ينظر، حنّا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط3، 1968، ص 636.

[2] – جورجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1980، ص ص 33- 34.

[3] – عبد الملك مرتاض، السّبع المعلّقات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1998، ص 152.

2-3 علاقة المعجم الشعري بالمعجم التاريخي للغة العربية:

تفيد دراسة المعجم الشعري في بعث التراث العربي، واستظهار مكونات اللغة العربية وألفاظها من حيث المعاني والدلالات التي طواها الإهمال أو تطورت إلى دلالات جديدة، كما أنّ دراسة الألفاظ في شعرٍ ما ينتمي إلى حقبة زمنية معيّنة يساعد على دراسة ذلك المجتمع، من حيث عاداته وتقاليده وأنماط سلوكه، وانعكاس كل ذلك على لغته، لأنّ الشاعر ينتحل كل هذه المظاهر الحياتية أو جلها في شعره.

ومن أبرز الدراسات التي قُدِّمن في هذا المجال ذلك العمل الذي قام به (فايز الداية) إذ تناول هذا الجانب في دراسته بعنوان: الجوانب الدلالية في لغة الشعر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إلى جانب (أحمد محمد قدور) الذي تناول بالدّرس والتحليل لغة الشعر عند الأخطل الصغير.

وإذا ما تحقّقت دراسات أخرى عديدة للمعجم الشعري، فإنه يمكن الوصول بطريقة علمية إلى نسب إحصائية تقريبية للمفردات، بدلالاتها اللغوية والمجازية ويسهم هذا – من غير شك– في رصد ما أصاب ألفاظ اللغة العربية الفصحى من تطوّر دلالي[1].

وعندما نتحدث عن التطور الدلالي لألفاظ اللغة العربية، فإنّنا بالضرورة نشير إلى أبرز محور من محاور المعجم التاريخي للغة العربية الذي تسعى إلى تحقيقه المجامع اللغوية، ومن هنا تظهر أهمية المعجم الشعري كلبنة أساسية وخطوة مبدئية، لتنفيذ هذا المشروع الضخم، فالمعجم الشعري يمثل جزءاً مهماً من عمل المعجم التاريخي، فما هو المعجم التاريخي للغة العربية؟ وإلى أي مدى تم تطبيقه؟

إنّ ارتباط اللغة بالقرآن الكريم، جعل لها مزيّة لم تتأت لغيرها، فكما أثر القرآن في الأمة العربية، في أخلاقها وعقيدتها وشتى نواحي حياتها، فقد أثر أيضاً في هذه اللغة تأثيراً بالغاً، إذ

[1] – أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د.ط، 2001، ص 161.

أصبحت لغة خالدة بخلود الكتاب العزيز، وستبقى ما بقي مسلم على هذا الكوكب والأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وفي الوقت الذي شرّف فيه الله تعالى هذه اللغة بأن صارت لغة القرآن الكريم، خرجت عن بعض القوانين التي تحكم لغات البشر، من حيث الاتجاه إلى التفتّت والاندثار، وسارت في مسارين متوازيين: أحدهما في مجال التوسّع والنموّ واستيعاب حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني، في مختلف مجالات المعرفة، والمسار الآخر يتمثل في بقائها موحدة ثابتة الأصول من حيث نحوها وصرفها وأصواتها مع العمل على تجويد النطق بها[2].

فللعربية خصائص ذاتية تجعلها قادرة على التعبير عن دقائق الأفكار، واستيعاب كل جديد في الفكر الإنساني وحضارة الأمم، فالاشتقاق والإبدال والقلب والمجاز والنقل والوضع قنوات ذاتية تمدها بأسباب الحياة والنماء.

وتقف مؤلفات الكندي (ت 250 هـ)، والفارابي (ت 339هـ) وابن سينا (ت 420هـ)، وغيرهم من أعلام التراب العربي والإسلامي، شاهداً على قدرة العربية على التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية، فهي لغة العلم والفن ووعاء الثقافة العربية الإسلامية طوال خمسة عشر قرناً[3].

إنّ اللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات العريقة في حاجتها إلى معجم تاريخي، بل هي أجدرها، لكونها من أطول اللغات عمراً وأوسعها ساحة وأغناها تراثاً، فيكون لها هذا المعجم ديواناً شاملاً يجمع مفرداتها ومعانيها وأساليب استعمالها، وخزانة لأفكار أهلها ومشاعرهم، ولما أنجزوه من تقدم حضاري، ويكون إلى جانب ذلك ديواناً للأحداث الكبرى من فتوحٍ وحروب وهجرات

[1] – سورة الحجر، (الآية 9).

[2] – عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص 29.

[3] – المرجع نفسه، ص 12.

ولعلاقات المسلمين بالشعوب الأخرى، ولتأثيرهم فيها وتأثرهم بها، فهو الوجه الآخر للحياة الإنسانية بكل تجليّاتها المادية والروحية[1].

وعلى الرغم من أن صناعة المعجم العربي هي أقدم الصناعات المعجمية في اللغات الحية وأغزرها وأغناها - إذا علمنا أنّ أوّل معجم عربيّ متكامل وهو معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) صُنِّف في القرن الثامن الميلادي، فإنّ اللغة العربية لا تتوفر على معجم تاريخي إلى حدّ الآن.

ولقد ظهرت المعاجم التاريخية في أوروبا، نتيجة لازدهار اللسانيات الحديثة في النصف الثاني من القرن الميلادي، فمن أبرز فروع اللسانيات في ذلك القرن، علم اللغة التاريخية، حيث يمثّل المعجم التاريخي الجانب التطبيقي لهذا العلم، الذي ظهر نتيجة إيمان اللغويين بأنّ اللغة كالكائنات الحيّة التي تولد وتنمو، ورأوا انطلاقاً من هذه الرؤية الطبيعية التطورية، ضرورة وضع معجم تاريخي، يساير كل لفظ من لدن مولده، فيبحث في أصل الكلمة، وتتبع حياتها واستعمالها عبر العصور، وما يطرأ عليها من تغيير اعتماداً على النصوص التي وردت بها[2].

وظهر أقدم معجم من هذا النوع في اللغة الانجليزية على يد (شارلز رشاردسون Charles Richardson-) بين عامي (1836- 1837) ويُعدّ معجم أكسفورد التاريخي للغة الانجليزية أشملها وأفضلها، فقد استغرق تأليفه سبعين عاماً قبل أن يتم عام 1928، وهو يسجل الكلمات كلها من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين[3]، وهو في إيجاز يغطي مفردات اللغة الانجليزية تغطية كاملة، لم يسبق لها مثيلٌ في تاريخ اللغات، فقد تم جمع ما يزيد على خمسة ملايين بطاقة دُوِّنت عليها الكلمات وشواهدها مقتبسة من أكثر من خمسة آلاف مؤلّف في مختلف العصور[4].

---

[1] - محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية، دار السلام، مصر، د.ط، د.ت، ص 40.

[2] - صافية زفنكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، د.ط، 2007، ص 46.

[3] - المرجع نفسه، ص 78.

[4] - محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ص 43.

أما على الصعيد العربي، فقد تأثر بعض اللغويين بهذه النظرية الطبيعية في التطور فطبقوها في أبحاثهم اللغوية، مثل (جرجي زيدان) في كتابه (اللغة العربية كائن حيّ) – وقد سبق ذكره- كما برز هذا التأثر عند الشيخ (أحمد رضا) في مقدمة معجمية "متن اللغة" وفي كتابه "مولد اللغة"[1]، هذا في الجانب اللغوي، أما في الدراسات المعجمية، فلا يوجد معجمٌ شامل كامل للغة العربية حتى الآن، وهنا يمكن أن نتساءل: هل هناك نقص يعزي به المعجم العربي يدعو إلى وضع معجم لغوي تاريخي ينضاف إلى تلك المعجمات؟

إن من أهم دوافع تأليف معجم تاريخي للغة العربية، هو وقوف المعاجم العربية عند فترة زمنية لم تتجاوزها، وهي القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر، والرابع بالنسبة لعرب البوادي، مما أصاب اللغة بالجمود وعاقها عن التطور، إذ اقتصر جهد العلماء بعد ذلك على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة من نواحي الدراسات اللغوية هي ناحية التطور اللغوي[2]، لا سيما في جانب الألفاظ اللغوية التي تمثل وثائق وشواهد تاريخية بالغة الدقة قد لا تجد في كتب التاريخ والفكر والحضارة ما يسُد مسَدَّها، إلا أن هذه الوثيقة تتضاءل أهميتها وتفقد كثيرا من قيمتها عندما لا يكون تاريخ ظهورها أو استعمالها أو تطورها معروفاً بصورة دقيقة، وهذا هو المشكل الذي نواجهه في معاجم اللغة العربية على كثرتها وتعددها، فهي لم تهتم بضبط تواريخ المداخل المتضمنة فيها، مما يجعلنا عاجزين في أغلب الأحيان عن القطع بنسبة هذه اللفظة أو تلك إلى مرحلة تاريخية معيّنة[3].

ومن أسباب قصور المعاجم العربية، إهمال المولّد، وعدم اعتباره من اللغة حتى ضاع علينا كثير من الألفاظ والمعاني التي ابتكرها العبّاسيون للمظاهر والحضارة الجديدة، وإنّ تلافت كتب لحن العامة والخاصّة بعض نواحي هذا النقص ولكنها تركت أكثره لأنها لم تكن معاجم تريد الاستقصاء[4]، وذلك

1 – صافية زفنكي، التطورات المعجمية، ص 79.
2 – زين كامل الخويسكي، مختارات لسانية، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2007، ص 116.
3 – ينظر، عبد العليّ الودغيري، دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، ط1، 2001، ص ص 10- 11.
4– ينظر، حسين نصّار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، ج2، دار مصر للطباعة، ط4، 1988، ص 604.

حين أصبح معيار الفصاحة القديم حائلاً دون تسجيل الألفاظ المحدثة التي ولدها الاستعمال واقتضتها الضرورة اليوميّة، ولاسيما الألفاظ العلميّة والتقنية التي عرفتها العلوم والفنون في مختلف الميادين فضلاً عن الألفاظ العامة التي طرأت عليها تطورات دلالية أو صوتية بانتقالها من بيئة إلى بيئة، ومن حقل معرفيّ إلى آخر[1].

إذ من العوامل التي دفعت إلى التفكير في هذا المعجم، هو اقتصار المعاجم القديمة على جمع المفردات وشرحها، وهو عمل لا يمكن إنكار فضله وأثره، والحق أنّ اللغويين العرب المتقدمين حاولوا جهد استطاعتهم أن يحفظوا كنوز اللغة العربية من الضياع، ومن هنا أصبحت الحاجة ماسّة إلى شيئين ضروريين:

- البحث عن هذه الألفاظ والاستعمالات التي ظلّت خارج المعاجم الفصيحة المتوارثة واستخراجها من مظانّها باعتبارها جزءاً مهمّاً من تاريخ اللغة العربية لا بدّ من معرفته ودراسته.
- محاولة ربط المداخل المعجمية بتواريخ ظهورها واستعمالها.

والغاية التي يسعى إليها التأريخ لمعجم لغة من اللغات البشرية، هي الوصول في نهاية الأمر إلى وضع كتاب يصف ألفاظ اللغة ويؤرخ لها، ومعالجة نشأة الألفاظ، وهي تقسّم بحسب طبيعة اللغة العربية إلى ثلاثة أنواع: الألفاظ العربية في اللغات السامية، والألفاظ المعرّبة من الفارسية أو اليونانية وغيرها، والألفاظ العربية التي ابتكرها العرب ولا نجد لها نظيراً في السّاميات[2].

والمعجم التاريخي بهذا الوصف، بمثابة سجّلٍ شامل لمفردات اللغة العربية، أصيلُها ودخيلها ومولّدها، منذ بداية عصورها الموثّقة حتّى الآن، والمعالجة اللغوية التي سيجنح إليها في صنع هذا

---

[1]- عبد العلي الودغيري، دراسات معجمية، ص 11.

[2]- حسن نصّار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، ج2، ص 164.

المعجم لن تكون تقليدية، وهذا يعني أنّها لن تعتمد على النقل الكلّي من التراث المعجمي، بل سيسهر القائمون عليها على استخراج دلالتها من بطون المظان اللغوية والأدبية والتاريخية وغيرها مقتنصين تطوّرها، متتبّعين دلالتها في ضوء السّياقات المتنوعة وصولاً بها إلى آخر استخدام[1].

فهدف هذا المعجم يتمثل في الوصف الدقيق لمعنى الكلمة، وأصلها، وتاريخها وتحقيق ما يلي:

- يبيّن كل كلمة: متى صارت عربية وبأية مدلول، والتطوّر الذي لحقها في المبنى والمعنى، وأيّ استعمالاتها هُجِرَ على مرّ الزمن، أو الاستعمالات الجديدة وكيفيتها وضبط زمنها.
- تصوير هذه الحقائق بمجموعة من الشواهد، يمتد زمنها منذ استخدامها الأوّل الذي ظهرت فيه الكلمة إلى آخر ما وصلت إليه.
- معالجة أصل كل كلمة على أساس الحقيقة التاريخية وحدها، ووفقاً لمناهج علم اللغة الحديث ونتائجه[2].

ويتوقّف تسجيل التغيّر الحاصل في مباني ألفاظ العربية ومعانيها على تقسيم الزمن الذي عاشت فيه اللغة – من بدايتها إلى نهايتها في العصر الحديث- إلى مراحل زمنية محددة، وقد تعدّدت رؤى مؤرخي اللغة العربية في تحديد مراحل حياتها أو عصورها، ومنهم من يحدّده على النحو التالي:

أ- **العصر الجاهلي**: عصر استواء اللغة العربية الفصحى المشتركة بين قبائل شبه الجزيرة العربية، فيما يعرف بلغة الشعر الجاهلي، الذي يرجع أقدمه إلى ما قبل الإسلام بنحو قرنين.

ب- **العصر الإسلامي**: منذ ظهور الإسلام إلى سقوط دولة بني أميّة سنة 750م/ 132هـ.

---

[1]- ينظر، مهدي أسعد عرّار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص 181.

[2]- ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، دراسات منهجية، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2006، وينظر: المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج2، ص615.

ت- **العصر العباسي**: منذ بداية بني العباس حتى انهيارها وسقوط بغداد سنة 1258م.

ث- **عصر الدول والإمارات**: من نهاية العصر العباسي حتى نهاية الدول العثمانية مع ظهور الاستعمار الأوروبي للعالم العربي في القرن التاسع عشر الميلادي.

ج- **عصر النهضة الحديثة**: من ولاية محمد علي بمصر 1220 هـ حتى اليوم[1].

أما فيما يتعلق بمصادر المعجم التاريخي فهي تتمثل فيما يلي:

- النّصوص التي وصلتنا عبر حضارات العرب القديمة، وهي تمثل الجوانب الحضارية بمختلف ألوانها الثقافية والاجتماعية والدينية.
- نصوص الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وصولاً إلى العصر الحديث.
- نصّ القرآن الكريم الذي يمثل العربية الفصحى.
- نصوص لهجات القبائل العربية الضاربة في القدم التي احتفظت بخصائص اللغة القديمة.
- المصنَّفات في ميادين التفسير وعلوم الحديث، والبلاغة والنّحو والصّرف والفلسفة، والاقتصاد والجغرافيا والفلك وبقية العلوم والمعارف التي أنتجتها العقلية العربية على امتداد فترة زمنية بعيدة، إضافة إلى ما وضعه علماء العرب في ميدان الصناعة المعجمية[2].

ويمكن تلخيص خطوات تصنيف المعجم التاريخي، بعد الاطلاع على عدد من الدراسات المتعلقة بتأليف المعاجم التاريخية في اللغات العالمية كالتالي:

[1]- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ص 175.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، ص ص 591- 592.

- تحديد عصور تطور اللّغة: وهذا التحديد لا يكون بصورة اعتباطية، وإنما يراعي الحدود التاريخية عند التحولات الثقافية واللغوية الكبرى التي تؤثر في ألفاظ اللغة شكلاً ومضموناً.

- إعداد قائمة بالمصادر والمراجع من المخطوطات والمطبوعات الموثّقة وتشمل هذه القائمة على عنوان المصدر، واسم مؤلفه، وتاريخ العصر الذي ينتمي إليه.

- إنشاء مدوّنة لغويّة محسوسة: ويتم اختيار هذه المدونة من قائمة المصادر الموثّقة، على أن تكون متوازنة من حيث انتماؤها الموضوعي، والتاريخي، والجغرافي والاجتماعي، فيجب أن تنتمي إلى جميع عصور اللغة وإلى جميع البلدان الناطقين بها، وتغطي جميع فروع المعرفة من أدب وعلوم وفنون.

- استخلاص جذور الكلمات ومشتقاتها والتعبيرات التي تدخل فيها من المدوّنة اللغوية فجميع ألفاظ مداخل المعجم الرّئيسية يتم اقتباسها من المدوّنة اللغوية.

- تكوين قاعدة شواهد موثّقة على مداخل المعجم: فيتمّ اختيار هذه الشواهد من المدوّنة بحيث توضّح تطوّر معاني ألفاظ المداخل واستعمالاتها عبر عصور اللّغة.

- تحرير مداخل المعجم: وذلك بإعطاء الشروح اللازمة المتعلّقة بتطوّر شكل الألفاظ ومعانيها، واستعمالاتها انطلاقاً من الشواهد عليها[1].

ومن أهمّ المحاولات لإنشاء معجم تاريخي للغة العربية:

- **محاولة أوجستن فيشر**: أحد كبار المستشرقين الألمان، وحجّة في اللغات الشرقية من عربية وعبريّة وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها، واعتنى بالدراسات العربية منذ عام 1899م[2].

---

[1]- ينظر، علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة ناشرون، ط1، 2008، ص ص 711-713.

[2]- زين كامل الخُوَيسيكي، مختارات لسانية، ص 129.

وقد عنى أوجستن فيشر بالمعجم العربي منذ أخريات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وعاش معه نحو خمسين عاماً، إذ حاول أن يضع معجماً تاريخياً للعربية الفصحى، وقد بدأ التفكير فيه عام 1907م، وعرضه أمام مؤتمر المستشرقين الدولي عام 1912م، ولكن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أدت إلى توقف المشروع، وحين أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1932م، قرّر تبني مشروع (فيشر) وإمداده بالدعم اللازم والمساعدين المتخصصين، وذلك بعد أن قدّم (فيشر) للمجمع نموذجاً لمعجمه هو الثلث الأوّل من مادة "أخَذَ" مشفوعاً بمراجعه ورموزه، فنوقش ووافق عليه الأعضاء، وقرر رئيس المجمع آنذاك تأليف لجنة للعمل مع فيشر في مراجعة معجمه، فانتقل (فيشر) إلى القاهرة، ولكن الحرب العالمية اضطرته للعودة إلى ألمانيا، وقبل أن يسافر كان قد أعد مقدمته والجزء الأوّل منه، وكان الأمل أن يعود (فيشر) إلى مصر بعد الحرب ليتم ما بدأ، إلا أن المرض أقعده، ثم عالجته المنية وتوفي عام 1949م[1].

ويمكن تلخيص المنهج الذي رسمه (فيشر) لمعجمه على النحو التالي:

- الرجوع إلى الواقع اللغوي المسجّل، والمحدد بعصور معينة مع البدء بالكتابة المنقوشة المعروفة بنقوش النّمارة في القرن الرابع الميلادي إلى نهاية القرن الثالث الهجري وهو القرن الذي اعتبره المجمع اللغوي منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال[2]، فيكون بذلك النطاق الزمني للمعجم التاريخي حسبه هو ستة قرون تقريباً من نقش النمارة في القرن الرابع الميلادي إلى القرن التاسع الميلادي والثالث الهجري.

- تحديد المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة أو التركيب، كلغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأسلوب الشعر والنثر والتاريخ والفنون وغيرها، وفي هذا يقول (فيشر): « يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية والجغرافية

[1]- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ص52.
[2]- حسين نصّار، المعجم العربي، نشأته وتطوّره، ج2، ص 587.

وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردى وعلى النّقود... وقد استثنيت من ذلك في الغالب الكتب الفنية إلا أني توسعت في أخذ المصطلحات منها»[1].

- مراعاة ترتيب المعاني المتعددة للكلمة فتقديم المعنى العام على الخاص والحسّي على العقلي والحقيقي على المجازي ونحو ذلك[2].
- ترتيب الكلمات على حسب الترتيب المألوف بحروف الهجاء العربية على اعتبار الحرف الأوّل والثاني والثالث أساساً، ويبدأ المادة بذكر الفعل المجرّد ثم المزيد وذكر الأسماء كلّها بعد الأفعال سواء كانت مشتقة أم جامدة[3].
- محاولة تنظيم وترتيب الصيغ والمفردات تحت المادة الواحدة، إبانة العلاقة بين المادة العربية ونظيرتها من اللغات السامية الأخرى[4].
- محاولة إتباع الشرح باللغة العربية بالترجمة المختصرة الانجليزية أو الفرنسية زيادة في الإيضاح[5].

ونشير إلى المصاعب التي حالت دون أن يستكمل المجمع اللغوي بالقاهرة مشروع المعجم التاريخي الذي بدأه (فيشر) والتي تمثلت في طول المدة التي عاشتها العربية واتساع رقعة الأرض التي عاشت فيها، وأن المصادر التي ينبغي الرجوع إليها لاستقراء مادتها تكاد لا تنحصر[6].

المعجم الكبير: لقي المعجم الكبير عناية أكبر مما لقيته المعجمات السّابقة إذ ألّف المجمع اللغوي بالقاهرة منذ أيامه الأولى إحدى عشرة لجنة لمختلف وجوه نشاطه، كان منها لجنة المعجم[7].

1- حسين نصّار، المعجم العربي، نشأته وتطوّره، ص 588.
2- زين كامل الخويسكي، مختارات لسانية، ص 131.
3- حسين نصّار، المعجم العربي، ج2، ص 589.
4- شرف الدين الرّاجحي، في علم اللغة العام، ص 131.
5- زين كامل الخويسكي، مختارات لسانية، ص 132.
6- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية، ص 236.
7- حسين نصّار، المعجم العربي، ج2، ص 590.

وقد قرّر المجمع حين أراد الأخذ في وضع هذا المعجم أنّه لن يكون معجماً تاريخياً للغة العربيّة، لأنّ المعجم التاريخي يحتاج إلى أعمالٍ تمهيدية لم يؤخذ فيها بعد[1].

ومع ذلك فإنّ المعجم الكبير عامٌّ وشاملٌ ويحتوي خصائص المعاجم القديمة ومتطلبات الحياة الحديثة، ويمتاز المعجم الكبير بجوانب ثلاثة أساسية:

- **جانب منهجي:** هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب، وتمّ ذلك بإتباع الترتيب الألفبائي المألوف في المواد من حروفها الأصلية الأولى إلى الأخيرة، وإتباع ترتيب صارم للصيغة داخل كل مادة.

- **جانب لغوي:** بتصوير اللغة تصويراً كاملاً، فيجد طلاب القديم حاجتهم، ويقف عشاق الحديث على ضالتهم.

- **جانب موسوعي:** بتقديم ألوان من العلوم والفنون والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام[2].

أما مادة المعجم الكبير فهي – غالباً– اللغة العربية الفصحى، مأخوذة أساساً من المعاجم العربية القديمة، ومن مصادر أخرى كالقرآن الكريم والحديث الشريف، مع الاعتداد ببعض المولّد والمحدّب والمعرّب[3].

والمعجم الكبير مع استشهاده ببعض المولّد لا يذكر شيئاً فيما يتصل بالتطوّر اللغوي للمباني والمعاني من مبنى إلى مبنى، ومن معنى إلى معنى بتغيّر العصور، في حين أنّ المعجم التاريخي لا بدّ له أن يسجّل ما حدث من تغيُّر في بنية هذه النصوص ومعانيها وقد التزم المعجم بما يلي:

---

[1] – محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية، ص 68.

[2] – حسين نصّار، المعجم العربي، ج2، ص 591.

[3] – محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ص 70.

- تصدير كلّ مادة بمعانيها الرّئيسية إجمالاً ثم يتناول كلاًّ منها تفصيلاً
- ذكر أصل المادّة أو أصولها في الساميات إن كانت تمت إليها بصلة.
- ردّ الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية إلى أصولها.
- ترتيب المادة بحسب المعاني الكبرى، مع التدرّج من المدلولات المادية إلى المدلولات المعنوية.
- يستشهد على ألفاظ المعجم بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور وترتيب الشواهد ترتيباً تاريخياً بقدر الإمكان.
- ذكر ما لا بدّ من ذكره من الأعلام والتعريف بها في إيجازٍ، وكذلك أسماء الأمكنة.
- الإشارة إلى المراجع حين يكون ذلك مفيداً.
- العناية بالضبط والشكل[1].

والحقّ أن هذا المعجم إذا طبق المنهج بتفصيلاته كلّها التي ورد ذكرها في مقدمته – وإن طبّق بعضها أو أكثرها فيما صدر من أجزاء– ولو جُمِعت له المظان المختلفة من النقوش الجاهلية إلى قصص أيام العرب وخُطب حكماء العرب وشعر شعرائهم في جاهليّتهم، مروراً بعهد الوحي وصدر الإسلام إلى الزمن الذي يقرّره المجمع ومؤتمره، واستعمل في ذلك الحاسوب مع خبراء متخصّصين لكان بين أيدينا معجمنا الكبير في طبعته الجديدة ولكان معجماً تاريخياً بحقٍّ، ولكُنّا السبّاقين إلى إصدار معجم تاريخي هو معجمنا الكبير، الذي لا يحتاج إلى مراجعة واستكمال تطبيق أسس المنهجية التي نصّ عليها في مقدمته[2].

---

[1] – أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988، ص324.

[2] – محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي، ص 69.

4- نشأة نظرية الحقول الدلالية.

4-1 نظرية الحقوق الدلالية عند العرب القدامى:

عندما نؤرّخ لنظرية الحقول الدلالية العربية، فإننا نجد في التراث اللغوي العربي ما يشير من قريب أو بعيد إلى المصطلح والذي يذكر بالضرورة هو أن اللغويين العرب القدماء تفطنوا تطبيقا وممارسة في وقت مبكر إلى فكرة الحقول[1].

ويعود ذلك إلى: « أنّ منهج تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية، صار أكثر المناهج حداثة في علم المعاني لأنه يتجاوز تحديد البنية الداخلية لمدلولات عددٍ منها»[2]. ومنها ما يدلّ على أنواع الموجودات كالنباتات والحيوان والإنسان والوحوش والطّير، وأنواع أخرى، فيما عدا الإنسان من السّباع والهوام والسّوام والحشرات والجوارح، وضمّ هذا التصنيف الأخلاق والمشاعر مثل المكارم والمثالب والمحاسن والمساوئ والفرح والحزن[3].

فاللغويون العرب القدامى، جمعوا اللغة من مصادرها الأصلية ومنابعها الصّافية وتميّزهم بين أرباب الفصاحة وانتهائهم من البحث الميداني غلبت عليهم نزعة التضييق والتبويب، فأخذ كل عالم يجمع مادة من الموضوع الذي يودّ التصنيف فيه.

وممّا لا شك فيه أنّ بداية ظهور معاجم المعاني هو ما ألف من الرّسائل اللّغوية مثل خلق الإنسان والنّبات والإبل والشاة والخيل للأصمعي (ت 216 هـ) واللّبن والمطر والشجر لأبي زيد (224 هـ) والنّبات لأبي حنيفة الدّينوري (ت 282 هـ)، كما ألّف أيضا في اللّباس والطعام والمعدّيات والأنواء والسحاب والشجر وهي رسائل ضمت مجموعات دلالية تعلقت بموضوع واحد، وكانت هذه الأعمال اللّبنة الأولى والأساسية في وضع المعاجم العربية[4].

---

[1] - ينظر، أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية، منشورات العرب، دمشق، سورية، 2002، ص 16.

[2] - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 307.

[3] - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 17.

[4] - ينظر، حسين نصّار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 122.

كما اشتهر أيضا في هذه المرحلة، ابن السكيت (ت 244 هـ) في هذا اللّون من التأليف بالإضافة إلى أبي حاتم السّجستاني (ت 248 هـ) وابن خالويه (ت 370 هـ) وكتب أحمد بن وتد (ت 299 هـ) عن النّبات والأنواء، وألف بن دُرَيد (ت 321 هـ) في السّرج واللّحام والمطر والسحاب[1].

ومن ثمّ كانت معاجم المعاني أو الموضوعات، نتيجة لهذه الرّسائل، إذ اكتمل التأليف فيها في منتصف القرن الخامس الهجري، نذكر منها، (الغريب المنصف) لأبي عبيد القاسم بن سلامة (ت 224 هـ) و(مبادئ اللغة) للإسكافي (ت 421 هـ) و(تهذيب الألفاظ) لابن السكيت (ت 244 هـ) و(المخصّص) لابن سيّدِه (ت 458 هـ) و(أساس البلاغة) للزمخشري (ت 585 هـ)[2].

وهناك بعض اللغويين القدامى من ضموا تلك الرسائل الدلالية وذات الموضوعات المفردة إلى معاجم مع الإبقاء على التصنيف الدّلالي، ومثالنا على ذلك (فقه اللغة وسرّ العربية) للثعالبي (ت 429 هـ).

ولكن الجزم بأنّ التأليف العام المتعلّق بالمعاجم المختلفة يعود إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 173 هـ) في كتابه الشهير (العين) ولم يبدأ إلاّ حين انتهى التأليف الخاص بالرسائل.

ولكن ما يمكن الإشارة إليه هو أنّ تلك المرحلة الخاصة سبقت المرحلة العامّة في التفكير أولاً ثم في التأليف ثانياً.

إلا أن الرّسائل اللغوية، تبقى النواة الأولى للتأليف في معجم المعاني وخير ما نستشهد به هنا:

أ– **معجم المخصّص لابن سيّدِه:** والذي يعتبر أكمل صورة وأضخم عمل تتجلى فيه فكرة الحقول الدلالية التي يمكن تقسيمها إلى أربع مجالات دلالية عامة هي كالتالي:

[1] – أحمد عزوز، أصول تراثية في الحقول الدلالية، ص 17.

[2] – أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 300.

- **الإنسان**: الصّفات الخلقية والخُلقية، نشاطه وعلاقاته ومعتقداته.
- **الحيوان**: الخيل، الإبل، الأغنام، الوحوش، السّباع، الهوام، وغيرها.
- **الطّبيعة**: السّماء، المطر، الأنواء، أنواع النّباتات وغيرها.
- **الماديات**: المعادن، السّلاح، الطعام، المسكن وغيرها[1].

وعلى الرغم من المآخذ التي سُجّلت عليه، إلا أنه غلب عليه طابع الجمع، ولم يصل فيه إلى منهج ذي أسس علمية في جمع مفردات اللغة العربية، كتعريف المواد وتعريف المداخل، وضبط العلاقات بين كلمات الحقل وضبط العلاقات بين كلمات الحقل الواحد[2]، إلا أنّ ذلك لا ينقص من شأنه وقيمته لأنّه جاء في وقت مبكر جداً لم تكن فيه مناهج البحث والتصنيف متطوّرة، بالإضافة إلى أن تلك الأعمال ظلّت جهوداً فريدة، كما أنّه امتاز بالتنوع في الموضوعات والتعدد في المجالات[3]، وكما أنّ (المخصّص) احتفظ بأهمية خاصة من بين المعاجم نظراً للطريقة التي تناول بها المادة اللغوية داخل معجمه، إذ عبّر عنها ابن سيّده قائلاً: « إنّه قدّم الأعمّ فالأعم على الأخصّ فالأخصّ، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجوهر والتقفية بالأغراض مع ما يستحقّه من التقديم والتأخير، وتقديمنا كمْ على كَيْف وشدّة المحافظة في ذلك التقيّد والتحليل...»[4].

معتمداً في ذلك على أمهات الآراء ومراكز الاهتمام، فكان أوفرها مادة وأحكمها بأهمية مماثِلة، لكونه أوّل عمل ينجح في تحقيق محاولة معجمية تقوم على أساس التصنيف الإيديولوجي، إذ أخذ بعين الاعتبار محاولة (Roger) في معجمه ومحاولات عديدة أجريت في هذا الاتجاه وباءت بالفشل[5]. وبالتالي لم يظهر في أوروبا هذا النوع من المعاجم كالذي ألفه ابن سيّدِه.

---

[1] – أحمد عزوز، أصول تراثية، ص 302.

[2] – نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مجلة المنهج، المملكة العربية السعودية، العدد 55، المجلد 60، 1998، ص 110.

[3] – المرجع نفسه، ص 113.

[4] – ابن سيّدِه، المخصّص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ص 10.

[5] – ينظر، معجم الحقول الدلالية، جذورها في التراث العربي، مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، 1992، ص 224.

بالإضافة إلى كل ما ذكرنا، فالمخصّص يعدّ معجماً للحقول الدلالية دون منافس في اللغة العربية، وهو الكتاب الّذي يضم في ثناياه زخماً كثيفاً من الحقول المصنَّفة وفق مقاييس متنوّعة: تفريع الكلمات من حيث العلامات الصوتيّة، فأفرد له قسماً هاماً، وهو يتنوّع بتنوّع الأبنية المحورية للتفريع، ومن ذلك حقل خاص بالثنائية فعَل/فُعُل الذي يمكن بيانه بالشكل الآتي[1]:

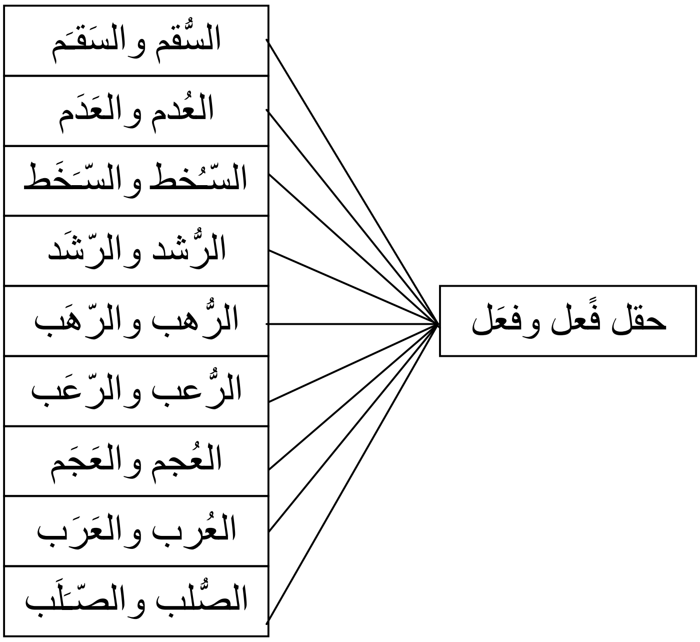

(2)

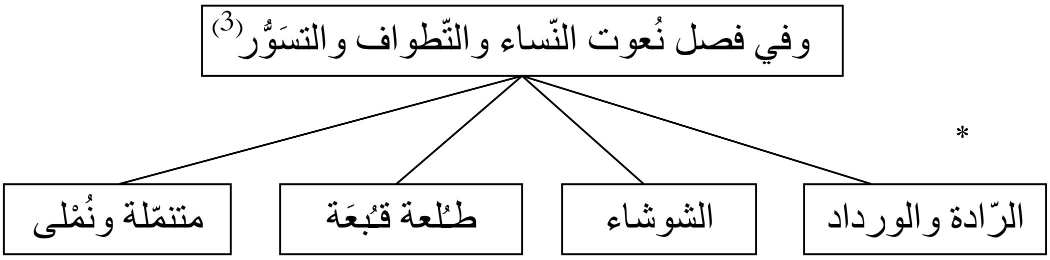

*

[1] – أحمد عزوز، نظرية الحقول الدلالية، دراسة تأسيسية تطبيقية، ص 136.

[2] – أ حمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص 70.

[3] – ابن سيّده، المخصّص، ج1، ص 29.

* – الرّادة: هي الطّوافة في بيوت جاراتها، شوشاء: تُعاب بذلك إذا كانت تدخل بيوت الجيران، طلْعة قُبّعة: تطلع ثم تقبع رأسها كثيراً، متنمّلة ونُملى: لا تستقر في مكان.

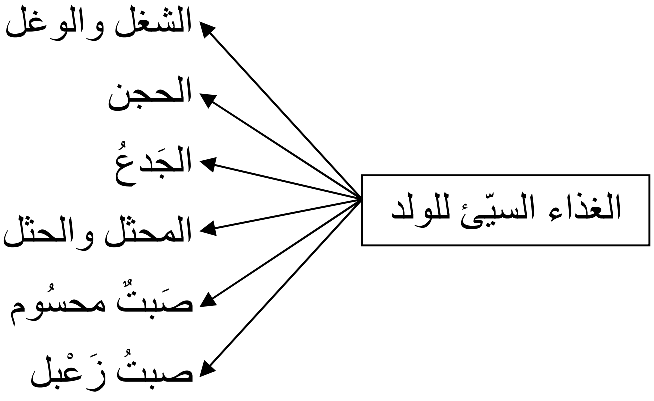

من المعاجم المتخصّصة والتي تدخل في خانة تأسيس نظرية الحقول الدلالية عند العرب ما ألّف في مجال خلق الإنسان وهي:

1- كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي (ت 216 هـ).

2- كتاب (خلق الإنسان) للزّجاج (ت 310 هـ).

3- كتاب (خلق الإنسان) للاستكشافي (ت 421 هـ)[1].

ب- كتاب خلق الإنسان للأصمعي:

هو أوّل كتاب يصل متكاملاً في هذا الموضوع وهو يضم الحمل والوردة، وأعمار الإنسان وأسماء جماعة الخلق، والبطن، واليد والرِّجل، وأعضاء التناسل عند الرجل والمرأة، وأوصاف أخرى عامّة عن كلّ منها.

وممّا تميّز به هذا الكتاب، هو عناية الأصمعي بالوصف التشريحي لجسم الإنسان من الخارج والداخل على السواء وإشارته إلى الأعضاء وأدقّ خصائصها[2].

[1] - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 18.

[2] - المرجع نفسه، ص 18.

كما أنه يعتمد في كتابه على إيراد الكلمات الخاصّة بكلّ عضو دون ترتيب، وذكر كل معنى على حدة، كما يكرّر أحياناً عن طريق ذكر شيء ثم الاستطراد إلى شيء آخر.

إلاّ أنّ كتاب الأصمعي يعدّ مصدراً لغوياً مهمّاً، استقى منه العلماء الذين ألقوا في الموضوع نفسه، فمنهم من أشار إليه ومنهم من نقل عنه دون توثيق يذكر[1].

ت- كتاب خلق الإنسان للزّجاج: قسمه مؤلفه إلى بابين وهي:

- باب كل عضو ومن تحدث عنه.
- باب صفات هذا العضو أو ذاك.

والملاحظ أنه نقل عن الأصمعي وثابت فيما يتعلق بالمادة اللغوية وطريقة عرضها أو منهجها، إلا أنه حذف الحمل والولادة وأسماء الإنسان في مختلف مراحل عمره[2].

ومن المعاجم المرتبة على أبواب المعاني أو الحقول الدلالية، كتاب (الألفاظ) لابن السُّكيت (ت 244 هـ) إذ ذكر فيه باب الفنّ والخصب، وباب الفقر والجدب، وباب الجماعة وهكذا وهو يحتوي على مائة وخمسون باباً ضمتّ كل واحدة الألفاظ ذات الصلة بالموضوع عينه مثل الطول والقصر[3].

ث- فقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي (ت 429 هـ):

يعتبر من أهم المعاجم التي تدخل في خانة الدراسات التطبيقية للحقول الدلالية، فهو يضم قسمين:

---

[1] - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 18.

[2] - المرجع نفسه، ص 20.

[3] - عزّ الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللّغوية في التراث العربي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ص 304.

- **القسم الأول:** (فقه اللغة) في ثلاثين باباً ونحو ستمائة فصل، ومن أمثلة الفصول التي اشتملت عليها، التمثيل، الشديدة والشدّة من الأشياء وقد جمع طائفة من المعاني المتقاربة في الباب[1].
- **أمّا القسم الثاني** من كتابه، فقد ضمّ (أسرار العربية) في مجال كلام العرب مع الاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها في ثمانية وتسعين فصلاً، كما لم يعد في إدراج مادته اللغوية على تقسيمه إلى أبواب[2].

وقد عرض الثعالبي مواد معجمه في شكل حقول دلالية تختلف في قصدها، منها ما يبيّن أنواع الآلات والأدوات وأنواع الأسلحة أو أنواع اللّباس، ومنها ما يبيّن مراحل عمر الإنسان أو الحيوان، ومنها ما يبيّن تقسيم الأشياء مختلفة، وفي طيّات هذه المادة نجد عدد غير قليل من المترادفات التي يصرّح المؤلف بوجودها في السلطة[3].

كما أنّه نبّه إلى وجود الألفاظ المعرّبة والدخيلة، وخصّص لها باباً أسماه فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية[4].

وهذه الحقول ليست مقصورة على ما صنّفوه من الرّسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات، بل لقد تجلت مظاهر ذلك أيضا فيما قدّموه من شرح لدلالات بعض الألفاظ في ثنايا مصنّفاتهم المتخلفة، ومنها كتب الشروح اللغوية للشعر، وإذا كانت الحقول الدلالية الواردة بهذه المصنّفات أصغر حجماً من نظيراتها الواردة في المعاجم الموضوعية والرّسائل، فإنّ ذلك لا يُفقدها دلالتها على تنبّه مؤلفيها إلى فكرة الحقول الدلالية، هذا فضلاً عن أنّ هذه المؤلفات - كالشروح مثلاً- لم تصنّف بقصد الحقول الدلالية واستقصاء ألفاظها المختلفة، وإنّما تضمنت ذلك عرضاً[5].

---

[1] - الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، تح: خالد فهمي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 15.

[2] - الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ص 23.

[3] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ص80- 81.

[4] - الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، الباب 29، ص 582.

[5] - عبد الكريم حسن جبل، في علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص 106.

مثال ذلك ما جاء في (المفضليات) من شرح لفظ (الإِسْباءة) الّذي ورد بصفة الجمع في قول سلامة بن جُندل يصف خيل قومه التي يغْزُون عليها:

والعادِيات أسَابيُّ الدّماء بِها

كأنّ أعناقُها أنْصَابُ ترجيب.

وجاء في شرحه: «قال أحمد: الجديّة الطريقة من الدّم لها عرض، فإذا استدقّت فهي ورَقة، والبصيرة: قطعة من دم يُستدلّ بها، على القتل ليس حدّ تعدّ به، والبصيرة تكون صغيرة وكبيرة»[1].

ويضيف الدكتور جبل عبد الكريم حسن قائلاً: « فنلاحظ هنا أنه على الرغم من أن بيت سلامة بن جَنْدل لا يشتمل ممّا قرّه أحمد بن عُبَيد (ت 273 هـ)، إلا على لفظ الأسابي – جمع إسابة–، فإنّ ابن عُبيد لم يكتف ببيان دلالته فحسب، بل بيّن دلالته في ضوء علاقته بألفاظ أخرى تقترب من دلالته اقترابا شديدا، وتنضوي معه تحت حقل دلالي واحد وهي ألفاظ: "الجَدِيَّةُ"، و"الورقةُ" و"البصيرة"، وذلك لتتحرّر الدلالات، وتظهر الفروق، ويؤمَن اللّبس»[2].

وتشترك هذه الألفاظ الأربعة في الدلالة على قطعة (طريقة الدم، ثم تتفارق بعد ذلك، فتختص "الجديّة" بقطعة الدم ذات العَرْض، وتختصّ "الإسْباءةُ" بالقطعة المستدقّة، وتختصّ "الورقة" بالقطعة المستديرة، وأمّا "البصيرة" فإنها تُستعمل في الاستدلال على القتيل، ولا حدّ لها، وهذا ما قرّره بعض اللغويين، قال ابن السّكيت (ت 244 هـ): « قال أبو عمرو الشيباني: البصيرة من الدم: ما استُدِلّ به على الرمية»[3]، وجاء في اللّسان: «والورقُ من الدم، ما استدار منه على الأرض»[4].

---

1 – عبد الكريم حسن جبل، في علم الدلالة، ص 112.

2 – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3 – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4 – نفسه، والصفحة نفسها.

2-4 نظرية الحقول الدلالية عند المحدثين:

أما المحدثين من اللّغويين العرب، فمنهم من اتجه إلى نشر هذا التراث من رسائل ومعاجم وموضوعات أو معاني، لأنها تعتبر ذات أهمية قصوى في إبراز الجذور التأسيسية لنظرية الحقول، ونذكر منها ما قام به (عزة حسين) الذي نشر كتاب (النّوادر) لأبي مسحل الأعرابي في سنة 1961 بدمشق وإبراهيم السّامرائي الذي حقّق كتاب (خلق الإنسان) للزّجاج، وطبعه في بغداد سنة 1963، ونشر رمضان عبد التواب كتاب (البئر) لابن زياد الأعرابي سنة 1970، وحقّق ونشر عبد الله يوسف كتاب (النّبات) للأصمعي سنة 1972.[1]

وهناك من عمد إلى التأليف في هذا الميدان مثل الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة) وقد خصّص الفصل الرابع منه لعرض نظرية الحقول الدلالية من حيث نشأته، أعلامه، وأسس تطبيق المفاهيم في المعاجم الحقولية[2].

واعتُبِرت هذه الدراسة النواة الأولى في مجالات الحقول الدّلالية، وقد أشارت إلى أن أهمية الدراسة تقوم أساساً بتصنيف المفردات مع بيان مدلولاتها، والربط المباشر بين العلاقات الدلالية وبين المفاهيم في كل حقل من الحقول، وقد تميزت هذه الدراسة بالاستقصاء للجانب النظري، كما أنّها تميزت بإيراد الأمثلة الكثيرة في اللغة العربية وعرض الإسهام التراثي الغربي في هذا المجال، وأهم ما توصل إليه الكاتب هو تحديد وتوضيح الحقول الدلالية والربط المباشر بين المفاهيم وبين العلاقة الموجودة بينها، وقد استفدنا كثيراً منها خاصّة في الجانب النظري في تحقيق هذه الدراسة.

وهناك محاولة أخرى في دراسة الحقول الدلالية عند (فريد حيدر) في كتابه (علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية)، ويدخل ضمن الكتب العربية التي عرضت نظرية الحقول الدلالية، إذ خصص

---

[1] – أحمد عزوز، أصول تراثية، ص ص 25- 26.

[2] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 79.

الفصل الثامن من كتابه لعرض هذه الأخيرة، فأفاد في تحليل المفاهيم والعلاقات الدلالية بين مفردات اللغة العربية التي اختارها للتمثيل[1]، وقد تميز عرضه لهذه النظرية بإيراد المآخذ عليها مثل دراسة المعاني، مما قد أكّد الباحث على تفادي أمثال تلك المآخذ كضعف العلاقة التصنيفية أو عدم وجودها بين الأبواب والموضوعات في التصنيف العقلي في المعجم[2].

3-4 نظرية الحقول الدلالية عند الغرب:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأفكار الأولى لنظرية الحقل الدلالي قد بدأت مع مطلع القرن العشرين أثناء اهتمام عدد من اللغويين الأوروبيين ببحث العلاقات الدّلالية بين الكلمات ويعود الفضل الأوّل في التفكير في هذا الميدان إلى (دي سوسير -F. De Saussure)، فيما يخص الاتجاهين الأساسيين في أبحاث علم الدلالة، أي من زاوية الاتصال والبحث[3]. كما يُعدّ الأب الحقيقي لعلم اللّسانيات، فكتابه (الدّروس) يُعدّ بداية جديدة للسانيات التي أراد لها أن تكون علماً سنكرونيا قائماً بذاته، حيث فرّق بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية، وأعطى أهمية كبرى للدراسة الوصفية، خاصة فيما يتعلق بالبحث في نظام العلاقات بين المعاني[4]، وبإقراره أنّ اللغة نظام متكامل أحدث أكبر ثورة لسانية وأهم ابتكار أدى إلى دراسة بنيوية لنسق الأصوات، ومنفذ إلى النّحو، وفتح آفاق جديدة، أما علم الدلالة، الأم الفقيرة للسانيات والمتأخرة الميلاد، والتي بدأ الاهتمام بها منذ أواخر القرن التاسع عشر كما يقول (غريماس)، وبهذا حوّل الاتجاه في الدراسات الدلالية من دراسة المعاني في الكلام إلى دراستها في اللغة[5].

---

1 - ينظر، فريد حيدر، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1998، ص 172.

2 - المرجع نفسه، ص 174.

3 - عدنان بن ذُريل، اللغة والأسلوب دراسة، مراجعة وتقديم: حسن حميد، ط2، 2001، ص 45.

4 - عمار شلوي، الحقول الدّلالية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 2، ص 41.

5 - عمار شلوي، الحقول الدّلالية، ص 42.

وقد بيّن دي سوسير في محاضراته أنّ الكلمة تشكّل نسقاً أو نظاماً، وكل كلمة تستمد وظيفتها تبعاً للعلاقات التي تربطها بالعناصر الأخرى للكلمات في النّسق أو النظام اللغوي، والمفردات لا تفهم من خلال العلاقات الإيجابية التي تقوم بينها وبين باقي مفردات اللّغة فحسب، بل قد يتم فهمها عن طريق العلاقة السلبية أو الخلافات التي تُبعدها عن غيرها من المفردات[1].

وهكذا يتضح أنه هو أوّل من أقرّ بوجود علاقة دلالية بين عدد ما من المدلولات وبعض الأفكار، خاصّة عندما يلفت الانتباه إلى ما يسميه (الرّوابط المشتركة) الموجودة بين الوحدات مثل (خَشِيَ) و(تَوَجَّسَ) و(خافَ)، فهذه الكلمات رغم قلتها تشكّل مجموعة دلالية صغيرة يضمها مفهوم عام وهو (الخوف)، ومثل هذا صار بعد التطوّر والتّحصين، يُعرف بمنهج بناء الحقول الدلالية[2]، وقد لاحظنا أن هذه البنى بعددها الصغير هي نفسها دائما، وكلّ بنية منها تعطي حقلاً مفهوماً وأكد (ليُو واسجربر -Leo Weisgerber) هذا الاتجاه، إذ أثبت التداخل القائم بين المفاهيم والكلمات، فأسماء الألوان مثلاً تشكّل نسقاً، كما أوضح أن طريقة تقسيمها إلى الواقع، تختلف عن طريقة القدماء[3].

وقام (ترايز Trier، أيضا بدراسة تنتمي إلى القطاع المفهومي تناول فيها مفردات المعرفة في اللغة الألمانية الوسيطة، أي بين بداية ونهاية القرن الثالث، ولاحظ أن الحقل المفهومي في هذا المجال كان مغطّى بحقل معجمي يتكون من ثلاث كلمات وهي: wisheit = الحكمة، Kunst = الفن، list = المصطنع[4].

---

[1] - ريمون طحّان، الألسنية العربية، ج1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1981، ص 92.

[2] - عمار شلوي، نظرية الحقول الدلالية، ص 43.

[3] - المرجع نفسه، ص 43.

[4] - المرجع نفسه، ص 45.

وإذا ما جئنا نؤرّخ لنظرية الحقول الدلالية، فبدايتها تعود إلى سنة 1877 مع اللغوي (أولمان -Ullmann)، فقد أشار إلى مصطلح حقل في مقال له بعنوان "تقديم أفكار الحقل اللغوي" إلاّ أنّ (بَالدنجر) أشار إلى (أبل، able) فهو يعتبره أوّل من عرض أفكار الحقل اللغوي بشكل منظم وذلك في مقاله: (مفهوم الحقل اللغوي)، وذلك سنة 1885[1]، وهناك من يرى أن (مايير Mayer) هو من حدّد المفهوم في مقالته المسمّاة (نظم المعنى) سنة 1920 كما حدّد النّظم الدلالية على أنّها ارتباط منتظم لعدد محدود من التغيّرات[2].

ومن وجهة نظره، فقد ميّز بين ثلاث أنواع من نظم المعنى وهي:

- **النّظام الطبيعي**: مثل أسماء الأشجار والحيوانات.
- **النظام الفني**: مثل الألقاب العسكرية، والتي قدم لها دراسة عام 1910، ولاحظ فيها أنّ كل لفظ في قائمة الرتب العسكرية يستمد معناه من موضعه ضمن مجموع المصطلحات التي تؤلّف نظاماً دلالياً[3].
- **النظام شبه فني**: مثل مصطلح الصيادين والحرفيين.

وقد اعتنى الألمان بهذه الأنماط أكثر من غيرهم، ويرى (أولمان) أنّ رائد نظرية الحقول الدلالية في ألمانيا هو (هردر Herder) سنة 1772 الأب الروحي لنظرية الحقول الدلالية[4].

وظهر (هُوبولت -Humbolt) والذي عُرف بالجدّ، وذلك لقيامه بأوّل عمل يتناول دلالات الألفاظ الأنثروبولوجية وذلك في سنة 1836.[5]

---

[1] - معجم الحقول الدلالية وجذورها في التراث العربي، مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، 1992، ص 224.

[2] - المرجع نفسه، ص 225.

[3] - بيار جيرو، علم الدلالة، ص 75.

[4] - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 215.

[5] - المرجع نفسه، ص 214.

إلى أن ظهر قاموس (Roget)، وهو معجم مرتّب حسب المجموعات الدّلالية، فقد وُجِد عند (روجيه) المفردات والجمل الانجليزية في كتابه Roger is theory of inglish words) and phrases) وطبع عام 1952 وأعيد طبعه عشرات المرّات ذُكر في تقديمه أنّه مرتّب على حسب المعاني قُسمت فيه المفردات إلى ستّة مجالات رئيسية يرتبط كل منها بمفهوم عام وهي[1]:

- العلاقات المجرّدة.
- المكان.
- المادّة.
- الفكر.
- الإرادة.
- العواطف.

ثم قسم تلك المجالات الستة إلى ما يندرج تحتها من معاني أو بالأحرى إلى مجالات وسطى يتفرع كلّ منها إلى مجالات صغرى يصل مجموعها إلى 990 مجالا.

ونذكر مثالاً في معجم (روجي Roget) كلمة (Nice) فإنّك سترى تحتها في الفهرس بعض المفردات ذات الظلال المختلفة لمعنى كلمة (nice) والمرادفات التي ستجدها هي: leasing, honorable, exact, good، إنّ كل من هذه الكلمات نفسها تظهر في أحد قوائم المفردات في المتن الرئيسية للقاموس[2].

---

[1] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 286.

[2] – جون لوينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980، ص73.

فمثلاً إذا رجعنا إلى الفقرة التي ترد فيها كلمة (leasing) نجد عموداً من عشارات المكافئات، تعبّر عن ظلال مختلفة لمعنى كلمة (Nice)، وهذا ينطبق أيضا على كل من: exact, good...الخ.

إلاّ أنّنا نعتقد أن أفضل منهج في التصنيف الدلالي، والذي وُصِف بالعالمية، ذلك الذي قدّمه ''Wartburg'' و''Helling'' وقسمت فيه المفاهيم إلى ثلاث مجالات:

- أولها: الكون.
- ثانيها: الإنسان.
- ثالثها: الإنسان والكون[1].

بالإضافة إلى معاجم أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- معجم اللغوي الفرنسي (بواسير Boissier) الموسوم بـ: Dictionnaire analogique de la langue française، أي المعجم القياسي للغة الفرنسية وقد نُشر سنة 1885.[2]
- معجم اللّغوي الألماني (دورنزايف) Dornseiff، وقد ظهر سنة 1933 تحت عنوان (الكلمات الألمانية في مجموعة مبوّبة)، وقد ضمّ عشرين حقلاً دلالياً يحتوي كل منها على حقول فرعية.

- معجم اللغوي الفرنسي (ماكيه) Maquet، الموسوم بـ: Dictionnaire analogique أي المعجم القياسي، رتّب فيه الكلمات وفق الأفكار في قسم منه، كما رتّب الأفكار وفقاً للكلمات في القسم الآخر، وساير معجم (بواسير)، مع الاختلاف بطبيعة الحال في التقسيم، وقد ظهر سنة 1936.[3]

[1]- زكي حسام الدين، التحليل الدّلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000، ص122.

[2]- زين كامل الخوسكي، المجالات الدلالية في القرآن الكريم، (صيغة افتعل)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1989، ص 21.

[3]- المرجع نفسه، ص 22.

- معجم Greek New Testament أي (العهد اليوناني الجديد) قام بتأليفه مجموعة من اللغويين وهو معجم يعدّ من بين أحدث المعاجم التي طبقت نظرية الحقول الدلالية[1]، كما أنّه يعدّ من أهم التصنيفات حتى الآن وأشملها وأكثرها منطقية، إذ ضمّ مجال التصنيف 15000 معنىً و5000 كلمة، وُزِّعت على أربع موضوعات أو أقسام عامة[2].

- الموجودات "Entities"
- الأحداث "Events"
- المجرّدات "Abstracts".
- العلاقات "Relation".

وهناك محاولات أخرى جزئية غطّت حقول معينة ومحددة من المعجم نذكر منها على سبيل المثال:

- ما قام به اللغوي الفرنسي (مونان) Mounin في كتابه الموسوم بـ: Clefs pour la sémantique، إذ تعرض لمجالين دلاليين فقط وهما الحيوانات المنزلية وكلمات المسكن[3].
- دراسة اللغوي الفرنسي (أدِنْسون) Adanson الّذي صنّف علاقات النباتات.
- محاولة عالم الآثار (جاردن) Garden الّذي وضع تصنيفاً للأواني والأدوات.

بيد أن المؤسسين الحقيقيين لفكرة المجال الدلالي بأبعادها الحديثة، إنما وُجِدت عند العلماء الألمانو السويسريين، الذين ظهروا في العشرينات والثلاثينات حيث وضعوا تحديداً دقيقاً للمجال

---

[1] – زين كامل الخوسكي، المجالات الدلالية في القرآن الكريم، (صيغة افتعل)، ص 23.

[2] – عمار شلوي، الحقول الدلالية، ص 47.

[3] – المرجع نفسه، ص 44.

الدلالي خاصة (إبْسُن Ipsen 1924، و(جُولْز) Jolies 1934، و(بوريزك) Porzic 1934، و(ترير) Trier 1934، و(ليو سيجربر) L. Wesgerber، هذا الأخير الذي استمر في تطوير هذه النظرية بعد الحرب العالمية الثانية[1].

4-4 أهمية نظرية الحقول الدلالية و(المعجمية):

إن لنظرية الحقول المعجمية أهمية كبرى في الدراسات اللغوية الحديثة، وتكمن هذه الأهمية في الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه، والاختلاف بين الكلمات التي تنطوي تحت حقل معيّن، وبين المصطلحات التي تجمعها، وإذا كان أقصى ما يحققه المعجم التقليدي هو أن يصف الكلمات في ترتيب هجائي ويسرد كل معاني الكلمة الأساسية والفرعية، فإن معجم الحقول الدلالية يعالج المجموعات المترابطة من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معيّن وهو ما يعبّر عنه المعجم التقليدي.

- تكشف هذه النظرية عن البنية الثقافية لدى أصحاب اللغة التي تتمثل في التصورات والمفاهيم التي تحملها ألفاظ اللغة بوجهيها الروحي والمادي[2].
- إنّ هذا التحليل يمدنا بقائمة من الكلمات لكلّ موضوع على حدة، كما يمدنا بالمميزات الدقيقة للألفاظ، وهذا ما يسهل على المتكلم أو الكاتب اختيار الألفاظ الدقيقة والملائمة التي يروم إليها.
- إنّ هذه النظرية تضع اللغة في شكل تجميعي تركيبي ينفي عنها التشبيه.
- تطبيق هذه النظرية يكشف الكثير من العموميات والأسس التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها كما يقف على أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الشأن[3].

ومن هنا بدا لنا أن دراسة أي تغيير داخل الحقل المعجمي تصحبها لا محالة، دراسة التغيّرات على كافة مجالات الحياة.

---

[1]- زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ص ص 122- 125.

[2]- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2001، ص26.

[3] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص ص 111- 113.

5- مفهوم نظرية الحقول الدلالية.

5-1 تعريف النظرية:

تعدّ نظرية الحقول الدلالية من أهم النظريات الحديثة في العشرينات، وكان هدفها تصنيف المداخل المعجمية أو المعاني وترتيبها وفق نظام خاص، حيث الصلة واضحة بين الكلمات إذ ترتبط الواحدة بالأخرى من الناحية المعنوية، وتعتبر إحدى نقاط التحول الهامة في تاريخ علم الدلالة الحديث.

وقد ظل سائداً أن اللغة في القسم المعجمي ليست سوى ركام من الكلمات المتناثرة لا توجد صلة تربط بين الواحدة والأخرى[1]، لكن بعض الباحثين المحدثين استطاعوا أن يثبتوا عكس ذلك، كما أنّ هذه الصلات لا يخصّ مجموعة من الألفاظ التي يمكن إدراجها ضمن العلاقات الدلالية من قبيل الترادف والاشتراك اللفظي وغيرها، بل تشمل جميع الألفاظ التي تنتمي إلى مجموعة دلالية واحدة، كذلك قد ترتبط هذه المجموعة بمجموعة دلالية أخرى، بحيث تكون هذه الكلمات سلسلة من الحلقات المتصلة حيث ترتبط كل واحدة بالأخرى من الناحية المفهومية[2].

ويعتمد أصحاب هذه النظرية إلى جانب هذه الفكرة على فكرة منطقية أخرى وهي:

- إن المعاني لا توجد منعزلة بعضها عن بعض في الذهن الذي يميل دائما إلى جمع وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تثبت في الذهن دائما بعائلة لغوية "فلفظ إنسان"[3] نفهمه بالإضافة إلى لفظ "حيوان" ولفظ "عاقل" بالإضافة إلى "مجنون" ولفظ "حُلو" بالإضافة إلى "مُرّ" وهكذا، وذلك لأن الأشياء بأضدادها تُعرف.

[1] - ريمون طحان، الألسنية العربية، ص 91.

[2] - ينظر، حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص 143.

[3] - فندريس، اللغة، ص 333.

فالكلمات تختلف في المعنى وذلك لتعددها واختلافها في التسمية كما أن قيمتها لا يمكن تحديدها إلا بمقابلتها مع الكلمات الموجودة معها في الحقل الدلالي ومن هنا تكتسب معناها بدقة.

2-5 مفهوم الحقل المعجمي الدّلالي:

الحقل الدّلالي (Sémantique field) أو الحقل المعجمي (Lexical)، هو مصطلح يطلق على مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها وتشترك جميعاً في التعبير عن المعنى العام تحت الألفاظ التي يجمعها، فمصطلح (لون) في اللغة العربية يضم مجموعة من الألفاظ نحو: أبيض، أسود، أحمر، أخضر... وغيرها[1].

ويعرّف (جورج مونين) G. Mounin، بقوله: « هو مجموعة من المفاهيم تبنى على علائق لسانية مشتركة، ويمكن لها أن تكون بنية من بنى النّظم اللّساني كحقل الألوان، حقل مفهوم الزّمان، حقل مفهوم الكلام وغيرها»[2].

ويعرّفه جون ليونزJ. Lyons، بقوله: « هو مجموعة جزئية لمفردات اللغة»[3].

ولعلّ أشمل التعريفات وأكثرها دقة نجدها عند (أولمان) في قوله: « هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبّر عن مجال معيّن من الخبرة»...[4].

وبناء على هذه التعريفات فإن الحقل الدلالي يتكون من مجموعة من الكلمات المتقاربة في المعنى ويتميز بوجود ملامح دلالية مشتركة، ومن خلالها تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات المجاورة لها، لأنّ الكلمة لا معنى لها بمفردها بل أنّه يتحدّد مع أقرب الكلمات إليها في

[1] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 79.

[2] - ينظر، موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العدد 18- 19، 1982، ص 35.

[3] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 79.

[4] - المرجع نفسه، ص 79.

إطار مجموعة دلالية واحدة، وهو ما عبر عنه (فندريس) قائلاً: « أنّ الذهن يميل دائماً لجمع الكلمات وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع الكلمات»[1].

3-5 العلاقات داخل الحقل المعجمي:

إنّ الدقة في التعبير، وتجنّب اللّبس والغموض في عملية التبليغ والتواصل، يتطلب انفراد كل لفظ من ألفاظ اللغة بمعنى معيّن، وانفراد كل معنى بلفظ معيّن، إلاّ أنّ الحفاظ على هذا المبدأ في اللغات الإنسانية، يعدّ من المستحيلات نتيجة تداخل اللغات والتجاوزات التي يبيحها الإنسان لنفسه، بحيث يعبّر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، فيظهر ما يسمى بالترادف، ويعبّر باللفظ الواحد عن أكثر من معنى، فيظهر ما يعرف بالمشترك اللفظي، كما يعبّر أحيانا باللفظ الواحد عن المعنى وضدّه فيظهر ما يعرف بالتضاد.

أ- الترادف:

- **تعريفه:** يعرف الترادف بأنه تعدّد اللفظ للمعنى الواحد، أو الألفاظ التي اختلفت صيغها وأطلقت على معنى واحد، أو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد، أو اختلاف اللفظين والمعنى واحد[2] مثل: القمح والبُرّ والحِنطة...

وهذا ابن فارس أيضا يعرّفه بأنّه: « اختلاف اللفظ واتفاق المعنى»[3].

- **شروط صحة الترادف:** للترادف شروط يجب أن تتحقّق لضمان صحته، هي:
  - أن يكون الترادف من لغة واحدة لا من لغات متعدّدة[4].

1 - ينظر، فندريس، اللغة، ص 334.
2 - الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 200.
3 - ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة، ص96
4 - شاهين محمد توفيق، المشترك اللغوي - نظرية وتطبيقات، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، مصر، ص 217.

- أن تكون الألفاظ المترادفة متحدة اتحاداً تامّاً في المعنى، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: « فإذا دلّت نصوص اللغة على أنّ بين الألفاظ المختلفة الصّور فروقاً في الدلالة مهما كانت تلك الفروق طفيفة، لا يصلح أن تعدّ من المترادفات لأنّ شرط الترادف الحقيقي هو الاتحاد التام في المعنى»[1].
- أن تكون الألفاظ المترادفة متحدة العصر.
- أن تكون الألفاظ المترادفة دالة على المعنى، دلالة حقيقية، فلا ترادُف بين الحقيقة والمجاز.

- **آراء العلماء في الترادف**: لقد اختلف علماء اللغة في شأن الترادف، كما اختلفوا في غيره من الظواهر اللغوية بحيث أثبته البعض، وأنكره البعض الآخر.
- **الفريق المثبت للترادف**: ويمثله ابن جني، والمبرّد، وابن الأنباري في (الوقف)، وابن دُريد في (الجَمْهَرة) وابن النّحاس في (شرح المعلّقات) والقالي في (الأمالي)، وابن سيّده في (المخصّص) والفيروزأبادي في (الرّوض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف)، والرّازي، وابن السكيت، والرّماني...

يقول ابن جني في باب (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني): « هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدّلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي بالمعنى إلى معنى صاحبه»[2]، غير أن مثبتي الترادف كانوا فريقين، فريق وسع في مفهومه ولم يقيد حدوثه بأي قيود، وفريق آخر كان يقيّد حدوث الترادف، ويضع له شروطا تحُدّ من كثرته، « ومن الأخيرين، الرّازي الذي كان يرى قصر الترادف على

---

[1] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص213.

[2] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص 113.

ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت، فليس من الترادف عنده السيف والصارم لأن في الثانية زيادة في المعنى»[1].

- **الفريق المنكر للترادف**: وممّن أنكر وجود الترادف في العربية أبو علي الفارسي، وثعلب، وابن فارس، وابن الأثير، وأبو هلال العسكري...

وخلاصة ما ذهب إليه هذا الفريق، أنه لا يوجد ترادف في اللغة العربية، بل للمعنى لفظ واحد، والباقي صفات له جرت مجراه لكثرة الاستعمال، أي أن ما يبدو لنا مترادفاً من ألفاظ إلا وبينها فرقٌ في المعنى، فأسماء السّيف مثلاً، فإنّ بعضها من عمله كالحسام والباتر، وبعضها ينسب لبلد كالمهنّد واليماني، وبعضها من لونه كالأبيض، أما موضوع الآلة فهو السيف لا غير»[2].

في هذا الصدد يقول ابن فارس: « ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهنّد والحسام، والّذي نقوله في هذا أن الاسم الواحد هو السّيف وما بعده من الألقاب صفات... وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب»[3].

ونخلص إلى القول أن ادعاء وجود مئات الأسماء للمسمى الواحد أمر مبالغ فيه، كما أن نفي وجود الترادف في اللغة أمر مبالغ فيه أيضاً، فاللغة لا تخلو من مترادفات ونكرانها مجانبٌ لواقع اللغات الإنسانية.

- **عوامل ظهور الترادف**: تتلخص أسباب ظهور الترادف في اللغة العربية وعواملها في:

- تداخل لهجات القبائل العربية، إذ تسمي القبيلة الشيء باسم معيّن وتسمي القبيلة الأخرى الشيء نفسَه باسم آخر، ومن جرّاء احتكاك اللهجات بعضها ببعض، ظهر الترادف[4]، فرواة

[1] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 218.

[2] - شاهين محمد توفيق، المشترك اللغوي، ص 230.

[3] - ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة، ص 96.

[4] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 211.

اللغة لم يقتصروا في جمعهم لمادة اللغة على قبيلة واحدة وإنما على عديدها التي عُرِفت بالفصاحة.

- إن كثيرا من المفردات التي اعتُبِرت مرادفة لمفردات أخرى ومن حيث المعنى ليست موضوعة في الأصل لهذه المعاني، بل أطلقت عليها على سبيل المجاز بمرور الوقت وكثرة الاستعمال تناست وضعها المجازي، واعتبرته وضعاً حقيقياً.

- ينشأ أيضا عندما يوجد لفظان متجاوران في المعنى مع وجود اختلاف بينهما، ثم يختفي هذا الفرق مع طول الاستعمال ويعتبران من الترادف.

- توجد في اللغة ألفاظ تبدو مترابطة إلا أنها غير ذلك بل بينها فروق لا يدركها إلا من كان خبيراً في اللغة، « إذْ تدلّ لفظة منها على حالة معيّنة تختلف كثيراً أو قليلاً على الحالة التي تدلّ عليها غيرها من هذه الألفاظ التي تكون مترادفة»[1].

ب- المشترك اللفظي:

- **تعريفه:** يُعرف بأنّه: « إطلاق اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين، أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[2]، وهو عند الفارابي: «الّذي يقال من أوّل ما وُضِع على أمورٍ كثيرةٍ»[3].
- **شروط صحته:** يشترط لصحة الاشتراك اللفظي أن يكون المعنيان عن طريق الحقيقة لا المجاز بينما يشترط البعض الآخر معاني المشترك، الانتساب إلى لغة واحدة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وألاّ يسبق وضع اللفظ لمعنى من معانيه على وضعه لمعنى آخر[4].

[1] - وافي عبد الواحد، فقه اللغة، ص 174.
[2] - السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 369.
[3] - الفارابي، العبارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1976، ص 2.
[4] - فايز الدّاية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص 81.

- **آراء علماء اللغة في المشترك اللفظي**: لقد اختلف المهتمون بقضايا اللغة في شأن المشترك اللفظي، وانقسموا حوله إلى فريقين: فريق مثبت له مدلّل على وجوده، وفريق منكر له، معلّل لوروده في اللغة بمختلف التعاليل الهادفة إلى نفيه.

- **الفريق المثبت لوجود المشترك اللفظي**: يأتي في مقدمة العلماء المثبتين للمشترك اللفظي، الخليل بن أحمد، سيبويه، الأصمعي، ابن فارس، الثعالبي، المبرّد...

يقول سيبويه: « اعلم أن كلامهم، اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو لَبس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة...»[1].

نقل جلال الدين السيوطي آراء العلماء حول وقوع المشترك اللفظي التي تلخّص فيما يلي:

- أنّه ممكن الوقوع لعدم وجود أي مانع عقلي من وقوعه في اللغة.
- أنه واقع فعلاً لوجوده في اللغة، لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ قد نصّوا أحياناً على أنّ هذا المعنى أصل الوضع، وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعل بعضه أصلاً للوضع أيضاً. وأوجب بعضهم وقوعه لأنّ المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، فيلزم الاشتراك، ويجب وقوعه ليفي بتغطية المدلولات الاجتماعية التي تسبق المدلولات اللغوية، وتجد في المجتمع حتى تفي اللغة بمطالب الحياة[2].

- **الفريق المنكر لوجود المشترك اللفظي**: وهذا الفريق ينتمي أغلب أعضائه إلى الرّعيل اللاحق للأوّل، فقد عمل على تعليل وروده، وتأويل أمثلته تأويلاً يخرجها من باب المشترك، وعلى رأسهم أبو علي الفارسي، الذي ينكر أن يكون مقصوداً في أصل الوضع، وإنما بسبب تداخل اللهجات أو الاستعارة التي تشيع فتصير بمنزلة المعنى الأول، كما أشار ابن دَرَسْتويه أيضاً إلى التطوّر الدلالي الذي يصيب بعض الألفاظ كعلة التفسير ورود المشترك.

---

[1] – سيبويه، الكتاب، ج1، ص 24.

[2] – السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 369.

ولا ننتقل للحديث عن عوامل نشأة المشترك اللفظي دون الإشارة إلى الرأي القائل بأنّ من أسباب ورود المشترك اللفظي هو « كون المعاني غير متناهية والألفاظ محدودة متناهية»[1]، كما تحتاج – في اعتقادنا– إلى المراجعة، لأنّ اللغة ليست جامدة، بل إنها تتصف بالحركية المستمرة وألفاظها متناهية كما تصوّر البعض، لأنها قابلة للإثراء والنمو، والمحدود إنما هو الأصوات اللغوية.

- **عوامل نشأة المشترك اللفظي**:

– اختلاف اللهجات العربية القديمة: فقد تطلق قبيلة لفظاً ما لمعنى معيّن، وتضع قبيلة أخرى نفس اللفظ لمعنى آخر ويشيع استعمال ذلك اللفظ بمعنيين عند القبيلتين، وقد يمتد إلى قبائل أخرى.

– وضع الألفاظ لغرض الإبهام: ويحدث هذا في حالة إرادة المتكلم الإبهام، حيث سيكون التصريح بالحقيقة يسبب المضرّة.

- **المعنى العام للأصول**: يتمثل هذا العامل في كون أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ في العربية للدلالة على معان جديدة ذات معانٍ عامة لذلك، فقد تستعمل هذه الألفاظ للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في المعاني العامة للأصول التي اشتقت منها:

– **الأصلي وغير الأصلي**:إن الحديث على اختلاف اللهجات، وأصل الوضع في المشترك اللفظي، والمعاني العامة للأصول، يقودنا إلى الحديث على الأصلي وغير الأصلي، فالمعروف عن اللغة أنها تسعى دائما للإبانة، وأن المشترك اللفظي لا يكون بأصل الوضع، في أغلب الحالات، وإنما يعود إلى ظروف الاستعمال، وأنّ المعاني المختلفة للفظ الواحد غير متساوية الاستعمال، وليست في درجة واحدة من حيث الشهرة والانتشار، وإنما يكون بعضها أشهر من بعض وأوسع انتشاراً، وانطلاقا من ذلك، فإن ما يستقرّ في

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 76.

ذهن المتكلم أو السامع أن المعنى الشهير للفظ هو الأصل، وأن بقية المعاني أقل منه ارتباطاً بهذا اللفظ.

- **التطوّر الصوتي**: الذي يصيب بعض الأصوات الأصلية للفظ ما، أو الحذف أو الزيادة « التي تلحق بعضها وفقاً لقوانين التطوّر الصوتي، فيترتب عنه اتحاد اللفظ مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله»[1].

- **الاستعارة والمجاز**: ويعلّل بعض العلماء وجود المشترك بالاستعارة والمجاز، ففي رأيهم أن أي لفظ من الألفاظ لم تكن له إلا دلالة واحدة على سبيل الحقيقة، ثم اكتساب دلالات أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز.

- **أثر المشترك اللفظي ومزاياه:** باستطاعة الخبير في اللغة أن يلتجئ إلى المشترك اللفظي ليتخذ مخرجاً من المواقف الحرجة التي قد يقع فيها، ولهذا الغرض ألّف (ابن دُرَيْد) كتابه "المِلاحن"، وجاء في كتاب المشترك اللغوي أن المشترك قد أنقذ « تاريخ البشرية كلها، إذ جاء في الأخبار أن الرّسول –صلى الله عليه وسلم– سار بأصحابه يقصد بَدراً، فلقيه رجل من العرب، فقال: ممّن القوم؟ فقال النبي: من ماء، وأخذ العربي يفكر من ماء؟ لينظر أي بطون العرب يقال لها من ماء؟ فسار لوجهته النبيّ، وكان قصده أن يكتم أمره، وهذا من المغالطة المثالية، لأنه يجوز أن يكون من بطون العرب من يسمى ماء، ويجوز أن خلقهم من ماء»[2]، وفي اللغة العربية أجناس كثيرة من ألوان البيان والبديع جاءت نتاجاً للمشترك اللفظي أصبحت مجال النثر أمام الشعراء والأدباء مثل التجنيس والترصيع والمغالطات المعنوية.

---

[1] – علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 165.

[2] – ابن دريد، الملاحن، نقلا عن شاهين محمد توفيق، المشترك اللغوي – نظرية وتطبيقات، ص 15.

ت- التضاد:

- **تعريفه**: يستخدم مصطلح « تضاد في الدلالة على عكس المعنى»[1]، والأضداد في العربية كلمات تجمع المعنى وضده، يقول ابن فارس: « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجوف للأسود والجوف للأبيض»[2].

- **شروط صحة التضاد**:

  - أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين المتضادين في لغة واحدة.
  - ألاّ تكون الأضداد نتيجة توسّع مجازي ونحوه.
  - أن يكون المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامّة.
  - أن يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب في حوارهم.

- **آراء العلماء في التضاد**: لقد اختلف علماء اللغة في التضاد كما اختلفوا في الترادف والمشترك اللفظي، فقد كانت هذه الظاهرة مثار جدل حادٍّ بينهم، فتعددت آراؤهم وتباينت مذاهبهم في شأنها:

- **المثبتون للأضداد**: وعلى رأسهم الخليل وسيبويه وابن فارس وابن الأنباري والسّيوطي والمبرّد، قال ابن فارس الذي يعدّ من أبرز المدافعين عن الأضداد، وألّف كتاباً لإثباتها، والرّد على المنكرين لها، وفي مقدمتهم ابن درستويه: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد لشيء ضده هذا ليس بشيء، وذلك أنّ الذين رووا أنّ العرب تسمي السيف مهنّداً، والفرس طوقا هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد»[3].

---

[1] - بالمر، علم الدلالة - إطار جديد-، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعارف الجامعية، مصر، 1995، ص 12.

[2] - ابن فارس، الصاحبي، ص7

[3] - المصدر نفسه، ص ص 97- 98.

أما الدكتور إبراهيم السامرائي – وهو من الحدثين، فقد خصّص فصلاً في كتابه (التطوّر اللغوي التاريخي) لموضوع الأضداد، استعرض ما قيل في الأضداد بالنفي والإثبات، يقول: « فكرة التضاد نتيجة التطوّر في الاستعمال ونتيجة الجديد في الدّلالة، ومن أجل هذا، فدراسة الأضداد، تؤلف موضوعا لغوياً تاريخاً من حيث علم الدلالة التاريخية»[1].

- **المنكرون للأضداد:** من اللغويين الذين تصدّروا لظاهرة الأضداد بغية إبطالها وتعليل عدم وجودها في اللغة، ويذهب ابن درستويه إلى أنّ « اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، كما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية»[2]، ويضيف ابن درستويه في ردّه للأضداد وتعليله لورودها يقول: «وإنّما يجيء ذلك في لغتين متباينتين أو لحذف أو اختصار وقع في الكلام حتى لا يشتبه اللفظان، وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ»[3].

- **عوامل ظهور الأضداد في اللغة العربية:**

- تنشأ الأضداد من اختلاف اللهجات، من ذلك لفظ الجوف الذي يطلق على الأبيض في لغة قبيلة ويطلق على الأسود في لغة قبيلة أخرى، ثم أخذت كل قبيلة عن الأخرى.

- استعارة اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازي، فقد يكثر استعمال المنقول وينسى الأصلي ويصبح إطلاقها على ما يقابل « مدلولها الأصلي في قوة استخدام اللفظ في حقيقته»[4].

- اجتماع اللفظين في فكرة واحدة، أو تداخل دلالتي اللفظين.

[1] – إبراهيم السّامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للنشر، ط2، 1983، ص 98.
[2] – السّيوطي، المزهر، ج1، ص 385.
[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 385.
[4] – شاهين محمد توفيق، المشترك اللغوي، ص 173.

- وتنشأ الأضداد كذلك عن عوامل تصريفية واشتقاقية، أو من الصيغ المتشابهة في ظاهرها، المتضادة في معناها، وفقا لاختلاف تصريفها وأصلها، كإطلاق لفظ المختار على الشخص الذي اختار، والشيء المختار أي الفاعل والمفعول.

- الاستعمال الخطأ: وذلك بأن تستعمل لفظة ما استعمالاً خطأ، ويشيع هذا الاستعمال، ويغلب تداوله، من ذلك لفظة البرهة التي تستعمل اليوم بمعنى الفترة القصيرة من الزمن، وهي في الاستعمال القديم بعكس ذلك.

هذه هي أهم العوامل التي ذكرها المتخصصون في الدراسات اللغوية دون أن تحصل كلها على إجماعهم، بحيث أن العامل منها قد يقبله بعضهم ويرفضه آخرون.

ث- أنواع الحقول الدلالية:

إن نظرية الحقول الدلالية لا يهمنا فهم معاني الكلمات فحسب، بل تسعى إلى تصنيف وتقسيم هذه المعاني في حقول دلالية، يقول تشومسكي -Chomsky-:« أن من الهام وضع المفاهيم الممكنة»، ويقول ستورك- Stork-: « إنّ السيمنتيك لا يهتم بإطلاق أسماء فقط، فالأهم من ذلك طريقة تصنيف الأشياء التي ستعطيها الأسماء»[1].

أما تحديد المفهوم التصوّري للحقل فيقوم على تصور ذاتي اعتباطي يتسم بالذاتية إلى حد ما نجده يختلف من باحث لآخر.

أمّا عن أنواع الحقول الدلالية فقد قسمها الدارسون إلى:

- **الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة:** وفيه تكون العلاقات إما ترادفاً مثل: زوجة وحليلة، وإما تضادا كأبيض وأسود[2].

---

[1] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 86.

[2] - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 16.

- **الأوزان الاشتقاقية:** وهي حقول صرفية، تصنّف الوحدات في هذا الحقل بناء على رقابة الكلمات في العلامة الصرفية، وهي في اللغة العربية أوضح منها في غيرها فصيغة فعالة تدل على المهن: جزارة، نجارة[1].
- **أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية**[2].
- **الحقول السنتجماتية syntagmatique**: وتشمل مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبدا في نفس الموقع النحوي مثل: الكلب: نباح، فرس: صهيل، يسمع: أذن، أشقر: شعر[3].
- **الحقول المحسوسة المتصلة:** يمثلها نظام الألوان في اللغات، فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة[4].
- **الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة:** يمثلها نظام العلاقات الأسرية بطرق متنوعة[5].
- **الحقول التجريدية:** تمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية، وهذا الحقل من أهم الحقول، وذلك لارتباطه بالفكر الذي هو دائم التطور والتجديد في تشكيل التصورات التجريدية، ويرى – تَرَيْر Trier– أن الحقول ليست منفصلة، ولكنها متضمنة معا لتشكّل بدورها حقولاً أكبر حتى تحضر المفردات كلها، ومن الممكن تخصيص حقل للحِرف والمهن أو حقل للرياضة، ثم تجمع كل هذه الحقول تحت حقل واحد يشملها وهو النشاطات الإنسانية[6].

[1] – أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 17.

[2] – ينظر، أحمد شامية ونبيلة عباس، محاضرات وتطبيقات علم الدلالة، المدرسة العليا للأساتذة، قسم اللغة العربية وآدابها، ص55.

[3] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[4] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[5] – نفسه، والصفحة نفسها.

[6] – نور الهدى لوشن، علم الدلالة، ص 116.

الفصل الثاني: دراسة دلالية تطبيقية في نص المعلّقة

1) الدّلالة الصرفية.

2) الدّلالة النّحويّة.

3) الحقول الدّلاليّة.

4) العلاقات الدّلاليّة.

تمهيد

إنّ دراسة موضوع "بنية القصيدة" يكشف عن التباين القائم بين مدلول هذا المصطلح في النقد القديم، ومدلوله في النقد الحديث، فقد كان هذا المصطلح في النقد القديم أقرب ما يكون إلى معنى البناء وضمّ الأجزاء إلى الأجزاء بغية الوصول إلى القصيدة النّاجزة، ويشير هذا الفهم إلى الجهد الصّناعي الذي يترتب على الشاعر مزاولته قبل وأثناء بناء القصيدة، وقد بدا هذا واضحاً لدى (ابن طباطبا) وغيره من النقاد القدامى الذين تحدثوا عن بناء القصيدة، وعمّا ينبغي أن تكون عليه، وبدا حديثهم وكأنه حديث عن وجود مفترض وسابق لقصيدة نمطية قائمة في أذهان هؤلاء النقاد، ولم ير (ابن قتيبة) مسوغاً لمتأخر الشعراء في أن يخرجوا عن مذهب المتقدمين، وهنا لا بد من الإشارة إلى آراء الحاتمي حول القصيدة والتي يمكن عدّها إشارات مبكّرة إلى وحدة القصيدة العضوية، هذه القصيدة التي تشبه جسم الإنسان الذي يلحقه الضر وتعفى معالمه إذا طرأ خلل على أحد مكوناته وأجهزته.

ولسنا نحتاج إلى مزيد من القول لنتبيّن أن ما جدّ من تشبيه القصيدة بالكائن الحي لدى عدد وفير من النقاد الغربيين والنقاد العرب المعاصرين، قد سبقهم فيه الحاتِمي، بل زاد عليه أن جعل من هذه الحيوية، وهذا التكامل مقياساً لجودة القصيدة.

والواقع أنّ النظر فيما ذكره النقاد القدامى والبلاغيون حول وحدة القصيدة يقودنا إلى استنتاجات متناقضة، ففي الوقت الذي يسلمون فيه بأن القصيدة تتألف من موضوعات وفقرات وأبيات، يبحثون عما يغاير هذه الصورة بالحديث عن التدرج والتساوق والتناسب والتكامل العضوي واستيفاء القطعة من الشعر، ولكن نقدهم التطبيقي غفل عن هذا، ولم يدركوا عظم الفرق بين ما يقولونه هنا وما يكثرون من ذكره عند الكلام على شرف المعنى، أو حسن التشبيه، أو جودة البيت، أو براعة الاستهلال، أو حسن المقطع، أي أنّ النظرية التجزيئية إلى القصيدة ظلّت قائمة مع وجود هذه الملاحظات.

وبالانتقال إلى الفلاسفة المسلمين، نجد أنّ حديثهم حول القصيدة ووحدتها وبنائها جاء في معرض الحديث عن الخطبة، وقد كان لذلك دورٌ في إثارة عدة قضايا تتصّل بوحدة العمل الفنّي وقيام هذه الوحدة على أساس وحدة الموضوع، ناهيك عن حديثهم حول القصيدة الطويلة والقصيرة ذات الأقسام المتعددة، ومن هؤلاء الفلاسفة (الفارابي) الذي يرى أن بمقدور الشاعر والخطيب المزج بين لغة الشّعر ولغة الخطابة، أما (ابن سينا) فإنه يجعل الفرق بين ما هو شعري وما هو خطابي أكثر وضوحاً، أما (ابن رشد) فقد قسّم الخطبة إلى الأقسام التالية: الصدر، الغرض، الاختصاص، التصديق والخاتمة، وهذه القسمة تعدّ لصالح وحدة القصيدة وكليّتها، كما أن إشاراته إلى ضرورة أن يكون لكل واحد من هذه الأقسام وسطاً في المقدار، تؤكد على ضرورة تناسب أجزاء القصيدة.

غير أنّ ما يؤخذ على الفلاسفة المسلمين أنهم لم يستثمروا آراءهم وأفكارهم الفلسفية المتعلقة بوحدة الخالق ووحدة الوجود للوصول إلى وحدة العمل الفنّي العضوية.

أما مصطلح البنية في النقد الحديث، فقد أصبح يعني صفات وخصائص القصيدة النّاجزة من خلال مكونات هذه القصيدة وما يربط بين هذه المكونات من علاقات ووشائج، وقد بدأ الاهتمام ببنية القصيدة الجاهلية أول الأمر من خلال الحديث عن وحدة هذه القصيدة، وعن وجود مثل هذه الوحدة أو عدمه، ويعتبر مفهوم الوحدة العضوية صدى لنظرية (كولردج) في الخيال، ثم أخذ مصطلح الوحدة العضوية ينتقل ببطءٍ إلى النقد العربي الحديث، إلا أن أهم الدراسات التي اهتمت ببنية القصيدة الجاهلية، هي دراسة (كمال أبو ديب) الذي درس من خلالها حوالي مائة وخمسين نصاً جاهلياً، وهو يعتقد أن عدداً كبيراً من القصائد لا يمتلك وحدة خبيئة تبقى لترك عبر عمليات تحليل تختلف درجة عمقها، رغم أن ذلك يعتمد على التفسير، وفي هذا السياق ينبغي أن نعاين كل قصيدة معاينة مستقلة متعمّقة.

وتعدّ الدراسة الدلالية للنص الأدبي قمة الدراسات اللغوية الحديثة وذلك لأنّها تقلّبه (أيّ النص) على كافة جوانبه لتكشف عن دلالاته الكامنة والخفية، فيتجلى بذلك المعنى الحقيقي

والجوهري المراد له، ولأنّ الدراسة الدّلاليّة تعدّ من أشمل الدراسات وأعمّها فسنسعى في هذا المستوى إلى استخراج الدّلالة الصرفيّة والنّحويّة التي وظّفها الشاعر لمعرفة مدى مساهمة الصّرف والنّحو في تشكيل الدّلالة وصنعها ثم نستخرج المعنى الإيقاعي لمفرداتها والذي هو نوع من الاختبار نجريه للذاكرة بهدف تنشيطها لنعرّج بعد ذلك على مجموعة من التصنيفات الدلالية نجربها للقصيدة كالحقول الدلالية والعلاقات التي تربط عناصرها.

1- الدّلالة الصّرفيّة للمعلّقة:

ويعنى بها « تلك الدلالة التي تعرب عنها مبنى الكلمة»[1]، وللصّرف دور كبير في توضيح النّص وتفسيره، وللأبنية الصّرفيّة دلالات معيّنة كما إن اختلاف أوزان هذه الأبنية تجعل معانيها متعددة ومختلفة فتتمايز وتتباين باختلاف هذه الصّيغ الصّرفيّة، فمنها ما يدل على معانٍ خاصّة كالدّلالة على المبالغة وأحياناً أخرى الدّلالة على اللّزوم والثبوت... الخ من المعاني المختلفة.

وهذا التحويل في الصّيغ الصّرفيّة، أمر ممكن قام به العرب لأسباب عدّة من بينها، قضية الاهتمام بالمعنى، فكان الجانب الدّلالي أساس تحويل بعض الصّيغ الصّرفيّة إلى صيغ أخرى محتملة الوجه في العربية، ومن ذلك التحويل في صيغ الجمع، كأن يوصف المفرد بالجمع، أو أن يوصف الجمع بالمفرد، أو استعمال صيغة جمع القلّة والأصل جمع الكثرة أو استخدام جمع الكثرة والأصل أن يكون جمع القلة، والوصف بالمصدر كذلك مدخل مهم من مداخل التحويل والانزياح التي لجأ إليها العرب في كلامهم، لأنّهم عدّوا الوصف بالمصدر أبلغ في الدّلالة وأعمق في المعنى، لأنّ الموصوف يصير كأنه مخلوق من ذلك الفعل وذلك لكثرة إيّاه[2].

ومنها كذلك تحويل صيغة فاعل إلى صيغ المبالغة المشهورة وهي: فعّال بتشديد العين، ومِفْعال وفعول، وفعيل وفَعِل بفتح الفاء وكسر العين[3]، أو اختيار صيغ معيّنة دون غيرها من الصّيغ المحتملة.

ومن الأمور المهمة هنا أيضاً مسألة الحذف والزيادة في حروف الكلمة وعلاقة ذلك بالمعنى، وقد أشار النّحاة قديماً إلى هذه المسألة فقالوا: « كل زيادة في المبنى يقابلها زيادة في المعنى، في الغالب.

[1] – فريد عوض حيدر، علم الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م، ص 35.

[2] – ابن جني، الخصائص، ج2، ص 203.

[3] – الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص 74.

ومن الأسباب التي ذكرها بعض العلماء في تحويل الصّيغة الصّرفيّة الضّرورة الشعرية[1].

ومن الأسباب الأخرى اهتمامهم بكلام العرب، فهم مثلاً يقولون للكذب مكذوب، وللضعف مضعوف، وليس له عقد رأي ومعقود رأي، فيجعلون المصدر في كثيرٍ من كلامهم مفعولاً[2].

بمعنى أنهم يفعلون ذلك فيجعلون المفعول مكان المصدر، لأنّ العرب كانت تفعله وجرت به ألسنتهم من قبل، وفي هذه الدراسة سوف أناقش هذا العدول أو التحويل في الصّيغ الصّرفيّة في عينات من معلّقة طرفة بن العبد مع تفسير هذه الظاهرة دلالياً.

1-1 التحويل في صيغ الجمع:

استعمل الشاعر صيغ الجمع بصورة واضحة في المعلّقة، من ذلك مثلاً: مطيّهم، حُدُوج، صَحْبِي، خلايَا، سفين، النّواصف، قسّي...[3] وغيرها كثير، والأمر هنا يتعلق بالصيغ التي حصل فيها شيء من التحويل أو خرجت عن المتوقع، ومن ثم كان عدد الألفاظ قليلا بالنسبة لمجموع ألفاظ الجمع التي وردت في المعلقة. ومنها كلمة النّواصف في قول الشاعر:

كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُـدْوَةً   خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ[4]

وهنا يصف الشاعر مراكب المحبوبة غدوة فراقها بسفن ضخمة، بالنّواصف، والنّواصف جمع ناصفة وهي مواضع تتسع من الأودية كالرّحاب، وقال ابن الأعرابي: «هي أرض، وإنّما أراد ناصفة فقال نواصف[5]، فالأصل أن يسير موكب المحبوبة في مكان واحد أو طريق محدّد، ولكنه جمع النّاصفة على نواصف حتى يتناسب مع معنى حدوج وخلايا وسفين، وكلّها جُموع وردت في البيت نفسه على

[1] – ابن عصفور، الممتع في التصريف، ص 140.

[2] – ياقوت محمد سليمان، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفيّة، ص 12.

[3] – ديوان طرفة بن العبد، ص19 وما بعدها.

[4] – المصدر نفسه، ص19.

[5] – ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ص 136.

سبيل التعظيم؛ لهذا الموكب المهيب الذي ضم المعشوقة التي فارقت الدّيار، فوقف يبكي ويبكي إلى الغد كما ورد الشطر الثاني من مطلع المعلّقة عند الأنباري[1].

فكان العدول عن المفرد ناصفة إلى الجمع نواصف تعبيراً عن عظم هذا الموكب الذي لا يتسع له طريق واحد بل هي طرق متعدّدة ونواصف متشعّبة، وربما كان هذا التشعّب فيه إشارة لما كان يعاينه من شتات وضياع بسبب فراقه للمحبوبة.

ومثل هذا الأمر كذلك ورد في البيت التالي:

وطَيٍّ مَحَالٍ كَالحَنِيِّ خُلُوفُهُ   وأَجْرِنَةٌ لـُزَّتْ بِرَأيٍ مُنَضَّدِ

ورد هذا البيت في وصف الناقة يقول: لها فقار مطوية متراصفة متداخلة كأن الأضلاع المتصلة بها (قِسِيّ)، ولها باطن عنق ضمّ وقرن إلى خرز عُنق قد نضد بعضه على بعض[2].

إذن نجد الشاعر بصيغة الجمع مع أنّه يتكلم عن باطن العنق للناقة وهو الجران، وصيغة الجمع هنا كان لها دلالة على التعظيم، ونستطيع أن نشعر من خلال هذه الصيغ وغيرها مكانة الناقة لدى العربي قديماً، وقد جاء هذا الوصف منسجماً مع بقية أوصاف الناقة في المعلّقة، فهي في تراصف عظامها كقنطرة الرّوميّ، ولها فخذان كأنهما بابا منيف مُمَرّد، وجمجمة مثل العلاة... وغيرها من الأوصاف، كلها تدلّ على عِظم وضخامة هذه الناقة القادرة عبور الصحراء المهلكة.

لذلك يقول الشاعر بعد أن ينتهي من وصف الناقة المطوّل:

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي   أَلاَ لَيْتَنِي أَفْدِيْكَ مِنْهَا وأَفْتَدِي[3]

[1] – ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص135.
[2] – الزوزني، شرح المعلقات السّبع، ص 80.
[3] – ديوان طرفة بن العبد، ص 23.

أي على مثل هذه الناقة التي وصفتها لك امضي طريقي وسفري، وهكذا نجد المبالغة الواضحة في أوصاف الناقة التي امتدت من البيت الحادي عشر إلى البيت التاسع والثلاثين، وقد جنحت الألفاظ فيه إلى الوعورة والإغراب، والسّبب في ذلك كما يرى بعض الباحثين «أنّنا بإزاء صراع نفسي محتدم فحواه مجابهة القوة لكل ما هو وعر مهما كانت نتائجه، فكانت الصورة بكل أبعادها المجازية والحقيقية تعبيراً صادقاً وعميقاً عن شحنات من التمرّد حتى في نحت الكلمة كما تعبّر بالشاعر وعورة صحراء ونفس تعاني فضاءات شاسعة من تمازج غريب من الأحاسيس المتراوحة بين جفاء وقوة ولين وضياع»[1].

هذه المبالغات رافقت وصف الناقة للأسباب السّابقة، ولطلك فإننا نلحظ اختلاف أسلوب الشاعر بعد أن انتهى من وصفه للناقة، فقد استعمل صيغة المفرد في البيت التالي وأراد الجمع نحو الطّراف في قوله:

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِـي　　　وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَـدَّدِ[2]

فالشاعر كان يشكو من ظلم أهل قبيلته ونبذهم إيّاه كما يُنبذ البعير الأجرب.

وهكذا نجد أنّ الشاعر قد يعدل عن المفرد أصلا إلى الجمع أو قد يعدل عن الجمع أصلا إلى المفرد والضّابط في ذلك كلّه المعنى ليدلّ على التعظيم في عدوله إلى الجمع أو التحقير في عدوله إلى المفرد.

1-2 العدول عن صيغة فاعل:

يرى اللغويون أن اسم الفاعل هو الأصل وقد يعدل عنه إلى صيغ أخرى منها صيغ المبالغة، قال ابن يعيش: « اعلم أنهم قد نسبوا على غير المنهاج المذكوروذلك لأنّهم لم يأتوا بياء النّسبة،

[1] - عبد الجليل العريض، دراسات وأبحاث، ملتقى البحرين، ص 77.

[2] - ديوان طرفة بن العبد، ص 25 .

لكنّهم يبنون بناءً يدلّ على نحو ما دلّ عليه ياء النسبة... وذلك لأن فاعلاً هو الأصل، وإنّما يعدُل عنه إلى فِعال للمبالغة، فإذا لم ترِد المبالغة جيء به على الأصل لأنّه ليس فيه تكثير»[1].

ولذلك قالت العرب لصاحب اللّبن لابِن، ولصاحب التّمر تامِر، بمعنى: ذو لبن وذو تمر.

وقد جاء في المعلّقة عدول عن صيغة فاعل إلى فُعُول نحو قول الشاعر:

خذولٌ تُراعِي رَبْرَباً بخميلةٍ   تناول أطرافَ البرير وترتدي[2]

شبّه محبوبته بالظبية التي تخلّت عن صواحبها وانفردت ترعى في خميلة تتمايل عليها أغصان الشجر، فغطّتها الأغصان فبدت كالرّداء، والخُذول على وزن فُعول مبالغة الخاذل، قال الأنباري: « وخصّ الخذول لجهتين، لأنّها فزعة ولِهة، ولأنّها منفردة ولو كانت في قطيعها لم يستبن حُسنها»[3]، إذن هو عُدْل إلى لفظ المبالغة كي يتبين حُسنها في حال انفرادها وعزلتها عن باقي القطيع.

وفي وصف الناقة يقول:

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصأْتُهَا   عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[4]

أمُون مبالغة آمن، وقد بالغ الشاعر في جميع أوصاف الناقة كما سبق، ولذلك هي التي يأمن على نفسه معها لشدة تعلقه بها، « فهو يمضي همّه بناقة موثقة الخلق يؤمن عثارها، ثم شبّه عرض عظامها بألواح التابوت، ثم ذكره سوقه إياها بالعصا، ثم شبّه الطريق بالكساء المخطّط، لأنّ فيه أمثال الخطوط العجيبة»[5].

1 – ابن يعيش، شرح المفصّل، ج6، ص 13.
2 – ديوان طرفة، ص 20.
3 – الأنباري، شرح القصائد السّبع الطوال الجاهليات، ص 141.
4 – ديوان طرفة، ص 20.
5 – الزّوزني، شرح المعلّقات السبع، ص 67.

ومن العُدول عن صيغة فاعل كذلك صيغة مِفْعال نحو قول الشاعر:

وإنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَلُوحُ وتَغْتَدِي[1]

مِرقال مِفعال عدول عن مِرقل اسم الفاعل من الرباعي أرْقَل وهو بين السَّيْر والعدو[2]، وهذا العُدول كذلك جاء في سياق وصفه للناقة فناسبت ألفاظ المبالغة الموقف والحال، فجاء وصفه للناقة وصفاً مطولاً فيه تعظيم وإجلال لها، ولا غرو في ذلك فهي تعدّ المعادل الموضوعي للحياة ومحبّتها والتعلق بها عند الرجل في الجاهلية، وكان طرفة متميزاً في وصفه للناقة، وقد عُرِف بأنّه أوصف الجاهليين للإبل، فلا عجب أن يكثر من صيغ المبالغة في هذا الموقف.

وهناك عُدول عن صيغة مفعول إلى صيغة فاعل نحو قول الشاعر الذي ذكرناه من قبل:

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصأْتُهَا عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[3]

لاحِب بمعنى ملحوب وهو الطريق الواضح[4]، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ﴾[5].

1-3 الحذف والزيادة في المبنى:

أ- الحذف:

الحذف هو إسقاط حرف من بناء الكلمة لغرض معنوي أو لفظي ولا يكون اعتباطاً وإنما هو مقصود لغايات معينة، وقد ورد مثال هذا في معلّقة طرفة على النّحو الآتي:

خذولٌ تُراعِي رَبْرَباً بخميلةٍ تَنَاوَل أطرافَ البرير وتَرْتَدِي[6]

---

1 - ديوان طرفة، ص 20.

2 - الزّوزني، شرح المعلقات السبع، ص 75.

3 - ديوان طرفة، ص 20.

4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (لاحب).

5 - سورة الطارق، (الآية 6).

6 - ديوان طرفة، ص 20.

تناول أطراف البرير أصله تتناول، لأنه فعل للمؤنث مستقبل والمعنى في هذا البيت، انّه يشبّه المرأة والمحبوبة بالبقر الوحشي (الخذول) التي خذلت أولادها وأخذت ترعى مع قطيع الظباء والبقر الوحشي وكانت تمدّ عنقها لتأكل في رقّة، لذلك ناسب لفظ (تناول) بحذف التاء الموقف الذي تطلب منها تلك الرّقة والتخفّف من ثقل كلمة تتناول بحذف التاء من أوّلها، ومثال تناول قول الشاعر تشدّد بدلاً من تتشدّد:

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: أَسْمِعِـيْنَا انْبَرَتْ لَنَا   عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَـمْ تَـشَدَّدِ[1]

وذلك في وصفه للجارية التي تسري عنه وعن ندمائه، فإن قالوا لها أسمعينا غناءك أخذت تغنّي بهدوء ووقار بلا تشدّد فناسب اللفظ سياق الحال في هذا البيت فهي صيغة مطروفة أو مطروقة، كأنها لا تقدر على شيء مسترخية لا تشدّد[2]. لذلك ناسب حذف التاء في تتشدّد لما فيها من دلال ورقّة لا تتناسب مع التشدّد، ولا شك هنا أنّ الحذف أيضا ناسب الوزن الشعري المطلوب للبحر الطويل وكذلك الحال في الأبيات السابقة.

ب- الزيادة:

إن زيادة حرف أو أكثر لا تكون عبثاً أو خلواً من الفائدة كما هو الحال في الحذف أيضاً، وإنما لها فائدة معنوية تأكيدية، أو لفظية كاستقامة وزن الشعر، ومن الأمثلة على الزيادة قول الشاعر:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي   وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي[3]

تشرابي تعني شُربي إلا أن تشرابي تعني الكثير، وشربٌ يقع للكثير والقليل، وتفعَال من أوزان المصادر مثل التّقْتال بمعنى القتل، والتنقاد بمعنى النقد.[4]

---

[1] - ديوان طرفة، ص24.

[2] - ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الجاهليات، ص 191.

[3] - ديوان طرفة، ص 25.

[4] - ينظر، النّحاس أبو جعفر، شرح القصائد السبع المشهورات، تح: أحمد خطاب، دار الحرية، بغداد، العراق، 1973، ص261.

يمكننا أن ندرك ما يشعر به طرفة من ثورة على تقاليد مجتمعه جعلته يصرخ بأعلى صوته، أنا أشرُب وأزداد شُربا للخمر وإغراقاً في الملذات...

وفي الحقيقة كان طرفة – كما يرى الدكتور يوسف خليف– يمعن في الفردية التي تنكرها القبائل وترى فيها إجلالاً بالعقد الاجتماعي القائم بينها وبين أبنائها، فشخصية طرفة تبدو في معلقته شخصية الفرد المعتزّ بفرديته إلى أبعد حدود الاعتزاز، وهي فردية كانت تدفعه في أغلب الأحيان إلى القلق والتشاؤم والشك وأحياناً أخرى إلى الإقبال على الحياة والاستمتاع بها والإنفاق الذي يصل إلى درجة الإسراف في سبيلها، لأنه يريد أن يروي نفسه بها قبل أن يدركه الظمأ في الغد المجهول الذي لا يعرف عنه شيئاً[1].

إذن الزيادة في كلمة (تَشْرابي) أوحت لنا بهذه المعاني التي تشير إلى تمرّده على قوانين القبيلة وإمعانه في رفض قيود العشيرة.

وقوله أيضا في هذا الصدد:

كَأَنَّ البُرين والدَّمَاليجَ عُلِّقَت   عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ.[2]

البُرّين الخلاخل، والدّماليج الأساور وواحدتها دُملج ودُمْلوج وتجمع الأولى على دَمالِج والثانية على دَماليج، واختار الشاعر الثانية، ولعلّ الثانية بزيادة حرف فيها أدت معنى التكثير في هذه الأساور التي كانت تلبسها تلك الجارية فبدت كأنها معلقة على شجر أملس كالعُشر أو الخُروع[3].

[1] – ينظر، يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ص 183.
[2] – ديوان طرفة، ص 26.
[3] – أبو جعفر النّحاس، شرح القصائد السّبع المشهورات، ص 268.

فقوة اللفظ أدت إلى قوة المعنى كما يقول ابن جني الذي عقد باباً في الخصائص تحدث فيها عن العلاقة بين قوة اللفظ وقوة المعنى حيث يقول ومنه باب فَعَل وافتعل نحو قَدِر واقتدر فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدِر وكذلك قال أبو العبّاس وهو محض القياس[1].

ت- الوصف بالمصدر:

الوصف بالمصدر أقوى دلالة من الوصف بالاسم أو بالصفة الصريحة، « وذلك لأنّ في المصدر حركة ممتدة على الأزمنة جميعاً، وهذا الامتداد هو الذي يجعل الموصوف بالمصدر كأنه مخلوق من ذلك الفعل، فهو يقوم به ويعتاده ويلازمه في أحواله كلها»[2]، ومن ذلك قول الشاعر:

جَنوحٌ دِفَاقٌ عَـنْدَلٌ ثـُمَّ أُفْرِعَـتْ   لَهَا كَتِفَاهَا فِـي مُعَالىً مُصَعَّـدِ[3]

الدّفاق المندفقة في سيرها، أي المسرعة غاية الإسراع، ودفاق مصدر سماعي لدفق والقياسي قولك دُفوق كقَعَد قُعُود، وجَلَس جُلُوس، وجاء الوصف بالمصدر متناسباً مع غاية الشاعر في المبالغة في أوصاف الناقة التي تربطه بها علاقة متأصّلة تحمل نوعاً من الحبّ والألفة، فهي رفيقة الدرب ومصدر الأمان، ووعاء همومه وأحزانه ولعل ذكرها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة أكبر دليل على ذلك.

ومن الوصف بالمصدر كذلك قوله:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ   خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ[4]

---

[1] - ابن جني، الخصائص، ج3، ص 264.

[2] - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، ط1، د.ت، ص 96.

[3] - ديوان طرفة ابن العبد، ص 22.

[4] - المصدر نفسه، ص 27.

الضّرب مصدر ضَرب، والضّرب يعني الرجل الخفيف اللّحم[1]. يعلو صوت طرفة في هذا البيت فيأتي الوصف بالمصدر مناسباً جداً للتعبير عن غضبه وثورته، لذا وجب أن يستخدم لفظاً يتناسب مع هذه النبرة القوية، ولغة التهديد الواضحة، فهو رجلٌ قويٌّ خفيف الحركة سريع البديهة، وهذا ما عبّر عنه الوصف بالمصدر أبلغ تعبير.

ث- فعيل بمعنى مفعول:

استعمل الشاعر فعيل بمعنى مفعول كما في قوله:

أَخِي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيبَةٍ إِذَا قِيْلَ مَهْلاً قَالَ حَاجِزُهُ قَدِ[2]

الضّريبة بمعنى المضروبة[3]، فسيفه مما يوثق به لا ينصرف عن مضروبة إلا وقد أجهز عليها، لا يحتاج إلى أن يثني لشدة مضائه.

واستعمال فعيل بمعنى مفعول شائعٌ في لغة العرب لما له من أثر في الدلالة على المبالغة والشدة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[4]، فقال تعالى (رجيم) ولم يقل (مرجوم)، لأنّ الرجيم أبلغ من المرجوم، وكذلك نقول فلان جريح إذا كان جرحه أعمق وأبلغ من المجروح، لأن فعيل تدل على ثبوت الصفة في صاحبها.

ج- تذكير الفعل والأصل فيه التأنيث:

وذلك كقول الشاعر في المعلّقة:

سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْـسِ إلاّ لِثَـاتِهِ أُسِفَّوَلَـمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ[5]

[1] - الزّوزني، شرح المعلقات السبع، ص 99.

[2] - ديوان طرفة ابن العبد، ص 28.

[3] - ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطّوال الجاهليات، ص 214.

[4] - سورة الحجر، (الآية 34).

[5] - ديوان طرفة، ص 20.

ذكر الفعل أسف وهو يريد المؤنث لأن المعنى أسفت اللّثات بالكحل وليس الثغر، لأنّ الثغر أبيض سقته إيّاه الشمس أو ضوؤها، فالضمير في سقته يعود على الثغر والضمير في أسِف يعود على اللثات، فقد كان علامة من علامات الجمال عند النساء أن تكون اللثات والشفاه داكنة اللون ليظهر بياض الأسنان، ولذلك كنّ يذرن الكحل على الشفاه واللثات لتظهر الأسنان أشدّ بياضاً ولمعاناً، فثغرها أبيض لامع ولثاثها أسِفت بإثمد، ولم تكْدِمِ في أسنانها بشيء يذهب بريقها وجمالها.

أما السبب في تذكير الفعل أسف – والأصل فيه التأنيث– فيقول ابن النّحاس بأنه جاء حملاً على تذكير الجميع في البيت[1]، ولعل التذكير يضفي على اللثات شيئاً من القوة والتماسك، لأنّ صحة اللّثة في شدتها وتماسكها، وصحتها دليل على صحة الأسنان.

ح– البناء للمجهول:

قد يُحذف الفاعل من الجملة لدواعٍ يقتضيها المقام « بعضهما لفظي كالرغبة في الاختصار في مثل: لما فاز السّباق كُوفِي، أي كافأت الحكومة السّباق مثلاً، وكالمماثلة بين حركات الحروف الأخيرة في السجع نحو: من حُسن عمله عُرِف فضله، والضرورة الشعرية، وبعضها معنوي كالجهل بالفاعل، وكالخوف منه، أو عليه، وممّا يصلح لكل واحد من الثلاثة قولنا: قُتل فلان، من غير ذكر اسم القاتل، وكإيهامه أو تعظيمه بعدم ذكر اسمه على الألسنة صيانة له، أو تحقيره بإهماله، وكعدم تعلق الغرض بذكره حين يكون الغرض المهم هو الفعل، وكشيوعه ومعرفته في مثل: جُبِلت النفوس على حبّ من أحسن إليها، أي جبلها الله وخلقها»[2].

فالأصل أن يأتي الفعل مبنياً للمعلوم، وإذا جاء مبنياً للمجهول ففيه عدولٌ عن الأصل للأسباب السابقة، وقد جيء بأفعال كثيرة مبنية للمجهول في المعلّقة منها: أُسِف، شُكا، أُكمِل،

---

[1] – النّحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ص 218.

[2] – عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص 97.

لُزَّت، أمِرت، أجنِجت، أفرِعَت، افرِدَت،... وغيرها ولكن ما قد يلفت الانتباه، استعماله أكثر من فعل مبني للمجهول في البيت الواحد نحو قوله:

أُمِرَّتْ يَدَاهَا ثمّ أفرِعَت

لَهَا كَتِفَاها في مُعالي مُصَعَدِ[1]

وقد جاء الفعل تكتنِفن وتُشاد مبنياً لمفعولة للتأكيد على المشهد الذي يظهر ضخامة هذه الناقة، فإنّ ضخامتها كقنطرة الرومي التي أقسم ربّها لتؤتينّ من نواحيها حتى تُشاد بقرمد، فلا موجب هنا لذكر الفاعل وإنما يغيّب عن المشهد تماماً لأنّ التركيز إنما يكون على الحدث الذي يصور لنا مدى ضخامة هذه الناقة العجيبة.

وفي البيت التالي جاء الفعلان أمِرت وأجنِحت مبنيان للمجهول كذلك في تصويره ليديها اللتين فُتِلَتا وعضديها اللتين أمْيَلَتا تحت جنبين كأنّهما سقفٌ أسند بعض لبنه إلى بعض[2].

ومن هنا فإن تغييب الفاعل كان ضرورة اقتضاها التركيز على بطلة المشهد التي هي الناقة.

وهكذا نجد أن هذه التحولات الصّرفية أو العُدول عن الأصل المفترَض للصيغ، كان يحمل بين طياته أهدافا معنوية وقيماً دلالية إضافة إلى الجوانب الجمالية والمسيقية التي أضفت على النص جمالاً وقوّة.

---

[1] - ديوان طرفة، ص22

[2] - الزّوزني، شرح المعلقات السبع، ص 82.

2- الدّلالة النحوية في المعلّقة

« وهي النّسب أو العلاقات القائمة بين مواقع الكلمات في الجملة»[1]، فالجانب النّحوي أو المستوى التركيبي يعدّ من الأمور المهمّة في استخراج المعاني المختلفة من الجمل والنصوص، وهذا يفضي إلى حقيقة مؤكدة وهي أنّ « هناك تفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدّلالية، فكما يُمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك بعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر»[2]، وهذا يعني أن الهدف من النحو ليس توالي الألفاظ في النطق، بل الهدف منه هو تناسق الدلالات، إذ ترتبط الكلمات مع بعضها البعض في التركيب وفق القرائن اللفظية والمعنوية حتى تؤدي الغرض المطلوب منها[3]، فالجمل الخبرية والإنشائية من نفي وتعجّب ونداء واستفهام كلها لها دلالات نحوية خاصة يستعملها النّاظم أو الكاتب للتعبير عن شعوره النفسي وحالاته الوجدانية والانفعالية، ولعل هذا النوع من الجمل أي الإنشائية كان من أكثرها طغياناً في معلّقة طرفة، فهو لم يقصد بها الإخبار عن حدث أو عن شيء لا يعرفه السامع، وإنما أراد بها التعبير عن حالات شعورية ونفسية أحسّ بها.

فهي كما قال عنها "محمود عسران": « عبارة عن وعاءٍ يصبّ فيه الشاعر ذَوْبَ إحساسه، فيحمل من نفسه ما يحمل من التصوير والعاطفة والإيقاع معاً فهي ليست مجرد تعبير يرمى من ورائه إلى الإخبار وإنما هي مجمل من المشاعر الموقعة والأفكار المسجّلة»[4]، وهنا يصبح للجملة الإنشائية

---

[1] - ينظر، أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 97.

[2] - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص 113.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

[4] - ينظر، محمود عسران، البنية الإيقاعية في شعر شوقي، مكتبة نشأة المعارف، مصر، 2006، ص 507.

وظيفة هامة جداً وهي الوظيفة الفنية أو الجمالية، ولعلّ هذا هو الدافع الذي وراء إكثار طرفة ابن العبد لهذا النوع من الجمل والأساليب.

2-1 أسلوب الاستفهام:

ومن أهم الأساليب اللغوية التي تمتاز بها المعلقة قوله:

أَلاَ أَيّـُها اللائِمي أَشهَدُ الوَغَى وَأَنْ أشهد اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[1]

ففي هذا البيت جاء باستفهام استنكاري لا يكون جوابه إلا النفي، نفي القدرة على تخليد الشاعر ودفع الموت عنه، ويكرّر ذلك في موضع آخر:

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ[2]

2-2 أسلوب النفي:

كما عمد الشاعر لمجموعة من الأساليب الأخرى لبيان فخره بذاته أبرزها: أسلوبا النفي والإثبات حيث يسند الشاعر لنفسه القيم الإيجابية مستخدماً أسلوب الإثبات، ويجرد عن ذاته القيم السلبية مستخدما أسلوب النفي كما جاء في الأساليب التالية: (لم أكسلِ، لم أتبلّد، لستُ بحلاّل التّلاع مخافة، لا تنكروني، ولا أهل...). وأسلوب الإثبات: (خِلتُ أنّني عُنيتُ، أرفد، تلاقني إلى ذروة البيت الشريف المصَمّدِ).

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التـّلاعِ مَخَافـَةً وَلَكِن مَتـَى يَسْتـَرْفِدِ القـَوْمُ أرْفِدِ[3]

---

[1] – ديوان طرفة بن العبد، ص 33.

[2] – المصدر نفسه، ص 35.

[3] – المصدر نفسه، ص 32.

وفي قوله أيضاً:

إِذَا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَىً؟ خِلْتُ أنَّنِي   عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَـلْ وَلَـمْ أَتـبَـلَّدِ[1]

2-3 أسلوب الاستدراك:

كما في قول الشاعر:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التـّلاعِ مَخَافَـةً   وَلَـكِن مَتـَى يَسْتـَرْفِدِ القـَوْمُ أرْفِدِ[2]

فما بعد (لكن) يبطل حكم ما قبلها، والملاحظ من خلال هذا البيت، أنّ ما قبل (لكن) قيمة سلبيّة بينما الذي بعدها قيمة إيجابية، الأمر الذي يؤكد نفي الشاعر القيم السلبيّة عن ذاته، وترسيخ القيم الإيجابية لها.

ومن الأساليب التي اتصفت بالتراكم في المعلقة، أسلوب الشرط ويظهر جليّا في الأساليب التالية: (إذا القوم قالوا.../ خلت أنّني.../ متى يسترفِد القوم أرفدِ.../ وإنْ يلتق الحيّ... تلاقني)، بحيث شكلت هذه الأساليب الشرطية « مقاربة شكلية ودلالية وتوازنا إيقاعياً»[3].

إِذَا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَىً؟ خِلْتُ أنَّنِي   عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَـلْ وَلَـمْ أَتـبَـلَّدِ[4]

يستخدم الشاعر أسلوب الشرط للفخر بذاته، بما يحمله الشرط من معاني التأكيد، وبما يحمله من معاني التلازم والتواتر، فجواب الشرط واقعٌ ما وقع الشرط، فمتى طلب قوم الشاعر الرَّفْدَ منه رفدَهُم، ومتى استنفروه أجابهم، وعليه فقد استطاع الشاعر من خلال الشرط أن يثبت مجموعة من الصفات ويجعلها ملازمة لذاته، كما جاء في المعاني التالية:

---

[1] – ديوان طرفة بن العبد، ص 31.

[2] – المصدر نفسه، ص 32.

[3] – رزق صلاح، المعلقات العشر، دراسة في التشكيل والتأويل، دار غريب، القاهرة، مصر، 2009، ص 289.

[4] – ديوان طرفة، ص 31.

- إذا القومُ قالوا... خلتُ أنّني... ⟵ صفة النفرة والمساعدة.

- متى يسترفِدِ القومُ أرفِدِ... ⟵ صفة العطاء والإجارة.

- وإن يلتق الحيُّ... تلاقِني ⟵ صفة السّيادة.

وعلى الخصوص إذا ما علمنا أن اللقاء في صدر البيت:

وَإِنْ يَلْتَقِي الحَيُّ الجَمِيْعُ تُلاَقِنِي   إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكَرِيمِ المـُصَمَّدِ[1]

إنما يكون للمفاخرة، وبما أن الشاعر في حالة التفاخر ينتمي للبيت الذي يقصده طلاب الحاجات، فهذا يعني أنه من السادة والأشراف، لأنّ الناس إنما تقصد بيوت الأشراف والسادة لحاجاتها. ومن مواقع أساليب الشرط أيضا في معلقته ما يلي:

مَتَى تَأتِنِي أَصْبَحـْكَ كَـأْساً رَوِيَّةً   وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِياً فـاغْنِ وَازْدَدِ[2]

وما نلاحظه أن الشاعر لا يتوقف عند أسلوب بعينه، بل يحاول حشد أكبر عدد منها لإيصال فلسفته وفكرته، إذ الشاعر صاحب قضية وخطاب لذلك نرى أثر ذلك جلياً في لغته وصياغته، وهي تقود « صاحبها إلى أنماط من السلوك الذي لا يخلو من جرأة ومجازفة واستقلالية»[3]. ولدى موقف المواجهة والاقتناع يأتي بأداة الاستفتاح (ألا) لتعبر عن موف نفسي فيه تدفق تعبيري مشحون بحماسة البدء وقوة الاستهلال، وحسن التخلّص.

أَلاَ أَيُّها اللائِمي أحضر الوَغَى   وَأَنْ أشهد اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[4]

---

[1] - ديوان طرفة، ص 31.

[2] - المصدر نفسه، ص 32.

[3] - رزق صلاح، المعلقات العشر، ص 290.

[4] - ديوان طرفة، ص 33.

بحيث جاء مختوماً بالاستفهام الذي يقصد به النفي والاستحالة، وعجز المخاطَب من منح ما يريده المخاطِب، هل أنت مخلِّدي؟

وينتقل الشاعر بعدها إلى ثلاثيته الفلسفية التي ضمنها أساليب الترتيب والالتفات والإيقاع الموسيقي:

وَلَوْلاَ ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الفَتَى — وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلاتِ بِشَـرْبَةٍ — كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ

وَكَرِّي، إِذَا نَادَى المُضَافُ مُجَنَّباً — كَسِـيدِ الغَضَا نَبَّهْتَـهُ المُتَورِّدِ

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ — بِبَهْكَنَةٍ تَـحْتَ الخِبَـاءِ المُعَمَّدِ[1]

فضلا عما سبق يلحظ عند الشاعر الإكثار في استعمال الجمل الفعلية التقريرية، سرداً للواقع الذي يعيشه الشاعر مع بعض أقربائه، وقد لجأ الشاعر لتهويل ما مورس في حقه من إيذاء، وعلى الخصوص بعدما أظهره الشاعر من اعتداد بنفسه وفخر في المعلقة، فالشاعر بدل الاعتراف بفضله وقيمته يلقى الهجر والإقصاء والنكران.

كما لجأ الشاعر إلى استخدام الجمل الاسمية التي تدل على الديمومة والاستمرار، وبالتالي صار المضمون المعبّر عنه حقيقة دائمة مقرّرة ومفادها أن إيذاء الأقارب من أوجع الأذى.

هذا ويشدّد الشاعر على براءته من كل ذنب من خلال استخدام أسلوب النفي الصريح كما في قوله: "على غير ذنب قُلتُه"، والضمني كما في قوله: "وما أدري علامَ يلومُني".

[1] – ديوان طرفة ابن العبد، ص 33.

كما لجأ الشاعر لاستخدام الجمل الخبرية رغبة منه في إسناد الخصال الجليلة لنفسه إضافة لكونه في مقام التقرير والإخبار عن ذاته فخراً وإشادة.

ومن الأساليب التعبيرية للشاعر مجيء التساؤل في:

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً   مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ[1]

مصوّراً لمشاعر الحيرة والاستنكار والتحري الصادق للعلل الخفية وراء الموقف الذي يجسده من خلال أسلوب الشرط الذي صيغ صياغة فعّالة إلى أبعد الحدود، إذ يتأسس على الاسم (متى) الذي يفيد التكرار والمحاولة والاطراد في الزمان ثم يأتي فعل الشرط مسنداً إلى الذات (الدُنُوّ) الذي يحتم موقفه الوظيفي التقصير والقرب فيصير (أدْنُ) بإيقاع هامس وأصوات محددة نرى خلاله رقة المبادرة وحسن التوسل وشفافية الاقتراب في مقابل جواب الشرط، الذي جاء بفعلين ليدلا على معنى العنف وغلظ ردّة الفعل، وجفوة الموقف المسند لابن عمّه، فضلاً عمّا يشف به الفعل (يَبْعُدِ) من خفض المعنى وامتداده وابتعاده، فهذا تضافر صوتي دلالي يجسد الموقف النفسي والإيحاء بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يريد الشاعر بثها في هذا البيت[2].

[1] - ديوان طرفة ابن العبد، ص 35.

[2] - رزق صلاح، المعلقات العشر، ص 306.

3- الحقول الدّلاليّة في المعلّقة

تعدّ نظرية الحقول الدلالية من أهم نظريات البحث اللساني الحديث، فهي لا تهتم بدراسة من خلال السياق أو التركيب، وإنما تهتم بالعلاقات بين المدلولات اللغوية في إطار الحقل الدلالي أو المجال، وذلك من خلال إيجاد لفظ عام يجمعها أو حقل دلالي ينطوي تحته. وفي هذه المدوّنة المراد دراستها دلالياً، نحاول من الوجهة النظرية تطبيق التقسيم الرباعي للحقول الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية هي: الموجودات، الأحداث، المجردات والعلاقات، وسأكتفي في هذا التحليل بالثلاثة الأولى دون الأخير لكونه قسماً فرعياً عن الأحداث والمجردات مع وجود إشارات ضرورية إلى ما يحتمله كل حقل رئيسي من حقول فرعية كل ما دعت الحاجة إلى ذلك، وكلما تم تحديد الألفاظ المنتمية إلى حقل دلالي واحد ثم تحديد الكلمة الرئيسية فيه وهي الكلمة المحور التي تدور حولها كل معاني ألفاظ الحقل حتى إذا اجتمعت قائمة أخرى لألفاظ الكلمات المحورية المنبثقة عن حقل، ثم تعيين الكلمة المحورية التي تدور حولها كل معاني النص، أي مركز الدلالة.

دراسة تطبيقية في أهم الحقول الدّلالية على نص المعلّقة

سنحاول من خلال هذه الدراسة والتي اتخذت من معلّقة طرفة ابن العبد، موضعاً لها، رصد الحقول الدّلالية داخل هذه القصيدة، متسائلاً عن الدّلالات التي تولّدها تلك الحقول للتعبير عمّا يريد الشاعر إيصاله إلى متلقيه، ودورها في نسج الدلالة المحورية للمعلّقة، وإلى أي بعد ساهمت الألفاظ المشكّلة لتلك الحقول داخل المعلّقة في التعبير عن حياة صاحبها، خصوصاً أنّ معلّقة طرفة تعدّ أفضل المعلّقات لما تمتاز به من الشعر الإنساني وذلك بشهادة العديد من النقاد.

إنّ دراسة الحقول الدّلالية في المعلّقة هي دراسة تنصبّ بالأساس على الكلمة، وإذا كانت الكلمة تجليّات متمظهرة على مستوى النّص، وهي الواجهة الأولى التي يحتكّ بها القارئ قبل سُبْر أغواره، فإنّها تمثّل منبع الدّلالة وأساس بنائها، وهي التي تمكنّنا من الوصول إلى الدلالة العميقة

للخطاب. وللتمكّن من فهم وحدة معجمية لا بدّ من الإحاطة بمجموع الكلمات المتصّلة بها على اعتبار أنّ الكلمة هي مجموع استعمالاتها، ولهذا يُعرّف ليونس (Lyons) معنى الكلمة بقوله: « هي محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي، وحتى نتمكن من الإحاطة بالبنية المعجمية للقصيدة، لا بد من جمع كل الوحدات وتصنيفها ضمن حقول دلالية للكشف عن علاقتها بالمحور الدلالي للقصيدة، والحقل الدّلالي أو الحقل المعجمي، هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها».

وسنحاول من الوجهة النظرية تطبيق التقسيم الرّباعي للحقول الدّلالية الذي تبناه أحمد مختار عمر والذي يقسّم الحقول الدّلالية إلى أربعة أقسام رئيسية، هي الموجودات، الأحداث، المجرّدات والعلقات، وسأكتفي في التحليل بالحقول الثلاثة الأولى دون الأخير لكونه قسماً فرعياً عن الأحداث والمجردات مع وجود إشارات ضرورية إلى ما يحمله كل حقل رئيسي من حقول فرعيّة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وكلما تم تحديد الألفاظ المنتمية إلى حقل دلالي واحد ثمّ تحديد الكلمة الرّئيسية فيه وهي الكلمة المحور التي تدور حولَها كل معاني ألفاظ الحقل، حتى إذا اجتمعت قائمة أخرى لألفاظ الكلمات المحورية المنبثقة عن حقل تم تعيين الكلمة المحورية المنبثقة التي تدول حولها كل معاني النّص أي مركز الدلالة.

ولعلّ أبرز الحقول الدّلالية التي نجدها في هذه المعلّقة هي:

3–1 حقل الموجودات: وهو المفهوم الجامع لكلّ أنواع الموجودات العينية والغيبية وألفاظِه:

خولة	أطلال	البعير	صَفيح
ثهمد	صحبيّ	يوم	كهفي
برقة	القوم	الحي	مشفر
الوشم	التلاع	الضّرب	الطّرف
اليد	الحوانيت	رأس	قدّه
سفين	النّجوم	الحية	القذى
دد	أخي	يدي	الدّجن
معبد	موطِن	حباب	الماء
الشول	النّفس	الترب	مولاي
ألواح	ليْلي	الدّماليج	سادة
عتاق	مهنّد	الإماء	السّلاح
الإماء	ساقُها	لؤلؤ	ما له
الرّجال	السّديف	الرّمل	صخرة
سيّد	كف	النّسع	الحيّة
الدّماليج	وقت	ظهر	قنطرة
صفائح	صفيح	إثمد	الشمس
الأيام	ت راب	عضُداها	سفنجة
الخمور	الحسام	مرفقان	رأسها
المرء	المهنّد	العسيب	النّار
الفتى	قبر	سكان	يدي
الدّهر	الجيب	برد	ابنة معبد
الموت	صوت	قميص	....
الوشم			....

ويمكن ملاحظة بعض الحقول الدّلالية الفرعية التي تنضوي تحت حقل الموجودات منها الألفاظ الدّالة على الأشخاص ك: خولة، معبد، والدالّة على الأماكن ك: برقة ثهمد، التلاع، سكان، الحيّ، والألفاظ الدالة على الموجودات العينية ك: الحُسام، المهنّد، قبر، الجيب، مرفقان، النار، رأسها، السّلاح، الماء... وهي الأكثر شيوعاً وبإزائها الألفاظ الدّالة على موجودات غيبية ومعقولة ك: الموت، الحياة.

والألفاظ المحورية في هذه الحقول الفرعية هي: خولة، برقة، ثهمد، الوشم، اليد، بحيث تمثل طرفة بيئته الصّحراوية ليصف محبوبته بوسائل الطبيعة المتحركة، فاستعار لمحبوبته من البيئة أجمل ما فيها، كما أضفى على محبوبته جمال الأرض وحركتها، فها هو يضفي عليها رونق الشمس وضوئها، فهي أي الشمس تعير محبوبته ضوءها وسِناها.

2-3 حقل الأحداث:

وهو المفهوم الجامع لكلّ أنواع الأحداث الحسيّة والمعنوية والاجتماعية والنفسية وألفاظه:

يقولون	لا ينثني	مت	كربي
أقسم	تلاقني	ستعلم	مطردي
قال	لامني	يأتيك	شارب
لمن أتلبّد	أيأسني	ستُبدي	همّي
أكمل	يسعى	سقيتُه	سريع
شئت	أمضي	تناول	شاكراً
لم تشدّد	أمشي	يأتيك	هجائي
نشدت	أفديك	لم تبع	إقدامي
تحامتني	تبغني	أثارت	طور
أفردت	أدنو	أحضر الوعي	اللّذات
ملكت	لم تضرب	أشهد اللّذات	تشرابي
يلومني	أبادرها	لم أحفل	منتصِراً

وبالرغم من تعدّد الحقول الدّلالية فإنّ الضمير الدّال على ذات الشاعر هو العنصر الوحيد الذي يحقّق تراكما قسرياً منذ بداية المعلقة إلى نهايتها، إذ يتردّد بشكل مكثف ويمكن ملاحظة ذلك من خلال رصد ضمير الأنا في المعلّقة:

لم أتلبّد ـــــــ أنا

أقسم ـــــــ أنا

أكمل ـــــــ أنا

نشدتُ ـــــــ أنا

أفردت ـــــــ أنا

ملكت ـــــــ أنا

أمضي ـــــــ أنا

أفديك ـــــــ أنا

أبادرُها ـــــــ أنا

لم أحفل ـــــــ أنا

مِتُّ ـــــــ أنا

أدنو ـــــــ أنا

إذن فمن خلال هذه الأفعال المسندة إلى ضمير المتكلم، يلاحظ أنّ (أنَا) الشاعر التي تتكرر في مقاطع مختلفة من نص المعلقة، هي الخيط الرّفيع الذي أحكم نسج الموضوعات الأخرى، وقد

استفاد الشاعر من كل ما من شأنه أن يفيد في إبرازها، وبروز (الأنَا) على مستوى المعلّقة مقابل غياب الآخر، دليل على أنّ الشاعر يخصِّص لذاته فضاءً نصّياً أوسع للحديث عنها وعن مغامراته وصفاته...، وما دام أنّ الشاعر في مقام الفخر فإنّه استثمر هذه الحقول كلها لنسج دلالات تتمحور في معظمها حول ذاته في علاقته بما يحيط بها.

ويلاحظ كذلك من خلال الحقول الدّلالية التي تشكّل بنية المعلّقة، طغيان الحقل الدّال على الحيوان والمتمثل في النّاقة والتي تحمل دنيا واسعة من المعاني عند الشاعر بقدر صحرائه الواسعة الممتدة، امتداد الأفق غير المتناهي، وهي رفيقة الدرب لا غنى للشاعر عنها في حلّه وترحاله، وقد رسمها طرفة بريشة رسّام جعل منها لوحة فنية إبداعية أفاض عليها من روحه وحالته النفسية ودفقاته الشعورية، فهي رفيقة دربه، وأنيس غربته، وصاحبة وحدته. جعلها قبلة الشعراء الجاهليين وأتعب في وصفها من بعده.

3-3 حقل المجرّدات: وهو المفهوم الحامل لكلّ المعاني النفسية والذّهنية وألفاظه الدّالة عليه في النّص:

الهم	الجهد	رب	خلق
النّفس	الأخبار	مدعورة	غضب
أموت	أسى	صادقة	كرب
العيش	ألمي	خوفاً	تقصر
الدّهر	احتضار	أعلم	ثقة
الموت	جمالية	مخافة	ظلم
الأيام	أزعر	ذنب	همّي
الدّهر	ناجيات	خير	جاهلا
معجب	العتق	إقدام	....
نفع	عداوة	مارن	....
مجرّد	همَّه	منتصِرا	....

ويمكن ملاحظة حقول دلالية تتفرّع عن حقل المجرّدات كالألفاظ الدالة على مجرّدات ذات طابع عقائدي كالموت، العتق، خلق، ذنب، ربّ، أعلم،... وأخرى دالة على مجرّدات ذات طابع إنساني ك: عداوة، خير، إقدام، مخافة، ظلم، تقصر، كرب، غضب، جاهلاً...

وتلعب لفظة "الموت" دوراً هاماً ومركزياً في الحقل الدّلالي للمجرّدات، بحيث قام الشاعر في معلّقته بتقديم نظريته وفلسفته في الحياة والموت، فالموت لا يفرّق بين قبر رجل حقير ورجل كريم عظيم، كلاهما يعلوه التراب والحجارة، فلِمَ المزاحة على الحياة؟ فسهم الموت إن أصاب أحداً فلن يفارقه.

وهكذا نتخرّج على هذه الحقول الدلالية الكبرى في هذه المدوّنة ثلاثة ألفاظ محورية هي محور الدّلالة في الخطاب الشعري وهي: بكاء الحبيب، وصف الناقة وفلسفته للموت والحياة، وبالتحقيق في مضمون الخطاب وتحسُّس سياقات ورود معاني هذه الألفاظ داخل النص نجد أنّها تكوّن في مجموعها لوحة فنيّة إبداعية مؤتلِفة في تعالقها وتداخلها تتصل بالبيئة، وإنسانها، وحيواناتها، وتتناغم مع رغائب النفس البشرية وتقلّباتها ورؤيتها للحياة والموت.

4- العلاقات الدلالية في المعلّقة

تعدّ العلاقات الدلالية واحدة من احدث النظريات في علم اللغة الحديث التي تهتم بالمعنى وتعدده وكذا تعدد ألفاظه، وتكمن أهميتها في الكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط بين الكلمات المختلفة في أي لغة من اللغات وحتى في النصوص – أيا كان نوعها- وهذه العلاقات النصيّة التي تحافظ على تماسك واتساق وحدات النص، أطلق عليها علماء اللغة المحدثين مصطلح (التضام)، وهذا ما سنحاول دراسته وتحليله وتطبيقه على بعض النماذج من المدوّنة المراد دراستها.

4-1 التضام Colocation:

التضام في اللغة الاجتماع والاشتمال، يقول الرازي: « ض م م "ضمم" الشيء "فانضم" إليه وبابه رد و"ضامه" و"تضام" القوم انضم بعضهم إلى بعض و"اضممت" عليه الضلوع أي اشتملت»[1]. ويضيف ابن منظور: « يقال: ضم الشيء لشيء: أي جمعه، وقيل انضم وتضام ومنه ضممت هذا إلى هذا فهو ضام ومضمون، وضام الشيء: انضم معه»[2]. وبهذا يكون التضام هو الاجتماع أي اجتماع الشيء مع الشيء، وهو لا يبتعد عن دلالة التماسك والترابط بين الشيئين وهو بهذا لا يبتعد كثيرا عن معناه في الاصطلاح اللساني الحديث، حيث عرّفه اللسانيون بأنه: « ما استلزم عنصرين لغويين أو أكثر، استلزاما ضروريا، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة، أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو: "أهلاً وسهلاً"، وقد تطور هذا المفهوم وأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقول مع الكلمات الأخرى نحو: الفعل "أطلق" فقد يقال: "أطلق لحيته"، "أطلق ساقيه للريح"، "أطلق الحبل على الغارب"... ولكن لكل منها معنى سياقي يخالف غيره»[3].

[1] – ينظر، الرازي أبو بكر، مختار الصّحاح، مادة (نصص)، ضبط وتخريج وتعليق: النجيب البغا، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990م، ص 250.

[2] – محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، مدينة الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ص25.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمم، ج4، ص25.

وبعبارة أدق يعرّفه "محمد خطابي" بقوله: « توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»[1]، وقد ذهب هؤلاء اللسانيين إلى أن تلك العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في نص ما هي في أغلب الأحيان علاقة التعارض أو الترادف أو علاقة الكل للجزء أو الجزء للجزء، أو التقابل أو التجاور... وبعد هذا التفصيل في العلاقات التي تربط بين الأزواج من المفردات نجد هؤلاء ينبهون بل ويلحون في التنبيه إلى أن: « إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمراً هيّناً... لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات»[2]، أي أن القارئ لأي نص سيكون مجبرا على خلق سياق مناسب يساهم في إنشاء وتأسيس علاقات محددة تجمع الزوجين من الكلمات الموجودة في النص، ذلك في حالة قابلته صعوبات ما في تحديد علاقة واضحة لا يكتنفها أي غموض.

وفي نفس السياق يعرّفه الأستاذ "محمود سليمان الهواوشة" في قوله: « التضام هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض من مثل: ولد، بنت، جلس، وقف، فلفظ الولد والبنت قد يردان في نص لا يعود فيه عليهما عنصر إحالي موحد ولكنهما يسهمان في النصية»[3]، وهو تعريف لا يبتعد كثيراً عن التعريف السابق للتضام، غير أنه قصر الحديث عنه في علاقة التعارض دون العلاقات الأخرى التي يمكنها أيضا أن تحقق مفهوم التضاد كما شرحنا سابقاً

وقد وجدنا بعضا من الباحثين يطلق على التضام مصطلحا آخر وهو المصاحبة المعجمية، يقول الأستاذ "أسامة عبد العزيز جاب الله": « المصاحبة المعجمية (Colocation) ويراد بها

---

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

2 - المرجع نفسه، ص 26.

3 - محمود سليمان الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، المؤسسة الجامعية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 94.

العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل علاقة التضاد وعلاقة التقابل وعلاقة الجزء بالكل وعلاقة الجزء بالجزء مما يشيع في اللغة»[1]، كما يقول الأستاذ "البطاشي خليل بن ياسر" في نفس السياق ما نصه المصاحبة المعجمية هي: « توارد زوجين من الكلمات... لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك والعلاقة التي تربط هذين الزوجين لا يشترط أن تكون بالإيجاب دائما، فقد تكون علاقة تعارض أو تقابل...»[2]، وغير هؤلاء كثير ممن أطلق مصطلح المصاحبة المعجمية، وهو يريد التضام فكلاهما واحد وما عناية اللسانيين بذلك إلا لأهميته كعنصر اتساقي بارز يساهم في تماسك النص وترابطه، كما يساهم في جودة بنائه وإخراجه للقارئ المتلقي بشكل حسن.

وإلى جانب هؤلاء وجدنا أصحاب الأسلوبية يوظفون مفهوم التضام في إطار مصطلح آخر سموه مرة بالتناظر[3] ومرة أطلقوا عليه مصطلح التماثل الذي يقوم عندهم على: « تحديد المفاهيم كتضام لمقومات أو خصائص النص؛ وقد وظف هذا التحليل في الأنثروبولوجيا وفي اللسانيات وفي علم النفس للحصول على معلومات حول الخصائص العميقة لحقل مفهومي معيّن في استعمال لغوي ما لإثبات الاختلاف والتماثل بين الثقافات... و لإثبات انسجام رسالة النص»[4].

كما يضيف محمد مفتاح في نفس السياق قائلاً: « التوارد الاضطراري للوحدات المعجمية ينتج عنه المحور الأفقي للخطاب»[5]، وهو معنى يقترب جداً من مفهوم التضام الذي أشرنا إليه سابقاً.

والذي نود أن نشير إليه هنا أن التضام كمصطلح مرة أو كمفهوم مرة أخرى وجد بقوة في التراث العربي القديم وليس وليد أو صنيعة المدرسة اللسانية الحديثة، حيث وجد في الدرس اللغوي

---

[1] – أسامة عبد العزيز، من مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية، مقالة، 2005، ص 75.

[2] – خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص209.

[3] – عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 194.

[4] – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 132.

[5] – المرجع نفسه، ص 133.

والدرس النحوي قديما لكن بمعان مختلفة شيئاً ما عن معناها الحديث، وفي ذلك تقول الدكتورة نادية رمضان: « اهتم القدماء بعلاقة "التضام"، وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها فعرفت بمصطلحات عدة منها: الضم، والنظم، والرصف والمعاضلة،... كما عرفت عند اللغويين بالتلازم والتركيب والتضام»[1].

كما وجدنا البلاغيين القدماء يتحدثون في كتبهم عن مصطلح يقترب كثيرا من مفهوم التضام بل كاد يكون هو، وقد أطلقوا عليه اسم: "الائتلاف في المعنى" وفي ذلك يقول صاحب البديعية "صفي الدين الحلي": « وهو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم، والآخر يخالفه فتقرنه بالملائم والضرب الثاني: أن يشتمل الكلام على معنى ومتلائمين له، فتقرن بهما ما لاقترانه مزية»، وقد قاله أيضا القزويني والمراغي وغيرهما، وهو كلام في جوهره يقترب كثيرا من التضام، كما نسجل بالإضافة إلى ذلك أن هناك الكثير من المصطلحات البلاغية التي تقترب أيضا من مفهوم التضام كمصطلح "المزاوجة"، و"مراعاة النظير" وغيرهما مما حفلت به كتب البلاغة.

ومهما يكن من أمر فإن التضام يبقى عنصرا مهما من عناصر الاتساق النصي الذي يساهم كثيرا في التماسك والترابط، ونود أن نؤكد هنا على ضوء ما سبق أنه كل زوج من كلمات تربط بينهما علاقة إما ترادف أو تضاد أو تجاور أو غير ذلك من العلاقات التي يحددها القارئ أو السياق. ونحن بعد كل هذه التعاريف التي خصصناها للتضام ننتقل الآن للجانب التطبيقي حيث أننا سوف نبحث عنه وعن عناصره وجمالياته ودوره الاتساقي على أن يكون ذلك في معلقة "طرفة بن العبد" وسندعم ذلك بالشرح والتحليل.

[1] – نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النّحوي، ص 77.

2-4 تحليل عناصر التضام في المعلّقة (الترادف والتضاد):

لا شك في أن تفوق أو نجاح أي نصّ شعري أو نثري يعود إلى أسباب مباشرة وغير مباشرة، ومن ذلك ما يستثمره صاحب النص من عناصر مختلفة تتيح له مجال الإبداع وتفتح أمامه آفاق التميز ومن ضمن هذه العناصر نجد عنصر التضام النصي الذي يعد من أهم العناصر المعجمية التي تساهم كثيراً في اتساق النص وتماسكه، ونحن في معرض ذلك سنحاول في هذه الصفحات أن نتتبع بالدراسة والتحليل كل عناصر التضام التي وظفها "طرفة بن العبد" في معلّقته وما لعبته هذه العناصر من دورٍ مهمّ في تحقيق التماسك النصي. وبنظرة إحصائية إلى نص المعلقة ، يمكن القول بأن الشاعر قد استعمل في معلقته قرابة الستين عنصرا تضاميا وهي نسبة جد مرتفعة تعطي لنا صورة واضحة عن مدى اهتمام الشاعر بنصه من حيث جودته وحسن اتساقه وذلك باعتبار إيمان الشاعر بالوظيفة الاتساقية لهذا العنصر المهم، وقد توزعت هذه العناصر على خمسة أنواع من العلاقات، منها ثمانية وعشرون عنصر تضام حققته علاقة التجاور ومنها خمسة عشر عنصرا حققته علاقة الترادف، وإحدى عشر عنصرا حققته علاقة التضاد وبعض العناصر المتبقية حققتها علاقتي الجزء من الكل والكل من الجزء.

وعلى ضوء هذه المعطيات يمكن القول أن "طرفة" ورغم عدم تنوع العلاقات التي بنى عليها عناصر التضام المدرجة في نصه الشعري، غير أنه أولى اهتماما كبيرا لأهم علاقتين يمكن الاعتماد عليهما في هذا المجال وهما علاقة **الترادف والتضاد** لما تمنحه هاتان العلاقتان من حسن للبناء الشعري وكل ذلك قد جاء في إطار حرص الشاعر على إخراج نصه للقارئ إخراجا حسنا وجعله نصا متماسكاً. وسنحاول فيما يأتي شرح وتحليل بعض النماذج التطبيقية من معلقة "طرفة" مع الإلحاح على دور عناصر التضام في ترابطها وتماسكها.

يقول طرفة واقفاً على الطلل:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبَـرْقَةِ ثَهْمَدِ   تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّـدِ[1]

في بداية المعلقة نجد الشاعر يقف وقفة طللية أمام ديار الحبيبة يتذكر ويستذكر تلك الأيام الخوالي التي جمعته بها، « فتبدأ المعلقة بمقدمة يطالعنا فيها طرفة واقفا على أطلال محبوبته "خولة ببرقة ثهمد" يمتلكه الأسى وتستبد به الذكريات، وأصحابه يتحلقون حوله، وقد وقفوا مطيهم يحاولون التخفيف عنه، ويدعونه إلى التجلد وإلا فإنه سيهلك أسى»[2].

والشاعر في هذا المقطع وجدناه قد استعمل ثلاثة عناصر تضام أولها: حققته علاقة الجزء من الكل باعتبار الأطلال جزءا من منطقة برقة ثهمد، وثانيها: حققته علاقة الجزء من الكل باعتبار أن الوشم جزء من اليد، وآخر تلك الثلاثة حققته علاقة الترادف باعتبار أن "لا تهلك" مرادفا في المعنى كلمة "تجلد"، فطرفة هنا رأيناه قد نوّع في العلاقات المؤسسة لتلك العناصر التضامية، الأمر الذي جعلها تسهم كثيرا في تماسك المقطع الشعري بشكل ملحوظ، كما لعب ذلك التنوع الدلالي والمعنوي دوراً كبيراً في رقيّ هذا المقطع بالذات مما جعل النقاد يشيدون به كثيراً رغم قصره إذا ما قورن بسائر الوقفات الطللية التي وقفها غيره من شعراء المعلقات.

ثم يقول طرفة في المقطع الموالي واصفاً الرحلة:

كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُـدْوَةً   خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِـفِ مِنْ دَدِ

عَدولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنَ يَامِنٍ   يَجُورُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة ابن العبد، دار بيروت للطباعة، بيروت، لبنان، 1982، ص 5.

[2] – فوزي أمين، الشعر الجاهلي دراسة ونصوص، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2005، ص 230.

يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا   كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ[1]

ويمضي الشاعر في معلقته واصفاً الرحلة وما تركته في قلبه من حزن وأثر عميق طبعا لفراق المحبوبة التي رحلت مع الراحلين، فالشاعر يصور بدقة: «محبوبته وقبيلتها التي تعلو ظهورها الهوادج غدوة رحيلها في وادي دد سفن ضخمة في تهاديها وسيرها، وكأن هذه الإبل الضخمة التي يسوقها الحداة تارة على سمت الطريقة وتارة يميلونها عنها اختصارا للمسافة، كأنها سفن لقبيلة عدولي، أو لابن يامن المشهورة في ضخامتها تسير حسب خط معين في البحر تارة، وتعدل عنه تارة أخرى وصدور هذه السفن تشق أمواج البحر فتذهب المياه إلى جانبي السفينة مثل لاعب هذا الضرب من القمار، إذ يقسم التراب نصفين»[2].

فطرفة في هذا المقطع استعمل عنصرين من عناصر التضام أولهما حققته علاقة التضاد باعتبار أن "يجور" مضادة لـ "يهتدي"، وثانيهما علاقة الترادف باعتبار أن "يسق" يرادف "قسم"، وواضح مساهمة الأفعال المؤسسة للتضام في هذا المقطع "يجور، يهتدي، يشق، قسم" في منح النص حركة ونشاطا اجتث من صلب البيئة التي عايشها الشاعر، الأمر الذي انعكس بالإيجاب على هذا المشهد الطبيعي الملفت للانتباه فهو مشهد قلّما نجد نظيره في الشعر العربي القديم وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على براعة "طرفة" في مجال التصوير ونقل العناصر الطبيعية إلى النص الشعري، فمثل ذلك سراً من أسرار نضج التجربة الشعرية لديه.

ثم يقول طرفة واصفاً محبوبته بأنها: « كانت تخطر على رمال برقة ثهمد جميلة فاتنة تحلى جيدها الجمى الطويل بسمطي لؤلؤ وزبرجد فيبدو جيدها كجيد غزال يمده ليلتقط به المرد وهو ثمر شجر الأراك وتبدو عيناها الجميلتان ساحرتي التلفت كأنهما عينا بقرة خذلت صواحبها وأقامت على

---

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة ابن العبد، ص 20.

[2] – زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993، ص 244.

ولدها، ويبدو ثغرها حين تبسم نورا كأن الشمس سقته ضوءها، بل كأن الشمس ألقت رداءها على وجه محبوبته فبدا نقيا فتيا»[1].

يقول طرفة عن كلّ ذلك:

وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ　　مُظَـاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

خَـذُلٌ تـُرَاعِـــي رَبْرَباً بِـخَمِيـــلَةٍ　　تَنَاوَلُ أطْرَافَ البَـرِيرِ وتَرْتَدِي

وتَبْسِمُ عَنْ أَلْـــمَى كَـأَنَّ مُنَـــوَّراً　　تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْـصٍ لَهُ نَدِ

سَقَتْهُ إيَاةُ الشَّـمْـسِ إلاّ لِــــثَـاثِهِ　　أُسِفَّ وَلَـــمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإثْمِدِ

ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّـــمْسَ ألْقَـــتْ رِدَاءهَا　　عَـلَيْهِ نَقِــيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّد[2]

ونلاحظ أن الشاعر في هذا المقطع قد وظف العديد من عناصر التضام كدأبه، ومن ذلك "لؤلؤ- زبرجد" "الخميلة والبرير"، "تتناول وترتدي"، "رمل دعص وند"، "نقي اللون ولم يتخدد"، وكلها عناصر تضامية منحت النص حياة وإشعاعا، كما جعلته على مستوى الدلالة أكثر تنوعا وإلى جانب كل ذلك ظهر دورها الاتساقي واضحا، حيث ساهمت كثيرا في تماسك النص والربط بين أجزائه بشكل بدا معه المقطع الشعري أكثر لحمة واتساقاً فوجود مثل هذه العناصر: « يؤدي إلى ربط أجزاء النص بعضها ببعض بعلاقات معينة»[3] فالشاعر وهو يصف المحبوبة راح ينتقل بنا أو بالقارئ بين أجزاء البيئة أو الطبيعة التي يعيش فيها، فمن "اللؤلؤ" و"الزبرجد" التي هي حجارة كريمة تكون في الوديان إلى "الخميلة" و"أشجار البرير" ثم إلى الحديث عن الرمل الخشن وعن الرمل الناعم "الندي" ثم إلى الشمس التي ألقت رداءها وأنوارها على وجه المحبوبة المشرق ذلك النور الذي وصفه الشاعر

[1] – فوزي أمين، الشعر الجاهلي، ص 330.

[2] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة ابن العبد، ص 21.

[3] زاهر بن مَرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 37.

بالنقاء والطهر، وتلك لعمري صورة شعرية أبدعها "طرفة" لم تتح لغيره من الشعراء الذين عاصروه. وما كان لذلك أن يتحقق لولا وجود تلك العناصر التضامية التي وظفها الشاعر لما كان لها من دور بارز في تماسك هذا المقطع بالذات.

ويقول واصفا الناقة:

وإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ — بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَلُوحُ وتَغْتَـــدِي

أَمُونٍ كَأَلْـوَاحِ الإِرَانِ نَـــسَأْتُهَا — عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْـــرُ بُرْجُـدِ

جَمَالِيَّةٌ وَجـْنَاءَ تَرْدِي كَـــأَنَّهَـا — سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أَرْبَـــدِ

تُبَـــارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وأَتـْبَعَتْ — وظِيفاً وظِيفاً فَوْقَ مَـوْرٍ مُعَبَّـــدِ

تَرَبَّعَـتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَـعِي — حَدَائِقَ مَوْلِيِّ الأَسِـرَّةِ أَغْيَـــدِ

تَرِيعُ إِلَـــى صَوْتِ المُهِيبِ وتَـتَّقِي — بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكـْلَف مُلْبِدِ

لَهَا فِخْذانِ أُكـْمِلَ النَّـحْضُ فِيهِمَا — كَأَنَّهُمَـا بَابَـا مُنِيـــــفٍ مُمَرَّدِ

لَـهَا مِرْفَقَـانِ أَفْتَــــلانِ كَأَنَّمَـا — تَمُـرُّ بِـسَلـْمَي دَالـجٍ مُتَشَـــدِّدِ

أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شَـزْرٍ وأُجْنِحَـتْ — لَهَا عَضُـدَاهَا فِـي سَقِيـْفٍ مُسَـنَّدِ

جَنوحٌ دِفَاقٌ عَـنْدَلٌ ثـُمَّ أُفْـرِعَـتْ — لَهَا كَتِفَاهَا فِـي مُعَالىً مُصَعَّـــــدِ

وجُمْجُمَةٌ مِـثْلُ العَــــلاةِ كـأَنَّمَـا — وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِـرْطَاسِ الشّامِـــي ومِشْفَـرٌ — كَسِـْتِ اليَمَانـــــِي قَـدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ

وعَيْـنَـــــانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَـنّتَا — بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَـخْرَةٍ قَـْتِ مَوْرِدِ

وصَادِقتَـا سَمْعِ التوَّجُّسِ للسُّرَى لِهَجْسٍ خَفيٍّ أَوْ لِصوْتٍ مُنَـدَّدِ

مُؤَلـّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيْـــهِمَـا كَسَامِعَتي شَـــاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ[1]

إن طرفة في هذا المقطع الرابع من معلقته الطويلة قدم لنا لوحة فنية غاية في الإبداع وقمة في الجمال، صوّر فيها الناقة بكل تفاصيلها وكل أجزاء بدنها دون نسيان أي شيء فيها منتقيا لذلك أرقى الكلمات وأدق العبارات موظفا كل الوسائل المتاحة التي تسهل عليه التصوير والتعبير فكان نصه بحقّ أسمى ما قيل في هذا المجال، فقد صوّر من الناقة سرعتها وحركتها وضخامتها واكتنازها وفخذيها، ومرفقيها، وأذنيها وجمجمتها وخدها ومشفرها وعينيها،... وبهذا الوصف الدقيق كان لطرفة السبق والتفوق على غيره من الشعراء خاصة الذين عاصروه وقد شهد له بذلك عديد النقاد قديما وحديثا، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكر هذه الشهادة التي جاءت في حق "طرفة" على لسان الأستاذ الباحث "عبد الله الحمدان" حيث قال: « لم يصف أحد ممن تقدم أو تأخر الناقة أحسن من وصف طرفة بن العبد، فإنه جمع بين صفات خلقها وسرعتها فجاء بها بأحسن كلام وأوضح تشبيه»[2]، فالناقة لم تكن عند طرفة مجرد حيوان أو كائن يعيش معه بل كانت تمثل بالنسبة له: « مظهر النمو العقلي والروحي وهي تعبير عن فكرة الثبات والقهر والصمود بسبب قدرة الناقة وصبرها وتحديها لعوادي الزمن والطبيعة، وهي أي الناقة أشبه الأشياء بالأمومة القوية لذلك اقترنت بالنخلة في أذهان العرب إنها أمومة صابرة قادرة راغبة يطبعها استمرار الحياة كما تدل الناقة الأم على السيادة والجمال والذرية والخصوبة وهي أشبه بحاضر مستمر لا يتغير ولا يزول»[3].

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة، ص 28.

[2] – عبد الله الحمدان، وصف الناقة في الشعر الجاهلي، مقال من الموقع الالكتروني: www.alfaseeh.com .

[3] – جميل حمداوي، النقد الأسطوري عند الدكتور مصطفى ناصف في قراءة ثانية لشعرنا القديم، مقال من الموقع الالكتروني: www.doroob.com.

ولعلنا بفهمنا لهذه العوامل وغيرها يمكن لنا أن نجزم بحقيقة طبيعة تلك العلاقة الوثيقة التي تجمع أو جمعت طرفة بالناقة، فقد كانت علاقة أقل ما يقال عنها إنها غير عادية، الأمر الذي جعل شاعرنا يهتم بها كل هذا الاهتمام ويعتني بها في شعره كل هذه العناية، بل ويخصص لها جزءاً كبيرا من معلقته، بل ويجعل ذكرها ووصفها ومصاحبتها أو الركوب عليها سببا في تجاوزه الهم والحزن، وواضح أن معجم الناقة لدى "طرفة" كان قويا غنيا بالكلمات والعبارات، الأمر الذي طبع المعلقة بطابع خاص وأثر عليها تأثيرا مباشرا ومما زاد في روعة وجمال هذا المقطع هو تلك العناصر التضامية التي وظفها الشاعر أحسن توظيف، فقد كانت من حيث العدد كثيرة ومن حيث الدلالة متنوعة، إذ وجدناه قد استعمل في هذا المقطع هو تلك العناصر التضامية التي وظفها الشاعر أحسن توظيف، فقد كانت من حيث العدد كثيرة و من حيث الدلالة متنوعة ، إذ وجدناه قد استعمل في هذا المقطع الواصف للناقة تسعة عناصر تضام وهو عدد حسن اتكأ عليه الشاعر لخلق نص متماسك، وقد تنوعت هذه العناصر التضامية من حيث العلاقات التي حققتها والذي يمعن النظر في هذه الثنائيات: "أمضى الهم واحتضاره، تروح وتغتدي، جمالية ووجناء، تباري وأتبعت، تربعت وترتعي، يداها وعضداها..."، الذي يمعن النظر في هذه الثنائيات يلاحظ أن أغلب العلاقات التي حققتها هي التجاور في المعنى وهو المعنى المأخوذ من معجم الناقة لدى الشاعر أو لنقل البيئة الجاهلية، وقد ساهم ذلك كثيرا من ناحية تماسك النص وجعله مرآة عاكسة تعكس بصدق تلك الصورة التي كانت في مخيلة الإنسان العربي القديم عن الناقة باعتبارها رمز الحياة ونبع الاستقرار كما أشرنا سابقاً.

ويستمر طرفة في وصف ناقته قائلاً:

وأَرْوَعُ نَبّـــــــاضٌ أَحَـــذُّ مُلَمْلَمٌ ... كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَـــــارِنٌ ... عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ ... مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ الـقَـدِّ مُحْصَـدِ

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا   وَعَامتْ بِضَبْعَيْـــهَا نجَاءَ الخَفَيْدَدِ

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِـي   أَلاَ لَـيْتَـــنِي أَفْدِيْكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِ[1]

وفي هذا المقطع يواصل الشاعر وصف ناقته ويكمل ترصيع الصورة التي رسمها لها في الجزء السابق، فهو هنا يؤكد أنها: « لها أذنان محددتان تحديد الآلة، تعرف نجابتها فيهما وهما كأذني ثور وحشي منفرد في الموضع المعين، وخص المفرد لأنه أشد فزعا وتيقظا واحترازا... لها قلب يرتاع لأدنى شيء لفرط ذكائه، وهو سريع الحركة خفيف صلب مجتمع الخلق يشبه صخرة تكسر بها الصخور في الصلابة فيما بين أضلاع تشبه حجارة عراضا موثقة محكمة، شبه القلب بين الأضلاع بحجر صلب بين حجارة عراض... ولها مشفر مشقوق ومارن أنفها مثقوب وهي عندما ترمي الأرض بأنفها ورأسها تزداد في سيرها... وهي أي الناقة مذللة أي مروضة فإن شئت أسرعت في سيرها وإن شئت لم تسرع مخافة سوط ملوي من الجلد موثق...»[2].

فالشاعر بهذا الوصف يكون قد أتى على كل أجزاء الناقة، وتعرض لجميع تفاصيل بدنها وحركتها ونشاطها وقوتها وسرعتها، وهو بذلك لم يغفل شيئا فقد اكتملت الصورة لديه مما يترجم نضج التجربة الشعرية عنده بالرغم من حداثة سنه، وقد ساعده على ذلك التصوير وعلى بناء نصه بهذا الشكل الراقي الكثير من عناصر التضام المتنوعة التي وظفها الشاعر توظيفا حسنا ومن تلك العناصر نذكر الآتي: "مؤللتان أي أذنان وكسامعين شاة" "أعلم مخروت ومارن أي لين"، ملوي أ ي سوط مثني ومحصد أي سوط محكم، "رأسها وضبعاها أي عضداها".

وواضح من خلال القراءة البسيطة أن هذه العناصر التضامية وظفها الشاعر لبناء الأجزاء من الصورة الفنية لناقته، فمنحتها من الحسن والجمال ما جعلت منها بحق صورة راقية، إنْ على مستوى

---

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة، ص 28.

[2] – فوزي أمين، الشعر الجاهلي، دراسة ونصوص، ص 356.

الدلالة أو على مستوى الأسلوب، حيث إن الدور التماسكي الذي لعبته هذه العناصر باديا للمتلقي بشكل جليّ، فقد ساهمت عناصر التضام مساهمة كبيرة في تماسك أجزاء هذا النص هذا بالإضافة إلى الدور المعنوي الذي لعبته تلك العلاقات المتنوعة التي حققتها عناصر التضام المرصودة في هذا المقطع الشعري. ولا نترك هذا المقام حتى نشير إلى عناية الشاعر بألفاظه أو لنقل عنايته بقوة ألفاظه، فقد كان "طرفة" ينتقي اللفظ انتقاء فائق العناية، ثم يوظفها توظيفا رائعا في المكان المناسب فحين تقف على لفظة "مؤللتان" الواردة في المقطع السابق فهي كلمة نادرة جدا في الشعر الجاهلي، وقد جعلها وصفا لأذني الناقة، فالتأليل والتحديد والتدقيق من الآلة[1] وجمعها آل والإل وقد أله يؤله إذا طعنه بالآلة، والدقة والحدة تحمدان في آذان الإبل. وذات الأمر يتكرر في بقية الألفاظ "نباض، مصمد، مارن..."، وغير ذلك من الألفاظ التي وردت في المقاطع الأخرى من المعلقة، فالألفاظ التي جاء بها الشاعر « ألفاظ مساوية للمعاني، بحيث هي في مواضعها وبحيث لا تستطيع أن تبدل، أو تحذف فيها إلا تبدل معنى الكلمة»[2] وإنما ذلك يدل على براعة "طرفة" في انتقائه لألفاظه ومعانيه وحسن توظيفه لها مما يشهد له بالتفوق والتميز.

ومما ورد في المعلقة أيضا هذا المقطع الشعري الذي يحاول فيه طرفة أن يظهر فيه مفتخراً يقول:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التـّلاعِ مَخَافــَةً   وَلكِن مَتـــَى يَسْتَرْفِدِ القـَوْمُ أرْفِدِ

فَإنْ تَبْغِنِي فِي حَلقَةِ القَوْمِ تَلقَنِي   وَإنْ تَقْتَنِصْنِي فِـي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

وَإنْ يَلْتَقِي الحَيُّ الجَمـِيْعُ تلاَقِنِي   إلَى ذِرْوَةِ البَيْـتِ الكـَرِيمِ المـُصَمَّدِ

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُـومِ وَقـَـيْنَةٌ   تَرُوحُ إلَيـنَا بَيْـــــنَ بُـرْدٍ وَمُجْسَدِ

---

[1] – أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، ديوان المعانين، تح: عمر أبو الفضل منصور، المكتبة السكندرية، الإسكندرية، مصر، ص 281.

[2] – عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1993، ص 188.

رَحِيْبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيْقَـــةٌ بِجَــسِّ النُّدامَـى بَضَّةُ المُتَـجَرَّدِ

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: أَسْمِعِيْنَا انبَـــرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَـمْ تَـشَدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَـوْتَهَا تَـجَاوُبَ أَظْآرٍ عَـلَى رُبَـــعٍ رَدِي

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُـــــورَ وَلَذَّتِي وبَيْعِـي وإِنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَـدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيْرَةُ كُلُّـــــهَا وأُفْـرِدْتُ إِفْـرَادَ البَعِيـرِ المُعَبَّدِ[1]

يحاول "طرفة" في هذا المقطع أن يقدم نفسه للقارئ المتلقي على أنه عنصر مهم في مجتمعه حيث راح ينسب إليها كل المعاني السامية مفاخرا ومباهيا بها، فهو الكريم الجواد الذي يقري الضيف ويعين المحتاج، وهو المشير الذي يستشار في جميع الأمور، وهو الشريف الذي ينتمي إلى ذروة الشرف، وهو الرجل الباذل لماله في سبيل شرب الخمر واللهو مع الخلان في مجالس الأنس والغناء بحضور القينات الحسان...[2] وبقراءة سريعة لهذه المعاني الفخرية التي ساقها إلينا "طرفة" يمكن القول أنها معاني بسيطة بل تكاد تكون ساذجة إذا ما قورنت بذلك الفخر الراقي الذي جيء به في معلقة "عمرو بن كلثوم" والذي امتد عبر عشرات الأبيات الشعرية، وقد ارتقى فيها "عمرو" إلى ذروة المجد وغاية معاني الفخر، أو ذلك الذي استمتعنا به في معلقة "عنترة بن شداد العبسي" حيث ظهر "عنترة" في تلك الأبيات بطلا من أبطال العصر الجاهلي وقد عزف للإنسانية معزوفة النصر الخالدة التي شيد قلعتها بسيفه الذي لمع لمعان ثغر محبوبته "عبلة".

إن الفخر الذي جاء به "طرفة" في المقطع السابق كان بعيدا كل البعد عن الفخر الذي عثرنا عليه في سائر المعلقات، حيث كاد يكون أبسطها حتى لا نقول أضعفها على الإطلاق، هذا على مستوى المعاني ولكنه على المستوى الأسلوبي لاحظنا عناية "طرفة" ببنائه الشعري حيث انصب

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة، ص 30.

[2] – ينظر، التبريزي الخطيب، شرح المعلقات السبع، تح: محمد لقدي، دار المحابر، روبية، الجزائر، ط1، 2009، ص 93.

اهتمامه على تقديم النص بشكل جيد ومتين ومن ثم عمد إلى توظيف تلك الثنائيات التي تمثلت في عناصر التضام والتي حققتها تلك العلاقات المتنوعة من ترادف وتضاد وتجاور وغيرها. ومن تلك العناصر نذكر الآتي: "تبغني وتلتمسني، يلتقي وتلاقني، برد ومجسد، طروفه ولم تشدد، تشرابي الخمور ولذتي، طريفي ومتلدي، تحامتني وأفردت...."، إن استعمال عناصر التضام هذه كان له دور كبير في تنوع المعاني وتقابل الدلالات أو ترادفها، الأمر الذي أدى بدوره إلى تماسك النص وترابط وتلاحم أجزائه فلجوء الشاعر إلى هذا النمط التعبيري يفسره: « تميزه بالتعبيرية وقدرته على الإيحاء، وإثارة الانفعال وتمثيل التباين السطحي والعميق في الصورة والحدث من خلال الجمع الفجائي المباشر بين وحدتين متقابلتين»[1]، ولولا هذا الجانب الفني الإبداعي الذي وفرته عناصر التضام في النص الشعري لما كان طرفة أو غيره من الشعراء اعتمد عليها في بناء نص متماسك متسق، وذلك باعتبار الدور المهم الذي تلعبه تلك العناصر في ترابط النصوص وتماسكها.

وفي آخر جزء من المعلقة ينتقل "طرفة" إلى غرض الحكمة، حيث نجده يحاول أن يقدم لنا نفسه على انه حكيم زمانه وخبير قومه، وكأنه شيخ في سن الثمانين أو التسعين لا شاباً يافعا في مقتبل العمر، يقول:

أَرَى قَبْرَ نَحَّـامٍ بخـيـلٍ بـِمـَالِـهِ   كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَـةِ مُفْسِدِ

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي   عَقِيـلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَـدِّدِ

أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُـلَّ لَيْلَةٍ   وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَـنْفَدِ

أَرَى المَوْتَ يَعتادُ النُّفوسَ وَلا أرَى   بعيداً غداً مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَـدِ

لعَـمْرُكَ مـا الأيَّــامُ إلاَّ معـارةٌ   فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فتَزَوَّدِ

[1] – محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص 69.

عَنِ المـَرْءِ لا تَسْأَلْ وأبْصــرْ قَرِينَهُ فكُلُّ قَرينٍ بالمُقارَن يَقـتَـدِي

سَتُبْـدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُـــزَوِّدِ

وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَــنْ لَمْ تَـبِعْ لَهُ بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ.[1]

وواضح أن "طرفة" في هذا المقطع سرد لنا بعض الحكم التي انتقاها من الواقع الاجتماعي الذي كان يعيش فيه والدائرة على ألسن الناس آنذاك باعتبار أنها كانت حكما معروفة كثيرة الانتشار في الشعر الجاهلي، فقد تركز حديثه عن الموت الذي لا يفرق بين البخيل والمبذر، وهو يصطفي الناس اصطفاء، وعن العيش الذي هو دائما في نقصان، والأيام المعارة التي يجب على المرء أن يتزود منها قدر استطاعته، وينهي "طرفة" معلقته بحكمة بالغة ملخصها أن: « الأيام كفيلة: بكشف ما يجهله الإنسان من معلومات، يقول... ستكشف لك الأيام وتجلو لك الأمور التي كنت لا تعلمها وفي جهل من كنهها ويخبرك بها من لم تتوقع منه المعرفة»[2]، وهي حكمة بالغة تمثل خلاصة خبرة الشاعر في الحياة أو في ما عاشه في الحياة من سنوات قليلة، فقد وضع نفسه في موقع الفيلسوف الذي يعرض أفكاره وآراءه، وعلى الناس فهمها واستيعابها والإيمان بصحتها، وقد جاءت تلك الحكم في أسلوب لغوي بسيط وجمل سهلة واضحة تبدو من الوهلة الأولى أنها أقل مستوى مما كانت عليه المعلقة في بدايتها أو في أجزائها الأخرى.

فطرفة في هذا المقطع وجدناه يقدم لنا نصا وإن كان بسيطا فهو جد متماسك ومترابط بفضل تلك العناصر التضامية التي وظفها ومن تلك العناصر نذكر الآتي: " قبر نحام وقبر غوي يعتام ويصطفي، ينقص وينفذ الغد واليوم، لم تبع ولم تضرب"، والملاحظ أن هذه العناصر التضامية حققتها علاقات التضاد والترادف والتجاور وقد سجلنا فيها براعة الشاعر في انتقاء ألفاظه التي استعملها،

[1] – كرم البستاني، شرح ديوان طرفة، ص 33.

[2] – زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ص 257.

كما تجلى فيها بوضوح الدور البارز الذي لعبته عناصر التضام في تماسك هذا المقطع الأخير من المعلقة وترابطه بشكل ملفت.

والذي نخلص إليه من خلال ما شرحناه وحللناه من نماذج شعرية أخذناها من معلقة "طرفة بن العبد"، أن وجود عناصر التضام فيها ساهم كثيراً في تماسك النص وترابطه سواء على مستوى المعاني أو على مستوى النسيج اللغوي وذلك باعتبار الدور الكبير والمهم الذي لعبته تلك العناصر في اكتمال البنية الكلية لنص المعلقة عموما أو حتى على مستوى وحداتها الصغرى، حيث أن الذي يمعن النظر في هذه الثنائيات التي وظفها شاعرنا حتما سيقف على صدق أو حقيقة ما ذهبنا إليه واقرأ معي "تروح وتغتدي" يصور الحركة الدائمة والسريعة للناقة وهي تذهب وتجيء، وكذلك "يجوز ويهتدي" تصور خط سير القبيلة وهي راحلة فمرة تسلك الطريق السوي المعبد ومرة أخرى تسلك الطريق الفرعية الغير معبد اختصارا للجهد والوقت، وكذلك الأمر بالنسبة لعناصر التضام الأخرى من نحو: "يشق ويقسم، لؤلؤ وزبرجد، جنوح ودقاق، الخد والمشفر، تبغني وتلتمسني، برد ومجسد، طريفي ومتلدي".

لا شك في أن وجود وورود مثل هذه العناصر التضامية « يسهم في النصية»[1] وذلك للإضافات التي تضيفها للنص على مستوى المعاني سواء في طابعها الترادفي أو التقابلي أو التجاوري أو غير ذلك مما يخدم المعنى العام للنص، وذلك ما يحقق مفهوم التناسب المعنوي الذي غالبا ما يشير إليه علماء النص والنصية باعتباره شرطا ضروريا لأي نص منجز. هذا، بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه عناصر التضام تلك على المستوى الشكلي والبنائي للنص حيث: « استغل الشاعر الجاهلي هذه المصاحبات للتعبير عن المعنى تعبيرا فنيا جماليا»[2].

[1] - محمد خطّابي، لسانيات النص، ص 25.

[2] - محمد العيد، إبداع الدلالة، ص 104.

وعلى هذا الأساس وجدنا "طرفة" يكثر من استعمال عناصر التضام في نصه، وذلك لإيمانه الشديد بقدرتها على إثرائه وإغنائه بالمعاني المتنوعة من جهة، ومن جهة أخرى قدرتها على ربط أجزاء النص بعضها ببعض وإخراجه للقارئ المتلقي إخراجا جيدا، فلجوءه إلى هذا الكم النوعي من تلك العناصر يبرره حرصه الشديد على تقديم نص جيّد، نص يمتاز بالنصية.

خاتمة

خاتمة:

لم تنل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة، قدر ما ناله مفهوم البنية في القرن الحالي، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، سواء كانت هذه الدراسة نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو لغوية أو رياضية وغيرها، وأصبحنا نجد الباحثين العاملين في إيطار هذه المفاهيم يتحدثون عن بنية نفسية وأخرى رياضية ومنطقية وثالثة لغوية...الخ.

ممّا يشير إلى أن مفهوم البنية لم يعد يقتصر على الدراسات اللغوية وتشعّباتها، وإنّما امتد ليشمل مختلف العلوم الإنسانية دون استثناء. وإن كان هذا المفهوم قد انطلق بالمستوى الذي نراه من خلال البحوث الجادّة المكثّفة والمعمقة في علوم اللغة وتفريعاتها، والتي اعتنت بها مؤخراً الدراسات الأدبية بمختلف فروعها واتجاهاتها.

حتى أنّنا نرى أيضاً علماء اللغة يتحدثون عن بُنى صوتية وأخرى تركيبية وثالثة دلالية، ولكل من هذه البنى الكلية بنى أخرى فرعية، منها ما يتعلق ببنية المفردة ومنها ما يتعلق بالبنية الوظيفية...الخ.

وعلى مستوى هذه الأبنية اللسانية نفسها يكمن تمييز البنية اللسانية المحضة عن البنية الأدبية التي تتكامل معها لتكشف عن المعنى الكامل للنص الأدبي بوصفه علامة ذات دلالة. وبما أنه علامة مميّزة فإن دلالته مميزة كذلك باعتبار تميّز الأنظمة اللغوية التي تشكّل البنية الكلية التي لها وظيفة تأثيرية بشكل نهائي.

والبحث في مثل هذه الأنظمة المعقدة « يكون غاية في الوثاقة والصعوبة» كما يقول كيولر لأنّه يتطلّب عملية معرفة أكثر من معرفة اللغة التي بها نكتب هذه النصوص، ومن الصعب جداً تحديد المعنى في هذه النّصوص بناءً على مفاهيم ماديّة تعرف البنية « بأنّها نظام تحويلات له قوانينه

من حيث أنه مجموع وله قوانين تؤَمّن ضبطه الذاتي»، أي هي علاقات العناصر الداخلية في إطارها ودخولها في نظام هو الذي يحفظ لها استقرارها، إذ المعنى الأدبي للنّص ظاهرة متميزة في مجال البحث الدّلالي، يفرض علينا إيجاد مبرّرات نفسية واجتماعية ثقافية لتبرير الأبعاد التأثرية للنص بحيث تكون هذه المبرّرات بنية إضافية ذات بعد خارجي بالنسبة للبنية اللسانية المجردة تتكامل معها ولا تتعارض.

هذا يعني أن الاطمئنان لنتائج تحليل البنية اللسانية المجردة في النصوص، لا يكون كافياً للوقوف على الآثار المعنوية لها، خاصة إذا تعلّق الأمر بنصوص أدبية مفعمة بمضامين تأثرية، وعليه فإن التصريح بمبدأ الوصفية المتّبع كمنهج في تحليل النص الأدبي والشعري موضوع هذا البحث الذي يعني أساساً بالعناصر المشكّلة للبنية اللسانية المحكومة بقوانين صارمة ترسّخ نظام هذه العناصر لا يتعارض مع الوقوف مع بعض الدلالات النفسية والاجتماعية التي تم الوقوف عليها من خلال تحليل لبعض الأنظمة اللسانية في البنى المختلفة للنص الشعري، بوصفها دلالات لها مبرّرات توجد في اللغة، كما لا يشكل هذا المبدأ تعارضاً مع عدم تبني منهج تاريخي عام موازٍ للمنهج اللساني يضمن تأويل دلالات الخطاب بما ينسجم والمعنى الاجتماعي للنص.

كما لا يعني غياب هذا المنهج تخاذلاً في الإعداد المنهجي الذي يجب أن يتسلّح به كل باحث، ذلك لأنّ البحث ليس من شأنه – بناء على دلالات اختيار العنوان: البنية اللسانية– التعمّق في المظهر التاريخي والاجتماعي للنص بقدر ما هو التحليل فيه وفيّ لنوع من الإدراك المعرفي المنصبّ أساساً على قواعد تشكل الأبنية اللسانية في أنظمتها الفرعية والكلية التي بدورها تؤسِّس لأبعاد نفسية اجتماعية هي دوال على ذلك الخطاب.

ولم يكن الوقوف على هذه المعاني من خلال البحث هدفاً منشوداً بقدر ما كان التعرّف على قواعد تشكل البنية كذلك هدفاً رئيسياً نتوخاه للدراسة، وقد أظهرت الدراسة من خلال فصولها الأربعة الخاصة بالبنية الصوتية والصّرفية والتركيبية والمعجمية الدلالية جملة من النتائج على مستوى

تحليل الأبنية منها ما هو لساني مجرد نتعرف من خلاله على خصائص البنية اللسانية لمعلّقة طرفة بن العبد يتمثل في الوصف الظاهر لعلاقات تشكِّل العناصر الجزئية في النظام لوفرة عنصر دون عنصر وحضور عنصر على حساب غياب عنصر آخر كمثل وفرة الأصوات المجهورة على المهموسة في البنية الصوتية وتصاعد المجموع على المفرد في البنية الصّرفية...

ومنها ما هو نفسي، هو نتاج تأويل مبرّر للقواعد الخاصة لشكل البنية اللسانية السّابقة، ويمكن حصر هذه المعاني النفسيّة الّتي أفرزها البحث كنتائج أولية فيما يلي:

- استطاع الشاعر في هذه المعلّقة رسم معالم شخصية إنسانية متميّزة الحساسية والرؤية في لحظة من لحظات الصدق والمكاشفة، وربما المواصلة مع الذات.

- أماطت الدراسة اللثام عن الكيفية التي شكّل فيها طرفة بن العبد عن لوحته الإبداعية الفذّة، وفي ذلك انعكاس حقيقي للحالة النفسية التي يمرّ بها الشاعر ويعيشها في ظلّ أزمته مع نفسه وقبيلته ومجتمعه وحالُه حالُ مدْبِرٍ عن القبيلة لا مقبلٍ عليها.

- أبانت الدراسة أيضا بأنّ شخصية "طرفة بن العبد" – من خلال معلّقته– شخصية متميزة مختلفة عن كثير من الشخصيات الجاهلية الأخرى، فهو شاعر صافي الذهن، وطيب القلب، وصادق الإحساس، ونقي السّريرة، يحب العدل ويمقت الظلم، يقدّر الشجاعة ويكره الجبن، يحبّ اللون الأبيض بوصفه انعكاساً لحقيقة مشاعره النقية الصافية.

- أظهرت الدراسة بأن "طرفة بن العبد" مهندس لغوي متمرّس في صناعة الشعر، يشكّله وفق أدق التعابير وأوضح الصور، فلديه مهارة اختيار الحروف والأصوات والمفردات والتراكيب للدلالة عما يجيش في خاطره من معانٍ وأحاسيس.

- والدراسة في الأخير ليست إلا محاولة للتعرّف على لغة الخطاب الشعري في معلّقة "طرفة بن العبد"، تعتبر قاعدة أساسية لمقاربات أخرى من أي نوع تعني بالكشف عن كل المضامين التعبيرية والقيم الثقافية التي يحملها الخطاب.

قائمة المصادر والمراجع

نصّ المعلقة:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبَـــــــــرْقَةِ ثَهْمَدِ	تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَــليَّ مَـطِيَّهُمْ	يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّـــدِ
كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِــــــيَّةِ غُـدْوَةً	خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ
عَدولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيــــنِ ابْنَ يَامِنٍ	يَجُورُ بِهَا المَـــلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي
يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُــــهَا بِهَـا	كَمَا قَسَـمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ
وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ	مُظَاهِـــــرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
خَـذُولٌ تـرُاعِي رَبْرَباً بِـخَــــــمِيلَةٍ	تَنَاوَلُ أطْرَافَ البَرِيرِ وتَـــــرْتَدِي
وتَبْسِمُ عَنْ أَلْـمَى كَـأَنَّ مُنَـــــــوَّراً	تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْـصٍ لَهُ نَدِي
سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْـــــــــسِ إلاّ لِثَـاثِهِ	أُسِفَّ وَلَـمْ تَكْدِمْ عَلَيْـــهِ بِإثْمِدِ
ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْـسَ ألْقــتْ رِدَاءهَا	عَـلَيْهِ نَقِـيِّ اللّــــوْنِ لَمْ يَتَخدَّد.
وإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِــــضَارِهِ	بِعَــوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَروحُ وتَغْتَــدِي
أَمُـونٍ كَأَلْـــوَاحِ الإِرَانِ نَصأْتُهَـا	عَلَى لاحِــــبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ
جَمَـالِيَّةٌ وَجْـــنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهَـا	سَفَنَّجَــةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أرْبَــــدِ
تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وأَتْـبَعَــــتْ	وظِيفاً وظِيفاً فَـوْقَ مَـوْرٍ مُعَبَّـــدِ
تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَـــوْلِ تَرْتَعِي	حَدَائِقَ مَوْلِيَّ الأَسِـــــرَّةِ أَغْيَدِ

تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ المهيبِ وتَتَّقِي ... بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَف مُلْبِدِ

كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا ... حِفَافَيْهِ شُكَّا فِي العَسِيبِ بِمِسْرَدِ

فَطَوْراً بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً ... عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ

لَهَا فِخْذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيهِمَا ... كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ

وطَيٍّ مَحَالٍ كَالحَنِيِّ خُلُوفُهُ ... وأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدأيٍ مُنَضَّدِ

كَأَنَّ كِنَاسَيْ ضَالَةٍ يَكْنِفَانِهَا ... وأَطْرُ قِسِيٍّ تَحْتَ صَلْبٍ مُؤَيَّدِ

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلانِ كَأَنَّمَا ... تَمُرُّ بِسَلْمَي دَالجٍ مُتَشَدِّدِ

كَقَنْطَرَةِ الرُّوْمِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنِفَنْ حَتَى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

صُهَابِيَّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَى ... بَعِيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ

أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ ... لَهَا عَضُدَاهَا فِي سَقِيْفٍ مُسَنَّدِ

جَنوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ ... لَهَا كَتِفَاهَا فِي مُعَالىً مُصَعَّدِ

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا ... مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَلاقَى وأَحْيَاناً تَبِيْنُ كَأَنَّهَا ... بَنَائِقُ غُرٌّ فِي قَمِيصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ ... كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلاةِ كَأَنَّمَا ... وَعَى المُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّامِي ومِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ

وعَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَـــنَّتَا ... بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَــوْرِدِ

طَـحُـــــورَانِ عُـوَّارَ القَــذَى فَتَرَاهُمَا ... كَمَكْحُـــــولَـتَيْ مَـذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ

وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّـــرَى ... لِهَجْسٍ خَفِـــيٍّ أَوْ لِصوْتٍ مُنَدَّدِ

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْـقَ فِيْـــــهِمَا ... كَسَامِعَتَـي شَـاةٍ بِحَـــــوْمَلَ مُفْرَدِ

وأَرْوَعُ نَبَّـــــاضٌ أَحَذُّ مُـــــلَمْلَمٌ ... كَمِرْدَاةِ صَخْـرٍ فِي صَـفِيحٍ مُصَمَّدِ

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِـــــنَ الأَنْفِ مَـارِنٌ ... عَتِيقٌ مَتَـــى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ ... مَخَافَـــــةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القَـدِّ مُحْصَدِ

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا ... وَعَامتْ بِضَبْعَيْـــــهَا نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي ... أَلاَ لَيْتَـــــنِي أَفْدِيْكَ مِنْهَا وأَفْتَدِي

وجَاشَتْ إِلَيْـهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخَالَهُ ... مُصَـــاباً وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ

إِذَا القَـوْمُ قَالُوا مَنْ فَتـىً خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِـيْتُ فَلَــــمْ أَكْـسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيْعِ فَأَجْذَمَـتْ ... وَقَدْ خـَــــبَّ آلُ الأَمْعَزِ المـُتَوَقِّدِ

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَـتْ وليـدَةُ مَجْلِـسٍ ... تُـرِي رَبَّـــــــهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التـِّلاعِ مَخَافَــــةً ... وَلَكِن مَتـــَى يَسْتَرْفِدِ القَـوْمُ أَرْفِدِ

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَــلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِـصْنِي فِـي الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُومِ وَقَيْـنَــــةٌ ... تَرُوحُ إِلَينَا بَيْـــــــنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ

رَحِيْبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهـا رَقِيْقَــةٌ بِجَـسِّ النُّـــــدامَى بَضَّةُ المتَجَرَّدِ

إِذَا نَحْــنُ قُلْنَا: أَسْمِعِيْنَا انْبَــرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْــرُوقَةً لَـمْ تَـشَدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا تَـجَاوُبَ أَظْآرٍ عَلَـى رُبَــعٍ رَدِي

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَـــذَّتِي وبَيْعِـي وإِنْفَاقِي طَـرِيفِـي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتْـنِي العَشِيْرَةُ كُلُّهَـــا وأُفْـرِدْتُ إِفْـرَادَ البَعِيــــرِ المعَبَّدِ

رَأَيْــــتُ بَنِـي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِــي وَلاَ أَهْلُ هــذَاكَ الطِّرَافِ الممَــدَّدِ

أَلاَ أَيُّها اللائِمي أَحضـــر الوَغَى وَأَنْ أشهـد اللّـذَّاتِ هَـلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فَـإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْــعَ مَنِيَّتِي فَـدَعْنِي أُبَـــادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَلَوْلاَ ثَـلاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الفَتَـــى وَجَدِّكَ لَمْ أَحـفِلْ مَتَــى قَامَ عُوَّدِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلاتِ بِـــــشَرْبَةٍ كُمَيْـتٍ مَتَـــى مَا تُعْلَ بِالماءِ تُزْبِدِ

وَكَرِّي، إِذَا نَادَى المضَــــافُ مُجَنَّباً كَسِيدِ الغَضَا نَبَّـهتَـــــهُ المتَـورِّدِ

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِــبٌ بِبَهْكَنَةٍ تَـحْــــتَ الطـراف المعَمَّـدِ

كَأَنَّ البـُرِين والدَّمَاليـــــجَ عُلِّقَت عَلَى عُشَرٍ أَوْ جِــــرْوَعٍ لَـمْ يُخَضَّدِ

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْـــــسَهُ فِي حَيَـــاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنْ متْنَا غَداً أَيُّنَـا الصَّــدِي

أَرَى قَبْرَ نَحَّـامٍ بَخيلٍ بِمَــــــالِهِ كَـقـبْرِ غَـوِيٍّ فِي البَطَالَـــةِ مُفْسِدِ

تَرَى حثْوَنَيْنِ مِن تُـرَابٍ عَلَيْهِـــــمَا صَفَـائِحُ صُـمٌّ مِنْ صَفِيْـــحٍ مُنَضَّدِ

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي   عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ   وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى   لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي   كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَد

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً   مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ   كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسِ مُلْحَدِ

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ، غَيْرُ أَنَّنِي   نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ

وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى، وجَدِّكَ إِنَّنِي   مَتَى يَكُ أَمْرٌ للنَّكِيْثَةِ أَشْهَدِ

وإِنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا   وإِنْ يِأْتِكَ الأَعْدَاءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ

وَإِنْ يِقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ   بِكَأْسِ حِيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ

بِلاَ حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وَكَمُحْدَثٍ   هِجَائِي وقَذْفِي بِالشَّكَاةِ ومُطْرُدِي

فَلَوْ كَانَ مَوْلايَ إِمْرِئ هُوَ غَيْرُهُ   لَفَرَّجَ كَرْبِي أَوْ لأَنْظَرَنِي غَدِي

ولَكِنَّ مَوْلايَ اِمْرُؤٌ هُوَ خَانِقِي   عَلَى الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِي

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً   عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

فَذَرْنِي وخُلْقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ   وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ   وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بنَ مَرْثَدِ

فَأَصْبَحْـــتُ ذَا مَالٍ كَثِيـرٍ وَزَارَنِـي ... بَنُونَ كِـرَامٌ سَـادَةٌ لِـمُـسَـــــــوَّدِ
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّـــذِي تَعْرِفُونَهُ ... خَشَاشٌ كَـــــرَأْسِ الحَـيَّةِ المتَوَقِّـدِ
فَآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِـي بِطــَانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيْـــقِ الشَّفْـرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِــراً بِهِ ... كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمِـعْضَدِ
أَخِي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَـــنْ ضَرِيبَـةٍ ... إِذَا قِيْلَ مَهْلاً قَـالَ حَـــاجِزُهُ قَدِي
إِذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّـــلاحَ وجَدْتَنِي ... مَنِيْعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمَـــهِ يَـــــدِي
وَبَرْكٍ هُجُوْدٍ قَدْ أَثَارتْ مَـــخَافَتِي ... بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَــــرَّدِ
فَمَرَّتْ كَـهَاةٌ ذَاتُ خَيْـفٍ جُلالَـةٌ ... عَقِيْلَةَ شَيْـــخٍ كَالـوَبِيْلِ يَلَنْــــدَدِ
يَقُوْلُ وَقَدْ تَرَّ الـوَظِيْـــفُ وَسَـاقُهَا ... أَلَسْـــتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْـتَ بِمُـؤَيَّدِ
وقَـالَ ذَروهُ إِنَّـمَــــا نَفْعُهَـــا لَهُ ... وإلاَّ تَكُفُّـــوا قَاصِيَ البَرْكِ يَـزْدَدِ
فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْـنَ حُــــــوَارَهَا ... ويُسْعـى عَلَيْنَا بِالسَّدِيْفِ المسَرْهَـدِ
فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَـا أَنَا أَهْـــــلُهُ ... وشُقِّـي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَـدِ
ولا تَجْعَلِيْنِي كَأَمْرِىءٍ لَيْسَ هَمُّــــــهُ ... كَهَمِّي ولا يُـغْنِي غَنَائِي ومَشْـهَدِي
بَطِيءٍ عَـــنْ الجُلَّى سَرِيْعٍ إِلَى الخَـنَا ... ذَلُولٍ بِأَجْــــــمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ
فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً فِي الرِّجَالِ لَضَــرَّنِي ... عَـــدَاوَةُ ذِي الأَصْحَابِ والمتَوَحِّدِ
وَلَكِـنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَـــــالَ جَرَاءَتِي ... عَلَيْهِمْ وإِقْدَامِي وصِدْقِي ومَحْتِـــدِي

لَعَمْرُكَ مَـا أَمْــــــرِي عَلَيَّ بغُمَّةٍ نَهَـــارِي ولا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَـــرْمَدِ

ويَوْمٍ حَبَسْتُ النَّفْـــــسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَاظاً عَلَـــــى عَوْرَاتِهِ والتَّـهَدُّدِ

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْـــدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكْ فِـيْهِ الفَرَائِصُ يرْعَـــــدِ

وأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَـــــــرْتُ حِوَارَهُ عَلَى النَّارِ واسْتَوْدَعْتـُهُ كَفَّ مُجْمِـــدِ

سَتُبْـدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْـــتَ جَاهِلاً ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَـــارِ مَنْ لَـمْ تُـزَوِّدِ

وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مـَنْ لَمْ تَـبِعْ لَـــــهُ بَتَـاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَــــوْعِـدِ

نص المعلقة مأخوذ من كتاب: شرح المعلقات السبع للزوزني.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر

1. ابن الأثير، المثل السائر، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، 1995.

2. ـــــــــــــ، جمهرة اللغة، ج1، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

3. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تح: سيّد الجُمَيْلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1.

4. ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف.

5. ـــــــــــــ، مسائل الخلاف، ج1، المكتبة المصرية، مصر، ط1، 2003م.

6. أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1966.

7. أبو بكر الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، ج1، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

8. ـــــــــــــ، طبقات النّحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984.

9. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، المفتاح في الصّرف، ج1، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

10. ـــــــــــــــــ، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق، محمد التُنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005.

11. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الجمهرة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1987.

12. التبريزي الخطيب، شرح المعلقات السبع، تح: محمد لقدي، دار المحابر، روبية، الجزائر، ط1، 2009.

13. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تح: أحمد سليم الحِمْصي، ومحمد أحمد قاسم، ط1، 1988.

14. ـــــــــــــ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط3.

15. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان.

16. ابن الحاجب النّحوي، شرح الوافية نظم الكافية، تحقيق: موسى العليلي، مطبعة الآداب في النّجف الأشرف، العراق، 1980م.

17. ابن خلدون، المقدمة، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة، 2000م.

18. رضيّ الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، تح: محمد الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

19. رضيّ الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزّفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

20. الزّوزني، شرح المعلقات السّبع الطوال، دار الآفاق، د.ط، د.ت.

21. ابن السّراج، الأصول في النحو، ج1، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1988.

22. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، ج2، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1979.

23. ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، شرح وتصحيح، عبد المتعالي الصّعيدي، مصر، د.ط، د.ت.

24. ابن سيّدِه، المخصّص، ج1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

25. أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، المقتضب، ج1، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

26. أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكتاب، تح: محمد الدّالي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

27. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان، ط 1968.

28. ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، ج1، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

29. ابن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1999.

30. ـــــــــــــ، شرح ابن عقيل، ج1، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان.

31. أبو علي الحسين بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطّيان ويحي سير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، 1983.

32. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

33. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

34. ـــــــــــــ، الصاحبي في فقه اللغة، تح: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.

35. أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، ج1، ج2، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت.

36. ـــــــــــــ، اللّمع في العربية، ج1، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

37. ـــــــــــــ، المنصف، شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النّحوي البصري، ج1، تح: لجنة من الأساتذة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1.

38. أبو الفتح عثمان ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سورية، ط1993.

39. ـــــــــــــــــــــ، سرّ صناعة الإعراب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

40. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، تح: عبد الله درويش، مط. المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، ط1، 1967.

41. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج6، ج9، ج11، ج14، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.

42. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف، ج1، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، ط2، 1977.

43. ـــــــــــــــــــــ، المفصّل في صُنعة الإعراب، تح: علي أبو ملحِم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

44. ابن مالك، شرح التسهيل، ج2، تح: عبد الرحمن السيّد ود. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1990م.

45. محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر الرازي، مختار الصّحاح، مادة (نصص)، ضبط وتخريج وتعليق: النجيب البغا، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990م.

46. محمد بن عبد الجبار النّفري، المواقف والمخاطبات، تح: آرتر يوحنّا أرْبرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ت.

47. موفقّ الدين بن علي ابن يعيش النّحوي، شرح المفصّل، ج6، إدارة الطباعة المنبرية، مصر.

48. أبو نصر محمد الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت.

49. ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، المطبعة الإعلامية، مصر، ط1، 1886.

50. ـــــــــــــــ، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، ط11.

51. ـــــــــــــــ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

52. أبو هلال الحسن بن سهل العسكري، ديوان المعاني، تح: عمر أبو الفضل منصور، المكتبة السكندرية، الإسكندرية، مصر.

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم السّامرائي، الشعر بين الجيلين، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
2. ـــــــــــــــ، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للنشر، ط2، 1983.
3. ـــــــــــــــ، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
4. إبراهيم أنيس، مقدمة كتاب الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط5، 1989.
5. ـــــــــــــــ،الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1975.
6. ـــــــــــــــ،دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط2، 1963م.
7. ـــــــــــــــ،موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط2، 1952.
8. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاد لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، ط27، 1969.

9. أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، دار الكتب العلمية، د.ط، 2000.

10. ـــــــــــــــ، شذا العُرف في فنّ الصّرف، قدم له وعلّق عليه محمد بن علي المعطي، دار الكيان للطباعة والنّشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11. أحمد حَساني، مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

12. أحمد حماد، عوامل التطوّر اللغوي، دار العرب، دمشق، سورية، 2001.

13. أحمد سعيد أدونيس، زمن الشّعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

14. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدّلالية، منشورات العرب، دمشق، سورية، 2002.

15. أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1978.

16. أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، دمشق، سورية، 1998.

17. ـــــــــــــــ، اللّسانيات وآفاق الدّرس اللّغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

18. ـــــــــــــــ، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1996.

19. ـــــــــــــــ، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1999.

20. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د.ت.

21. ـــــــــــــــ، علم الدلالة، دار الكتب، ط5، 1998م.

22. أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988.

23. ـــــــــــــــ، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1988.

24. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

25. أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مصر، 1996.

26. ـــــــــــــــ،علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1993.

27. إدريس بلمليح، المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995.

28. أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، سورية، 1984.

29. أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، دار دجلة، الأردن، ط1، 2007.

30. الأنباري، كتاب أسرار العربية، ج1، مكتبة دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

31. أيّوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت.

32. الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، تح: خالد فهمي، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

33. أبو جعفر النّحاس ، شرح القصائد السبع المشهورات، تح: أحمد خطاب، دار الحرية، بغداد، العراق، 1973.

34. عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996م.

35. جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط1، 1982.

36. جورجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

37. حسين نصّار، المعجم العربي نشأته وتطوّره، ج2، دار مصر للطباعة، مصر، ط4، 1988.

38. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط2، 1998م.

39. ـــــــــــ، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

40. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، د.ط، د.ت.

41. ـــــــــــ، منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط3، 1968.

42. خديجة الحُديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003.

43. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2001.

44. خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2006.

45. رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

46. رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985.

47. رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001.

48. عبد الرحمن حَنْبَكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، دار القلم، دمشق، سورية، ط1، 1996.

49. رزق صلاح، المعلقات العشر، دراسة في التشكيل والتأويل، دار غريب، القاهرة، مصر، 2009.

50. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997.

51. ـــــــــــــــــ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990.

52. رمضان عبد الله، الصيغ الصّرفية في اللغة العربية في علم اللغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، ط1.

53. ريمون طحّان، الألسنية العربية، ج1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1981.

54. زاهر بن مَرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2010.

55. زبيدة بن عزوز، دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشر الجاهلية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

56. زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1983.

57. زكي حسام الدين، التحليل الدّلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000.

58. زين كامل الخويسكي، المجالات الدلالية في القرآن الكريم، (صيغة افتعل)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1989.

59. ـــــــــــــــــ، مختارات لسانية، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2007.

60. سالم علوي، شجاعة العربية، أبحاث ودروس في فقه اللغة، دار الآفاق، الجزائر، 2006.

61. السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2.

62. ـــــــــــــــــ، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.

63. ابن سلام الجمحي، شرح القصائد التسع المشهورات، تح: أحمد خطاب، دار الحرية، بغداد، العراق، 1973.

64. ـــــــــــــــــ، والجندي علي، الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد، دار الفكر العربي، 1997.

65. عبد السلام السيّد حامد، الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002.

66. عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991.

67. ـــــــــــــــــ، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982.

68. السيد أحمد عبد الغفار، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

69. شاهين محمد توفيق، المشترك اللغوي – نظرية وتطبيقات، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، مصر.

70. شرف الدين الرّاجحي، في علم اللغة العام، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2008.

71. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1986م.

72. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، 1968.

73. ــــــــــــ، العصر الجاهلي، دار المعارف، بمصر، ط4.

74. ــــــــــــ، في النقد الأدبي، دار المعارف بمصر، ط7.

75. صافية زفنكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، د.ط.

76. صالح بلعيد، التراكيب النحويّة وسياقاتها، عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

77. صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.

78. صائل رشدي رشيد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2004.

79. الصّبان، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

80. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مطبوعات جامعة حلب، سورية، 1982.

81. صفية المطهري، الدلالة الإيحائية في الصّيغة الإفرادية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 2003.

82. صلاح الدين صالح حسين، الدّلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1.

83. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، مصر، ط1، 2002.

84. ــــــــــــ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

85. الطيّب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الإسكندرية العالمية، مصر.

86. الطيّب دبّة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001.

87. عباس حسن، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993م.

88. عبده الراجحي، التطبيق الصّرفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 1979.

89. عدنان النحوي، الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1999م.

90. عدنان بن ذُريل، اللغة والأسلوب دراسة، مراجعة وتقديم: حسن حميد، ط2، 2001.

91. ــــــــــــ، اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 1981.

92. عزّ الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللّغوية في التراث العربي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

93. عبد العزيز الصّيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

94. عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصّرف، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979.

95. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفنولوجيا)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

96. علي الجارم ومصطفى أمين، النحو الواضح، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر.

97. علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة ناشرون، ط1، 2008.

98. عبد العليّ الودغيري، دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، ط1، 2001.

99. علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار النّهضة، مصر، 1971.

100. الفارابي، العبارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976.

101. فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي النّظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1985.

102. فرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نموّ اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

103. فريد عوض حيدر، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1998.

104. ـــــــــــ، علم الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

105. فؤاد زكريا، الجذور الفلسفية للبنائية، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986م.

106. فوزي أمين، الشعر الجاهلي دراسة ونصوص، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2005.

107. قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

108. عبد القادر أبو شريفة، وحسن لاقي وداود غاشة، علم الدّلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

109. عبد القادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، دار أزمنة، الأردن، ط1، 1998م.

110. ـــــــــــــــ، علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

111. الكافية في النّحو، متن شرح الرّضيّ على الكافية، ج2، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996م.

112. كرم البستاني، شرح ديوان طرفة ابن العبد، دار بيروت للطباعة، بيروت، لبنان، 1982.

113. عبد الكريم حسن جبل، في علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، 1997.

114. عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003.

115. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة، الأردن، ط1، 2005.

116. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، 1973.

117. ـــــــــــ، علم اللّغة العام، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1980.

118. عبد الله بن صالح الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ج1، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2.

119. عبد الله درويش، دراسات في علم الصّرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، ط1، 1962.

120. محسن علي عطية، الأساليب النحوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

121. محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2007.

122. محمد العثيمين، مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ج1، مكتبة الرُّشد، ط1.

123. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط5، 1982.

124. محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، مصر، ط3، 2005.

125. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط2، د.ت.

126. ــــــــــــــــــ، بناء الجملة العربية، دار غريب، مصر، ط2003.

127. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، مدينة الدار البيضاء، المغرب الأقصى.

128. محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2001.

129. محمد عبادة، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988.

130. محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، دراسات منهجية، ج2، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2006.

131. محمد عيد، النّحو المصفّى، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1975م.

132. محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية، دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001.

133. محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

134. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1989.

135. ـــــــــــــ، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

136. محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، دار الوليد، طرابلس، ليبيا، 2003.

137. محمود سليمان الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، المؤسسة الجامعية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

138. محمود سليمان ياقوت، الصّرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، ، مصر، 1995.

139. ـــــــــــــ، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفيّة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985.

140. ـــــــــــــ، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003.

141. محمود عسران، البنية الإيقاعية في شعر شوقي، مكتبة نشأة المعارف، مصر، 2006.

142. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، ط1، 2005.

143. محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط4، 1995م.

144. المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1964.

145. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر العاصمة، الجزائر.

146. ـــــــــــــ، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لبنان.

147. مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005.

148. ـــــــــــــ، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط6، 2001.

149. مصطفى فاضل السّاقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط، 1994.

150. عبد المقصود محمد عبد المقصود، الاشتقاق الصّرفي وتطوّره عند النحويين والأصوليين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

151. ـــــــــــــ، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2006م.

152. مكي درّار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

153. عبد الملك مرتاض، السّبع المعلّقات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1998.

154. منقور عبد الجليل، علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، 2001.

155. مهدي أسعد عرّار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

156. نادية رمضان، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية.

157. نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.

158. نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، 2006.

159. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، ط1.

160. الهاشمي محمد، طرفة بن العبد، حياته وشعره، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

161. أبو وحيد تمام حسان، العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1973.

162. ـــــــــــــ، مناهج البحث في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.

163. يمنى العيد، في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985.

164. يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

165. يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، دمشق، سورية، 1985.

ثالثا: الدواوين

1. امرئ القيس، الديوان، تح: حسن السندوبي، ضبطه وصححه، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004.

2. الحارث بن حلزة اليشكري، الديوان، تح: مراوان العطية، دار الإمام النووين دمشق، سورية، ط1، 1994.

3. زهير بن أبي سلمى، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.

4. طرفة بن العبد، الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2000.

5. عمرو بن كلثوم، الديوان، تح: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

6. عنترة بن شداد، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

7. لبيد بن ربيعة، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

رابعا: الكتب المترجمة

1. إديث كريزويل، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، طبعة دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، 1993.

2. بالمر، علم الدلالة – إطار جديد–، تر:صبري إبراهيم السيد، دار المعارف الجامعية، 1995.

3. ـــــــ، علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، 1985.

4. برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القهارة، مصر، 1983.

5. بيار جيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي، ط1.

6. جورج مونان، مفاتيح الألسنية، تعريب: الطيّب البكوش، منشورات سعيدان، تونس، 1994.

7. جون لوينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980.

8. دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986.

9. ديفيد بُشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م.

10. رجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ج1، تر: إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986.

11. رولان بارث، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سورية، ط1، 1993م.

12. رينيه ويليك، أوستين وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

13. ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1997.

14. ـــــــــــ، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، 1962.

15. فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1950.

16. كلود ليفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج2، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية، 1983.

17. ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973.

خامسا: المعاجم والموسوعات:

1. إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

2. عبد الغني الدّقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، ج7، دار القلم، دمشق، سورية، 1986م.

3. محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية، دار السلام، مصر، د.ط، 2008.

4. مطاع صفدي وإيليا حاوي، موسوعة الشعر العربي، الشعر الجاهلي، ج2، إشراف: خليل حاوي، جمعها وصححها أحمد قدامة، شركة خياط، بيروت، لبنان، 1974.

5. معجم الحقول الدلالية، جذورها في التراث العربي، مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، 1992.

سادسا: المذكرات والرسائل الجامعية

1. أحمد عزوز، نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية تأسيسية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران- السانية، الجزائر، 1998- 1999.

2. حياة درويش، نظرية الحقول الدلالية، دراسة تطبيقية لحقل ألفاظ الألوان في المخصّص، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2001.

سابعا: المجلات والمحاضرات:

1. أحمد شامية ونبيلة عباس، محاضرات وتطبيقات علم الدلالة للسنة الثانية، المدرسة العليا للأساتذة، الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، بوزريعة، الجزائر.
2. أسامة عبد العزيز، من مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية، مقالة، 2005.
3. جابر عصفور، النموذجان النقيضان، مجلة العربي، ع 443، سبتمبر 1990.
4. ــــــــــ، عالم الشاعر الجاهلي، مجلة العربي، ع 429، 1994.
5. عبد الجليل عريض، طرفة ابن العبد وصورة الناقة في شعره، ضمن دراسات وأبحاث ملتقى البحرين، المؤسسة العربية . بيروت، لبنان . ط 1، 2000م
6. حلاّم الجيلالي، نقد عناصر المعجم اللغوي في نظرية الحقول الدّلالية، مجلة المنهل، ع1998/550
7. حمادي صمود، المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، مقال، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية.
8. عبد الحميد المعيني، رؤية في دراسة قصيدة المسيب بن عَلَسْ، مجلة جامعة الملك بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2007.
9. عبد الرحمن الحاج صالح، علم اللسان الحديث، مجلة الفيصل، ط2، 1977.
10. ــــــــــ، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، ع1.
11. الزّعبي، آمنة صالح، التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل بين النظام اللغوي والذاكرة اللغوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، ع1.

12. عبد السلام المسدي، مدخل إلى النقد الحديث، مجلة أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ع4، 1974.

13. عمار شلوي، الحقول الدّلالية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 2.

14. مَصْلحي صلاح، معلّقة طرفة ابن العبد، دراسات وأبحاث، ملتقى البحرين، ط1، 2000.

15. موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العدد 18- 19، 1982.

16. نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النّحوي،مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر، المجلد 3، ع13، 2000.

17. نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مجلة المنهج، المملكة العربية السعودية، ع 55، المجلد 60، 1998.

18. نور الدّين السدّ، تحليل الخطاب الشعري، اللّغة والأدب، مجلة معهد اللغة العربية وآدابها، ع8، 1996.

ثامنا: المواقع الإلكترونية

1. جميل حمداوي، النقد الأسطوري عند الدكتور مصطفى ناصف في قراءة ثانية لشعرنا القديم، مقال، www.doroob.com.

2. طيبي أمينة، الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، عن الموقع: www.awu.com، عبابنة، يحي، العلاقات النحوية في اللغة العربية دراسة تاريخية في النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة، نسخة على نظام (Pdf) غير منشور.

3. عبد الله الحمدان، وصف الناقة في الشعر الجاهلي، مقال www.alfaseeh.com.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة .... أ

مدخل 1

توطئة... 2

1) البنية والبنيوية 3

1-1 المستوى الصوتي... 4

1-2 المستوى الصرفي... 9

1-3 المستوى التركيبي... 12

1-4 المستوى الدلالي... 19

2) صاحب المدوّنة (حياته وآثاره) 22

الباب الأول: البنية الصوتية 30

الفصل الأول: تطوّر الدّرس اللّغوي الصّوتي. 31

1) الظّاهرة الصّوتيّة في المورورث العربي 32

2) الجهود الصّوتيّة لأبي الأسود الدّؤليّ 36

3) الدرس الصّوتي عند الخليل بن أحمد 38

3-1 الموقعيات عند الخليل 39

3-2 جهود الخليل في الكتابة العربية 40

3-3 عدد الحروف وترتيبها 41

3-4 أعضاء جهاز النطق 42

3-5 بعض المباحث الفونولوجية أوردها الخليل 43

4) الدّرس الصّوتي عند سيبويه 45

4-1 مخارِج الحروف عند سيبويه 45

4-2 عدد الحروف وترتيبها 47

4-3 جدول ترتيب الحروف عند الخليل وسيبويه 49

4-4 قراءة في الجدول 50

4-5 تصنيف الصوائت 50

5) الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي 55

5-1 تقسيمات الصوامت 56

5-2 الفرق بين الصوت والحرف عند ابن جني 58

5-3 القيمة الدلالية للصوت اللغوي عند ابن جني 59

6) الظّاهرة الصّوتيّة في الدّرس اللّساني الحديث 63

6-1 نشأة الصوت البشري 65

6-2 الصفات الفيزيائية للصوت اللغوي 68

6-3 عناصر البنية الصوتية 75

الفصل الثاني: دراسة عناصر البنية الصوتية في مقاطع من أبيات المعلَّقة. 77

1) قراءة في البنية الصوتية 78

2) مصطلح الفونيم (مفهومه) 81

3) دراسة الصّوائت والصوامت ودلالتهما 84

أولا: دراسة الصوائت 84

ثانيا: دراسة الصوامت 87

ثالثا: دلالة الصوائت في معلقة طرفة 91

رابعا: دلالة الصوامت في معلقة طرفة 104

خامسا: المواد الصوتية للخطاب الشعري 120

4) الدراسة المقطعية 123

4-1 تعريف المقطع 123

4-2 مكونات المقطع 124

5) المقاربة النّبرية 137

5-1 النبر عند القدماء والمحدثين 137

5-2 تحديد مواضع النبر في مقاطع الكلمة العربية 139

6) المقاربة التنغيمية 144

6-1 ظاهرة التنغيم لدى القدماء والمحدثين 144

6-2 الوظيفة الدلالية للتنغيم 145

6-3 الإنشاد التنغيمي في القصيدة 146

الباب الثاني: البنية الصرفية 149

الفصل الأول: علم الصّرف. 150

1) تعريف علم الصّرف لغةً واصطلاحا 151

1-1 تعريف علم الصرف لغة 151

1-2 تعريف الصرف اصطلاحا 151

2) علم الصّرف عند القدامى 153

3) علم الصّرف عند المحدثين 157

4) الميزان الصّرفي 162

5) صلة الصّرف بالنّحو والاشتقاق 164

5-1 صلة علم الصرف بالنحو 164

5-2 صلة الصرف بالاشتقاق 168

5-3 أقسام الاشتقاق 171

5-4 أهمية الاشتقاق 171

6) علاقة علم الصّرف بعلم الدّلالة 177

6-1 مفهوم علم الدلالة 177

6-2 موضوع علم الدلالة 177

6-3 مستويات التحليل الدلالي 178

الفصل الثاني: البُنى الصّرفيّة ودلالتها في معلّقة طرفة. 185

1) أبنية الأسماء.. 186

1-1 الأسماء الجامدة 189

1-2 الأسماء المشتقة 190

1-3 فروع المشتق 191

1-4 التعريف والتنكير 193

1-5 المفرد والجمع 195

1-6 المذكر والمؤنث 197

2) بنية الأفعال 200

2-1 من حيث الدلالة على الحدث 200

2-2 من حيث الدلالة على الزمن 202

الباب الثالث: البنية التركيبية 204

الفصل الأول: مباني الجملة الاسمية والفعلية. 205

1) البنية التركيبية 207

2) الجملة الفعلية 214

القسم الأول: الجملة النواة 217

1- الفعل 218

2- الفاعل 221

القسم الثاني: العناصر التوسيعية في الجملة الفعلية 222

1- العناصر السابقة........................ 222

2- العناصر اللاحقة........................ 228

3) الجملة الاسمية........................ 235

القسم الأول: الجملة والنواة........................ 235

1- المبتدأ 235

2- الخبر 236

القسم الثاني: العناصر التوسيعية في الجملة الاسمية 239

1- أدوات النفي 239

2- العطف 239

3- أداة التنبيه 239

4- التوابع 240

الفصل الثاني: البنى التركيبية لشواهد الجملة الفعلية والجملة الاسمية في النّص 243

1) بنية الجملة الاسمية 244

1-1 الجملة الاسمية والجملة الفعلية.............................. 244

1-2 الجملة الأصلية والجمل المنسوخة في الجملة الفعلية.............. 249

1-3 الجمل الأصلية والجمل المنسوخة في الجملة الاسمية.............. 254

1-4 جمل اللزوم والتعدية في الجملة الفعلية........................ 258

1-5 التركيب الوصفي والإضافي.................................... 262

الباب الرابع: البنية المعجمية والدلالية 272

الفصل الأوّل: البحث الدلالي والمعجم الشعري 273

1) مفهوم علم الدلالة واهتمام اللغويين به 274

1-1 تعريف علم الدلالة 274

1-2 اهتمام اللغويين بعلم الدلالة 277

1-3 مميزات الدرس الدلالي 285

2) التطوّر الدّلالي 287

2-1 عوامل التطور الدلالي وأسبابه 288

2-2 مظاهر التطور الدلالي ومجالاته 291

3) المعجم الشعري 296

3-1 النشأة والتطور 296

3-2 علاقة المعجم الشعري بالمعجم التاريخي للغة العربية 299

4) نشأة نظرية الحقوق الدلالية 311

4-1 نظرية الحقوق الدلالية عند العرب القدامى 311

4-2 نظرية الحقوق الدلالية عند المحدثين 319

4-3 نظرية الحقوق الدلالية عند العرب 320

4-4 أهمية نظرية الحقوق الدلالية (المعجمية) 326

5) مفهوم نظرية الحقوق الدلالية 327

5-1 تعريف النظرية 327

5-2 مفهوم الحقل المعجمي الدلالي 328

5-3 العلاقات داخل الحقل المعجمي 329

الفصل الثاني: دراسة دلالية تطبيقية في نص المعلقة 340

1) الدلالة الصرفية 344

1-1 التحويل في صيغ الجمع 345

1-2 العدول عن صيغة فاعل 347

1-3 الحذف والزيادة في المبنى 349

2) الدلالة النحوية 356

2-1 الأسلوب الاستفهام 357

2-2 أسلوب النفي 357

3-2 أسلوب الاستدراك 358

3) الحقول الدلالية في المعلقة 362

دراسة تطبيقية في أهم الحقول الدلالية على نص المعلقة 362

1-3 حقل الموجودات 364

2-3 حقل الأحداث 365

3-3 حقل المجردات 367

4) العلاقات الدلالية في المعلقة 369

1-4 التضام 369

2-4 تحليل عناصر التضام في المعلقة 373

خاتمة 388

ملحق.. 393

قائمة المصادر والمراجع... 401

فهرس المحتويات.. 426

الملخص

تعدّ اللسانيات أبرز تطوّر شهده العالم مع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، مكّن الباحث العربي من التطرّق إلى تراثه بأدوات علمية منطقية، واستطاع أن يواكب التطوّر المذهل في المجتمعات والأوساط العلمية، وذلك بإعادة البنية اللسانية بكل مستوياتها، وهيكلة قواعدها من منظور جديد، وبمناهج تواكب التطور العلمي، دون التقليل من أهمية التراث اللغوي العربي، بل تزيده قيمة وتأكيداً، فجاءت الدراسة في هذه الأطروحة لتوضّح نظرة الدرس اللّساني الحديث إلى مستويات البنية اللّسانية مع مراقبة الواقع اللّغوي في الشعر القديم ومعاينته، لكونه تراثاً يستقطر كل المقولات اللغوية.

Résumé

La linguistique est le développement le plus important du monde à la fin du XIXe siècle, au début du XXe siècle,

Le chercheur arabe a pu aborder son héritage avec des outils scientifiques logiques et a su suivre le développement étonnant des sociétés et de la communauté scientifique en reconstruisant la structure linguistique à tous les niveaux et en structurant ses bases à partir d'une nouvelle perspective et de nouveaux curricula. avec le développement scientifique sans diminuer l'importance du patrimoine linguistique arabe. L'étude, dans cette thèse, montre la leçon linguistique moderne aux niveaux de la structure linguistique, avec l'observation de la réalité linguistique dans la vieille poésie et son examen, parce que c'est un héritage qui dérange toutes les déclarations linguistiques.

Abstract

Linguistics is the most prominent development of the world at the end of the nineteenth century, the beginning of the twentieth century,

The Arab researcher was able to address his heritage with logical scientific tools and was able to keep pace with the amazing development in the societies and the scientific community by reconstructing the linguistic structure at all levels and structuring its bases from a new perspective and curricula in keeping with the scientific development without diminishing the importance of the Arabic linguistic heritage. The study, in this thesis, shows the modern linguistic lesson to the levels of the linguistic structure, with the observation of the linguistic reality in the old poetry and its examination, because it is a heritage that disturbs all linguistic statements.